

مجلة شهرية تعنى
بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط - المغرب



الثمن 100 فرنك



العدد الثاني . السنة الثانية
ربيع الثاني 1378 نونبر 1958

مدير المجلة
المكي بادو
رئيس التحرير
عبد القادر الصحراوي

دعوة الحق

العدد الثاني
السنة الثانية
ربيع الثاني 1378
نونبر 1958

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



مسجد « اهل فاس » « بالمشور السعيد » بالرباط .

تبدو في الصورة التحسينات التي ادخلت على « المشور » بعد الاستقلال بحيث اصبح آية في الذوق والجمال وحسن التنسيق .

تصوير : عمر غنام

بيانات إدارية

تبعث المراسلات بالعنوان التالي :
مجلة **«دعـوة الحـق»** ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغـرب .

الاشتراك عن سنة 1.000 فرنك ، وللطلبة 500 فرنك فقط .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« **دعـوة الحـق** » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الربـاط ـ
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
أو تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة : **«دعـوة الحـق»** ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنيـة والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خـاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الـى :
قسم التوزيع ـ بادارة المجلـة .

كلمة العدد

عيد العرش والشعب

في اليوم الثامن عشر من الشهر الجاري – شهر نوتبر – سيحتفل الشعب المغربي ، كما اعتاد ذلك من سنين عديدة ، بالذكرى الحادية والثلاثين لارتقاء صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس ، عرش المغرب، تلك الذكرى العزيزة على الشعب المغربي ، المرتبطة في ذهنه وضميره بذكريات غالية عليه ، اثيره لديه ، لانها ذكرى كفاحه وصبره وتضحيته ومجده ، تلك الذكرى التي الف الشعب المغربي ان يطلق على يومها من كل سنة اسم **((عيد العرش))** .

*

وهو في الحقيقة عيد للعرش والشعب معا ، فان الشعب هو الذي فرضه ، وتحمل في سبيل فرضه من الاذاية والتنكيل والعذاب الاليم ، ما لم يكن ليتحمله لولا ايمانه العميق بأن مستقبله مرتبط بمستقبل هذا العرش ، فاما أن يعيشا معا ، واما أن يموتا معا .

وقد واتت الشعب المغربي الفرصة ، يوم ان تطاول الاستعمار الى العرش ، ليبرهن على انه كان صادقا في ايمانه وحبه وولائه ؛ لقد اوقف كل الدواليب وعطل الحركات جميعها ، واضرب عن الحياة ، لانه لم يستطع ان يفهم للحياة معنى ، او يتذوق لها طعما ، وملكه الحبيب ، يعاني آلام الاسر والوحدة والغربة ، وعلى العرش **((خزي))** اراد الاستعمار له ان يكون ملكا بالقوة والقهر ، وقد نسي الاستعمار شيئا بسيطا ، بسيطا جدا ، لم يكن ينبغي لمتخصصيه فى **((الدراسات المغربية))** و **((الشؤون الاهلية))** ان ينسوه او يجهلوه ، نسي حقيقة واضحة ، تكاد لوضوحها تقفز من صفحات التاريخ ، نسي ان الشعب المغربي لم يتعود قط ان يفرض عليه الملوك ، وانه لم يتنازل قط عن حقه في الاختيار لنفسه ، وانه قد عرف دائما كيف يتجاوب مع الملوك الذين يتجاوبون معه ، ويتقدمونه في طريق الكفاح ، ويضربون له المثل العليا في التضحية والاخلاص والنزاهة ونكران الذات ، وعرف ايضا دائما ، كيف ينتفض ، وكيف يثور ، وكيف يقلب الدنيا راسا على عقب ، عندما يسام خطة الخسف ، وعندما يراد له ان يخضع في ذلة ، وان يؤمر فيطيع ، حتى لو كان في طاعة الامر قتل لكبريائه وانفته واعتزازه بنفسه .

وهكذا ثار الشعب المغربي ثورته التاريخية العظيمة ، فحطم الاغلال ، وارغم الاستعمار ان يعترف له بحقه ، وان يخضع لحكمه ، وان يسحب في ذلة **((خزيه))** تحت جنح الليل ، وان يتنازل عند ارادة هذا الشعب الطيب الكريم الوفي ، الصعب المراس، فيعيد اليه ملكه ، لتعود اليه الحياة ، ولتعود البهجة من جديد فتشرق في قلبه ، وليفتح صفحة اخرى من حياته المليئة بالخير ، وليستانف الكفاح مرة اخرى ، من اجل استكمال استقلاله ووحدته وحريته .

عيد العرش . عيد العرش والشعب معا ، لان الشعب هو الذي فرضه ، فرضه وسيف القوانين العرفية الاستعمارية مصلت فوق رأسه ، يهدده بالويل والثبور ، ويختلق له التهم اختلاقا ليسوقه الى المنافي او يزج به في اعماق السجون . وقد كان الاحتفال بعيد العرش في عرف الاستعمار الفرنسي ، جريمة

لاتقبل المغفرة . ذلك لانه كان من خطته الا يجتمع العرش والشعب ، والا يكون ما بينهما الا فراغ يملاه الاستعمار بالشك والريبة وسوء الظن .

لقد كان الاستعمار في هذه «منطقيا» مع نفسه. كان يعلم ان العرش والشعب لن يجتمعا على خيره، وان اجتماعهما قوة لهما معا ، وان ذلك سيكون ايذانا بضعفه وزواله ، ولم يخب ظنه في هذه ، فقد اجتمع العرش والشعب ، وكان يوم اجتماعهما لتوحيد خطة العمل بينهما ، هو يوم التدشين للطريق الوعر الذي اختارا ان يسيرا فيه معا ، يشد بعضهما ازر بعض ، ويتبادلان النصح والتشجيع ، ويتطلعان في شوق ولهفة الى يوم النصر ، ويتعرضان جنبا الى جنب لانواع الاذى والاضطهاد والتنكر لكل المعاني الانسانية ، حتى بلغا الغاية معا ، وحتى عاد جلالة الملك من منفاه السحيق ، ليقول لشعبه اول ما يقول :

«ايها الشعب العزيز ،

لقد اخلصت كما اخلصت ، واديت الواجب احسن اداء كما اديت»

اجل ، لقد اخلص العرش ، واخلص الشعب ، وادى كل منهما واجبه احسن اداء واتمه واكمله ، وكانت النتيجة ، كما تمثل بذلك صاحب الجلالة نفسه في يوم عودته :

«الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور»

وسيكتب يوما تاريخ الكفاح المغربي ضد الاستعمار الفرنسي ، وسيكون اليوم الثامن عشر من شهر نونبر من كل سنة ، من ابرز ايام هذا التاريخ وانصعها بياضا واكثرها اشراقا واحفلها بالمجد ، وسيتحدث التاريخ عن نبض القلوب واحتباس الانفاس ساعة القاء خطاب العرش ، ذلك لانه لم يكن قط مجرد خطاب يلقى بمناسبة ، وانما كان وقفة في كل سنة ، لتجديد العهد والاعلان عن التصميم ، كان درسا سنويا في الوطنية المثالية النادرة ، كان درسا عمليا في الشجاعة في الحق والايمان به والتعصب له ، كان نداء حارا صادقا لضمير الانسانية ووعيها .

وكان بالنسبة للمستعمرين شيئا آخر ، كان بالنسبة لهم فرصة لقياس الحرارة والقوة ، وفي كل مرة كان المقياس يخلف ظن المستعمرين ، فيخرجون عن البقية الباقية من رشدهم ، ويفلت منهم زمام اعصابهم المكدودة المرهقة ، ويعودون الى التجربة الفاشلة .. الفاشلة دائما ، تجربة السجن والنفي والتقتيل والتعذيب وانتهاك الاسوال والحرمات والاعراض .

اما الشعب ، فكان يخرج في كل مرة من المحنة اكبر مما كان عندما دخلها ، كان يزداد وعيا بمصيره ، وبالوسائل التي يجب عليه ان ينهجها للوصول الى هذا المصير .

وعندما يحتفل الشعب المغربي بعيد العرش في هذه السنة ، وفي السنوات الطويلة المقبلة ، سيظل يذكر دائما انه يحتفل بعيده الذي لم يفرض عليه ، ولم يوح اليه ان يحتفل به، وانما كان هو الذي فرضه، وفرضه عيدا وطنيا بكل كامل معناه ، وسيذكر العشرات منا دائما انهم استنطقوا في محاكم الاستعمار عن تصرفاتهم في عيد العرش ، وانهم سئلوا عن الشعارات التي كانوا يهتفون بها ، وعن الخطب التي القوها او استمعوا اليها ، وعن قصدهم من السعي الى الرباط ، وعن خروجهم من بيوتهم ، وعن رجوعهم اليها وعن اعمارهم واسمائهم واعمالهم .. وما الى ذلك من هذه السلسلة السخيفة المملة ، التي كان المستعمرون يملأون بها اوقاتهم ، لانهم لايدرون ماذا يفعلون !!! اما نحن فقد كنا على بينة مما نفعل ، كنا نعلم علم اليقين اننا نسير الى غاية رسمناها بدقة منذ البداية ، وان الضمان الاكبر للوصول باكبر سرعة ممكنة الى هذه الغاية ، في تماسك العرش والشعب ووحدتهما وامتزاجهما ، وقد تحققت الغاية ، لان الوسيلة اليها كانت دقيقة محكمة .

ولا تزال امامنا حتى اليوم غايات يجب ان نعمل على تحقيقها ، لايزال امامنا ان نحقق جلاء الجيوش الفرنسية والاسبانية والامريكية عن بلادنا ، لايزال امامنا ان نحقق وحدة ترابنا ، لايزال علينا ان نساهم بحظنا الكبير الوافر في تحقيق وحدة المغرب العربي ، التي لن تتم ابدا بدون استقلال الجزائر ، لا يزال علينا ان ننهض باقتصادنا ، وان نعلم اولادنا ، لايزال امامنا الكثير جدا من الغايات ، وستكون وسيلتنا الى تحقيقها دائما ، كما كانت من قبل ، في تماسك العرش والشعب ، وشعور كل منهما بواجبه ، واستعداده لتادية هذا الواجب .

ويوم ذلك ، سيذهب الحزن كله ، ويتفرغ العرش والشعب معا لاستئناف الكفاح في طريق اخرى ، من اجل السلم ، والسعادة ، والاستقرار .

دعوة الحق

ذكرى المولد النبوي

للزعيم الأستاذ علال الفاسي



في ليلة عيد المولد النبوي الكريم ، وفي الحفل الديني الذي اقامه بهذه المناسبة صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس نصره الله ، بجامعة القرويين بفاس ، ألقى بين يدي جلالته الزعيم الكبير الاستاذ علال الفاسي هذه القصيدة الرائعة :

يجيش الشعر في نفسي وتأبى ... قوافيه لدعوته جوابا

وتكمن منه في صدري معان ... هي التبر الذي يأبى انسكابا

وما يوفي الكلام بكل معنى ... وان جمع الفصاحة والصوابا

ورب مخاطب ادرى بنفسي ... وافصح في مناجاتي خطابا

وهبني صغت هذا الشعر درا ... نضيدا وانتقيت له الكعابا

ونظمت النجوم لها عقودا ... وكان البدر وسطاها انتسابا

وصغت من الطبيعة كل لون ... جميل يسحر النفس التهابا

وطاوعني البيان بكل لفظ ... بديع زان منطقه وطابا

ولبتني القوافي عامرات ... وهبت في مطارفها طرابا

فصغت فنونها فنا ففنا ... وحزت فصولها بابا فبابا

ايوفي ما اقول لفيض سر ... هو المعنى فما ترضى انتقابا

حدود اللفظ اضيق من مداها ... واضعف ان تكون لها قبابا

وما بلغ الحقيقة ذو بيان ... وان ملك الاعنة والركابا

جمال القول والمعنى لديها ... بنطق الله حين بري الرقابا

وحين دعا البرية فاستجابت ... وحملها فحملت الصعابا

يساقدها الالاه فترتضيه ... وتدرك من مراميها الرغابا

رايت الرسل الفاظا حسانا ... لعهدتها وءايات عذابا

رايت محمدا فينا كتابا ... وقد املى من الوحي الكتابا

سلوا عنه العروبة في رباها ... لدن ادى الرسالة والخطابا

سلوها حين قام بها ينادي   وقد ملا الخوافض والهضابا

سلوا البطحاء حين أوى اليها   ابيا ان يضام وان يصابا

لقد اصغت له فرات عجيبا   وشامت خلقه فرات عجابا

رات قرآنه فيه تجلى   فما اسطاعت لرؤيتها ارتيابا

وكان محمد فيها امينا   تحكمه وترضى ما اصابا

وكان محمد فيها وفيا   تعاهده فيوفيها الثوابا

وكان محمد فيها كريما   وحمالا اذا ما الدهر نابا

وكان محمد فيها حكيما   سديد الراي يستجلي الغيابا

وفى بطحاء مكة كان قومي   يسامون المذلة والعذابا

وحسب الشعب سوءا حين يلقى   رؤوسا لا تعير له حسابا

رؤوس تاجروا بالشعب كسبا   وقد جعلوا ديانتهم قرابا

وحسب الحكم سوءا حين يغدو   على الشعب افتراضا واغتصابا

وحسبك ذلة للشعب اما   غدا للقاهرين له انتهابا

وحسبك فى خراب الدين اما   غدا صورا تقدس او تحابى

وان الدين عند الله رشد   وبر يملأ القلب احتسابا

وبين العبد والرحمن وصل   يجل قداسة ويعز بابا

فما يحتاج واسطة اليه   وما يحتاج قديسا و (بابا)

وزلفى العبد اعمال كرام   اذا نطق الشهادة واستجابا

وهم جعلوا الديانة عبء شعب   راى الاصنام واسطة فخابا

فلما قام عبد الله يدعو   وكشف عن جهالتهم نقابا

وسفه رايهم وقضى عليهم   بحكم يملأ الدنيا عتابا

وكسر آلهات البغي ضربا   وما اسطاعت لفعلته عقابا

ومال على رؤوس الشر يرمي   معاقلها وصيرها خرابا

ابي الطاغون وائتمروا عليه   وحاصوا حيصة الحمر اكتئابا

وهموا بالذي لم يبلغوه   ورد الله كيدهم اضطرابا

ولاقى المؤمنون به صنوفا   من التعذيب واحتسبوا الثوابا

فما وهنوا لما لاقوا ولكن   غدوا اسدا يخيفون الذئابا

وهاجر للمدينة فاستنارت   به ارجاؤها وغدت مرابا

وكان اذانه فى الخلق نورا   وفى الآذان رحمى وانجذابا

وهب اليائسون بكل ارض   يلبون النداء المستطابا

وسار هداته فى الارض طرا   يجوبون الصحاري والقصابا

وقامت دولة الحق التي لا   ترى الا لذى الحق انتدابا

وبات الفكر مفتوحا ذكيا   يرى الاشيا فيقتلها انتخابا

وعاد الناس كلهم سواء   ينال الحق من ادى النصابا

ومن بذل الجهاد وما توانى ... ومن درس الامور وما تغابى
وما كان الركاز لها اساسا ... وما كان النجار لها جنابا
يسود بها البناة اذا استقاموا ... على الشورى وما آلوا ارتقابا
وليس يسودها من ضيعوها ... ولا من قصروا عنها ضرابا
ومن فسقوا عن الايمان جورا ... ومن جعلوا الفساد لهم مثابا
مدينة احمد طهر وعدل ... وحسبك تان عمرانا رغابا
ومن طلب الحضارة فى سواها ... كما الظمآن يحتلب السرابا
سلوا منا البناة وما اقاموا ... من المجد الذي فاق السحابا
سلوا الخلفا بما سادوا البرايا ... وكيف قنوا بها العز المهابا
سلوا العلماء ما اكتشفوا وصانوا ... وما نقلوه للدنيا لبابا
ملأنا العالمين هدى ومجدا ... وحسبك تان من فخر ثيابا
وظنت عصبة انا ضعفنا ... فما نرجو من المجد المآبا
وقالوا : الغرب فاق علا وعلما ... وعاد الشرق مقتسما نهابا
نعم انا ضعفنا وافترقنا ... ولكن سوف نصلح ما استرابا
افقنا من سبات طال دهرا ... ولن نرضى السباة ولا اللغابا
وان كان العدو طغى علينا ... وقسمنا واوسعنا استلابا
فكيف يخيفنا منه التحدى ... وكيف نظنه القدر المهابا
سنبعث مجدنا رغم التحدي ... ونمنع قومنا ظلما وعابا
وان سبيلنا حق وصدق ... وما زاغ السلوك بها وخابا
رسول الله خططها سبيلا ... وضاحا لا اعوجاج ولا انحدابا
وان يكفر بها قوم ففينا ... هداة يرجعون لها الشبابا
اعادونا الى الرشد ارتجاعا ... وردونا الى الحق اجتذابا
وهذا عاهل الوطن المفدى ... واعظم من رعى وهدى الصوابا
امير المومنين به استعدنا ... وجودا مشمخرا وانتصابا
حدانا للجهاد وكان شهما ... فخاض بنا المصاعب والعقابا
وعبانا للاستقلال صفا ... وحيدا لا يمل به غلابا
وضحى العرش فى مرضاة شعب ... ولم يحفل بمن ولى وعابا
وكابد فى سبيل الغرب ظلما ... وجهلا يملأ الدنيا اصطخابا
فحققنا بعزمته الاماني ... ونجزنا كما شاء الطلابا
وقاسى عيشة فى النفي ضنكا ... واياما لاسرته سغابا
امام لا نخاف به الليالي ... ومنقذنا اذا ما الخطب نابا

ومرشدنا الى طرق المعالي ... براي طالما كشف الضبابا

مجدد دولة الاسلام فينا ... وهادينا اذا ما الزيغ صابا

*

امير المومنين فدتك نفسي ... ومثلي من فداك وما استنابا

ذكرتك والحوادث قاتمات ... ونحن نخوضها بحرا عبابا

وزرت تزيدنا فى فاس عزما ... وتملأ روحنا هيما غضابا

وسرنا من ورائك فى حماس ... ونحن نشقها دربا وبابا

راينا فارسا يمضي بعزم ... وايمان ولم يحمل حرابا

وآمنا بانك سوف تأتي ... من الاعمال ما يدني الرغابا

وثقت باننا فتيان صدق ... تصول بنا وتقتحم الصعابا

وهاج الظالمون وما اطاقوا ... وفاقا فى المرامي واقترابا

وقالوا لن تقام صلاة جمع ... اذا ما الجند لم يضع الحجابا

ابيت وقلت لا ارضى لشعبي ... بما مكروا وفضلت الايابا

حفظت لمعهد الاسلام قدرا ... وصنت مكانه من ان يصابا

وخضنا بعدها غمرات ذب ... وكنت لنا بظلمتها الشهابا

ويوم رجعت ترفل فى فخار ... الى فاس التي عزت جنابا

وزرت المعهد القروي عزيزا ... وقلب الشعب يكلاك احتدابا

سقيتك من قريضي مترعات ... سكرت بها واسكرت الصحابا

وها انذا ابثك فى مكاني ... وانشد فيك ابياتا عرابا

وان لنا لاياما سنلقى ... بها آمالنا الاخرى العذابا

يقيني ان عزمك سوف يمضي ... الى ان يكمل التحرير دابا

فتجلوا عن مرابعنا جيوش ... ونامن فى قواعدنا انتيابا

وفى الصحراء امتنا تنادي ... ويملا جيشها الارض انقلابا

و (باعمران) آيتهم جهاد ... وتصميم اذا الخصم استرابا

وفى (شنقيط) اخوان مناهم ... رضاك وان تكون لهم منابا

ايوخذ قومنا وهم اباة ... بالاستفتاء يصطنع الخرابا ؟

وما استفتى البلاد سوى بنيها ... ولا اولت لغيرهم انتخابا

وما يفتيك فى ظلم ضعيف ... اذا ما قال نال اذى وصابا

الا لا تكذبين ايا فرنسا ... فانا لا نريد بك الكذابا

وما يغنيك الاستفتاء شيئا ... عن الحق الذي اغتصب اغتصابا

وما يغنيك الاستفتاء شيئا ... عن الشعب الذي زاد اعتصابا

وفى ارض الجزائر كل شهم ... فما يرضى بان يغدو الذنابا

وفى تلك المعاقل كم ستبقى ... جنودك وهي تشكوك اغترابا

فان بني الجزائر لن يحولوا ... ولا يرضون الا الانسحابا

*

امير المومنين اراك فينا ... ابا حسن مقاما وانتسابا

وحولك آل بيتك كالدراري ... احاطوا البدر حين كسا الرحابا

وكلهم بآيك قد تملى ... وسار الى رضاك وقد اجابا

ولي العهد يكلأهم ويرعى ... مبادئك التي تحمي الشبابا

وحسبك فيه تفكير وعلم ... يحل به المشاكل والصعابا

اراك الله فيهم كل خير ... وزادهم من الخير اقترابا

ودمت الى البلاد وساكنيها ... اماما بانيا برا مجابا

*

الاهي يا رحيم ومن اليه ... يرجى المرء فى الخطب المآبا

ومن بيديه ناصية البرايا ... ومن يجزى على الخير الثوابا

سألتك دعوة من عمق نفسي ... وانت امرت ان تدعى احتسابا

رغبت لك الوسيلة فى يقيني ... بانك لا تخيب من اتابا

فان المسلمين بكل ارض ... يعانون المشقة والعذابا

تداعى الظالمون الى حماهم ... ولم يألوا بارضهم استلابا

وقد تركوا الديانة واستباحوا ... حمى الآخلاق وانساقوا ارتيابا

فأنقذهم بفضلك من اذاهم ... وزدهم فى حمى الحق انتشابا

ووحد شملهم فى خير حال ... وهبهم منك فى الدين ارتثابا

الاهي انني بك مستجير ... وحسبي انني بك قد اهابا

اتيتك مذنبا ورجوت عفوا ... اذا نوقشت فى البعث الحسابا

فحطني بالعناية فى فعالي ... وزدني في محبتك انجذابا

وان زلت خطاي فلا تكلني ... الى نفسي وما تاتي اختلابا

وثبتني على الايمان وامنع ... ذنوبي ان تحل بي العقابا

الرحالة المغاربة وآثارهم

للاستاذ محمد الفاسي
عميد الجامعة المغربية

القيت هذه المحاضرة بدعوة من جمعية الطالب المغربي فى سنة 1952

يرى كثير من علماء النقد ان الادب العربي النثري يتصف بخلوه من ظاهرة مهمة من الناحية الادبية المحضة ، وهي تعرض الكاتب لما يتعلق بشخصه ، ولافكاره وعواطفه واحساساته ، حتى انك تقرا كتابا من اوله الى آخره ولا يمكنك ان تتصور عصر المؤلف ولا بلاده ، كما لا تستفيد شيئا عن ميولاته الشخصية ، ولا عن اعماله ، وبالجملة فلا ترى اثرا فى كل كتاباته لفعل فاعله ضمير المتكلم) الا ما يكون غالبا فى المقدمات من اطراء المؤلف لكتابه . ويظهر لي ان من يوجهون هذا الانتقاد للادب العربي يغفلون نوعا ادبيا له قيمته ، وهو كتب الرحلات . اذ اساس هذا النوع هو شخص المؤلف وانيته ووصف ما يعرض له فى سفره ، وذكر الاحساسات التي يشعر بها امام المناظر التي يمر بها ، مع اطلاعنا على احوال البلاد التي يزورها وعلى عوائد اهلها واخلاقهم وافكارهم ، وهو فى كل هذا يعبر عن نفسه وعن عواطفه وعن وجهة نظره الخاص فى كل مسالة .

واذا كان الادب العربي فى جملته يتسم بسمة الاتباعية (الكلاسيكية) اي النظر الى الوجود بكيفية عامة ، والى الانسان كشخص مجرد شبيه بنفسه فى كل زمان وكل مكان ، فان الادباء الذين وصفوا اخبار اسفارهم فى الكتب التي نطلق عليها اسم الرحلات ، يمثلون فى ادبنا الناحية الابداعية **(الرومانتيكية)** لذلك كان فن الرحلة من الانواع الادبية الطريفة التي تميل اليها النفس ، وكانت مطالعة الرحلات ممتعة ومفيدة ، وقد تنبه الاستاذ محب الدين الخطيب لهذه الميزة الخاصة بكتب الرحلات ، فقال فى مقدمة رحلة لاحد المعاصرين من اهل القدس نشرها فى المطبعة السلفية : « قد كان لكثير من الكتب القديمة التي الفت فى الرحلة مزية قلما تجدها فى المؤلفات الحديثة ، وهي ان المؤلف كان يترك القلم يرسم ما فى نفس صاحبه بعيدا عن التصنع ، فاذا قرا الناس كتاب رحلة شعروا بانهم معه يرون ما رآه ويقفون على وقع ذلك فى نفسه » .

وقد تفوق المغاربة فى هذا الفن ووضعوا فيه مؤلفات بديعة طبع بعضها واكثرها لا يزال مخطوطا ، ومنها ما تعتبر ضائعة ولا تعرف الا بالنقل عنها فى كتب التاريخ والادب والتراجم

وانني ساحاول ان الخص لكم فى هذه المحاضرة تاريخ الانتاجات المغربية في فن الرحلة في مختلف العصور الادبية

وقبل شيء ما هي اسباب كثرة تأليف المغاربة فى هذا الفن ؟ وتفوقهم فيه ؟

يرجع ذلك لعوامل مختلفة اهمها بعد الديار المغربية عن الشرق والحجاز مهد الحضارة العربية ومهبط الوحي ؛ فكان جل من يقصد البلاد الحجازية من الادباء والعلماء لاداء فريضة الحج يشعر بوجوب اطلاع مواطنيه على اخبار تلك البقاع الشريفة البعيدة التي يحن اليها كل مغربي ، لما يربطه بها من روابط الدين واللغة والدم ، فيقصد الكتاب الى التعريف بتلك البلاد وما احتوت عليه من آثار الصحابة والعلماء والمشاهد الشهيرة ، مع وصف الطريق التي تؤدي

اليها بحرا وبرا ، وينتهز الراحل فرصة هذا السفر الطويل فيقف بكل عواصم العلم التي يمر بها في طريقه، ويصفها ايضا ويذكر مساجدها ومآثرها وعلماءها وادباءها ، فنفقت بذلك سوق هذا النوع الادبي ، واقبل عليه المغاربة ، وصار الكتاب يتنافسون فيه خصوصا في القرنين السابع والثامن حيث ازدهرت الآداب والعلوم بفضل تشجيع المرينيين ، وقد كان لهم اهتمام خاص باخبار الماضي واحوال البلاد ، حتى ان الفضل في تسجيل اخبار رحلة ابن بطوطة يرجع لابي عنان المريني ، اذ هو الذي استدعاه لحضرته وامر كاتبه ابن جزي الكلبي بتحرير ما املى عليه من اخبار اسفاره الطويلة في اقطار الدنيا .

ومن اسباب هذا التفوق ولوع المغاربة بكيفية عامة بالسياحة وارتيادهم لاقاصي البلاد ، ولم يكن ابن بطوطة المغربي الوحيد الذي دخل اقاصي البلاد الشرقية ومجاهل افريقية ، وانما بقيت لنا اخبار اسفاره بفضل عناية ابي عنان الذي امر بجمعها ، والا لكنا نجهلها كما نجهل غيرها ، وقد ذكر هو نفسه في رحلته قصة تدل على ما نقوله ، وذلك انه لما كان مقيما باحدى مدن الصين وصلها مركب عظيم لبعض الفقهاء المعظمين عندهم ، قال ابن بطوطة : « فاستوذن له علي ، وقالوا مولانا قوام الدين السبتي . فعجبت من اسمه ودخل علي ، فلما حصلت المؤانسة بعد السلام ،سنح لي اني اعرفه ، فاطلت النظر عليه ، فقال اراك تنظر الي نظر من يعرفني ، فقلت له من اي البلاد انت ؟ فقال من سبتة . فقلت له : وانا من طنجة . فجدد السلام علي ، وبكى حتى بكيت لبكائه . فقلت له : هل دخلت بلاد الهند ؟ فقال لي : نعم دخلت حضرة دلهي . فلما قال لي ذلك تذكرته ، وقلت انت البشري ؟ قال نعم .
وكان وصل الى دلهي مع خاله ابي القاسم المرسي ، وهو يومئذ شاب لا نبات بعارضيه من حذاق الطلبة يحفظ الموطا ، وكنت اعلمت سلطان الهند بأمره فاعطاه ثلاثة آلاف دينار ، وطلب منه الاقامة عنده فابى ، وكان قصده في بلاد الصين ، فعظم شانه بها واكتسب الاموال الطائلة . اخبرني ان له نحو خمسين غلاما ومثلهم من الجواري ، واهدى الى منهم غلامين وجاريتين وتحفا كثيرة ، ولقيت اخاه بعد ذلك ببلاد السودان فيابعد ما بينهما ! »

وهكذا نرى المغاربة يجوبون اقطار المعمور وذلك في القرن الثامن الهجري حيث لا بخار ولا كهرباء ولا سيارة ولا طائرة ؛ وقد عبر الشريف الادريسي اكبر جغرافيي العرب عن هذه الهواية بقوله :

دعني اجل ما بدت لـــي
سفينـــة او مطيـــة

لابـد يقطـع سيـــري
امنيـــة او منيـــة

وهو القائل ايضا :

ليت شعري اين قبري
ضاع في الغربة عمري

لم ادع للعين ما تشتـــ
ــاق في بر وبحـــر

وكانه يصف في هذين البيتين كثيرا من هؤلاء الرحال الذين كانوا يفارقون بلادهم ويفنون اعمارهم في التجوال واختراق الآفاق ، ومنهم من يرجع لوطنه ويكون له فيه ذكر ومنزلة ، ومنهم من لا يعود له . وكذلك كان الشان في اقدم من بلغنا خبره ، وهو ابو هارون الاغماتي الذي فارق وطنه في اواخر القرن الخامس ، وزار الديار المصرية والحجاز والعراق وخراسان وما وراء النهر ، ودخل سمرقند ، وكان شاعرا بليغا محدثا محاضرا متكلما وهو القائل :

لعمر الهوى اني وان شطت النوى
لذو كبد حرى وذو مدمع سكب

فان كنت في اقصى خرسان نازلا
فجسمي في شرق وقلبي في غرب

وابو هارون هذا لا ذكر له في كتب المغاربة ، وهو الذي فتح سلسلة اولئك العلماء والادباء الذين كانوا ينزحون عن بلادهم لانهم لا ينصفون بها ، ويقصدون المشرق فيحصلون على الشهرة ، ويضيع فيهم المغرب كما يضيع المغاربة اخبارهم حتى انك لا تجد لهم في كتبهم ذكرا .

ومن اشاهير هؤلاء الرحالة الذين لا يعنينا امرهم الان لكونهم لم يسجلوا اخبار اسفارهم ابو هارون الاغماتي هذا ، والشريف الادريسي ، والمؤرخ عبد الواحد المراكشي ، والاديب الكبير المحدث ابن دحية الكلبي وغيرهم .

ومن أسباب الرحلة ايضا توجيه السفراء من قبل ملوكنا للبلاد الشرقية والغربية ، والرحلات التي الفت لهذا الصدد ترجع كلها للعصور المتاخرة اي الى ايام السعديين والعلويين ، وان كانت اقدم رحلة معروفة ولا تزال منها نتف مخطوطة في بعض الخزانات ، وهي كتاب ترتيب الرحلة للامام ابي بكر بن العربي المعافري دفين فاس ، يرجع سببها لسفر والده موجها من قبل امير المسلمين يوسف بن تاشفين سفيرا الى الخليفة العباسي احمد المستظهر بالله ، وصحبه ولده ابو بكر وذلك سنة 585 وبقي بالمشرق مدة للاخذ عن علمائه ، ولم يرجع للبلاد المغربية الابعد ذلك بثمان سنوات. (ومن اسباب الرحلة ايضا التغرب في طلب العلم ولقاء المشايخ الكبار وارتياد المكاتب الشهيرة ، فكان الطالب بعد رجوعه من سفره وقد آب بعلم غزير يؤلف في الغالب رحلة يذكر فيها الشيوخ الذين اخذ عنهم والادباء الذين لقيهم ، ويثبت الاجازات التي حصل عليها مدة دراسته، ويصف كل ما شاهده في اسفاره ؛ فكانت الرحلة بمثابة الاطروحات التي يكلل بها علماء وقتنا دراساتهم ، والتي تبرهن على تفوقهم وعلو كعبهم في العلوم التي تخصصوا فيها ، وكثيرا ما كانت هذه الغاية الدراسية تتحد مع اداء فريضة الحج ، اذ كان الطالب ينتهز فرصة وجوده بالمشرق ليقوم قبل رجوعه لبلاده بزيارة البقاع المقدسة في موسم الحج واتيان مناسكه .

ومن اسباب الرحلة كذلك مرافقة الكتاب للملوك ولرجال الدولة في اسفار رسمية يكلف احدهم بعد ذلك بتسجيلها على نحو ما يفعله اليوم الصحافيون الذين يصحبون الرؤساء في تنقلاتهم ويوافون صحفهم باخبار هذه الرحلات .

وقد تضافرت كل هذه الاسباب وشبهها في بلادنا وفي مختلف عصور تاريخنا على تزويد الخزانة العربية بمؤلفات ثمينة ، منها ما طبقت شهرته كل اقطار الدنيا كرحلة ابن بطوطة التي ترجمت لجل لغات العالم .

وان قائمة رجال العلم والادب الذين رحلوا عن بلادهم لسبب من الاسباب المتقدمة لا تكاد تنحصر ، اذ قل ما توجد ترجمة شهير من مشاهيرنا لا يشار فيها الى ان له رحلة ، ولكن لا يعنينا من هؤلاء الرحالة سوى من سجلوا اخبار اسفارهم في كتاب خاص يشتمل على وصف المراحل والمشاهد ، اذ منهم من يضع كتابا اثر سفره يخصصه بذكر شيوخه وتراجمهم، مع ذكر الكتب التي درسها عليهم ، والتعرض لسلسلة الرواة التي توصله لواضعي المؤلفات الاولين ، وهذا النوع الذي يسمى بالفهرسة عند اهل المغرب وبالبرنامج عند الاندلسيين وبالثبت عند المشارقة لا يعنينا ايضا ، اذ انه ولو كانت له صلة بالرحلة فهو لا يتصل بموضوعنا الامن طرف واحد .

والآن وقد عرفنا الاسباب التي تحدو بكتابنا الى الرحلة ثم الى تسجيل اخبار رحلتهم ، ننتقل للكلام على الرحلة من حيث هي .

*

ان فن الرحلة في اصله له اتصال متين بالجغرافية، اذ الكتب الاولى المؤلفة في هذا العلم كانت تتخذ صبغة الرحلة ، وذلك ان الجغرافي كان اولا يطوف البلاد التي يود التكلم عليها ، ويخترق مسالكها ويقف بنفسه على احوالها ، ثم يضع بعد ذلك كتابه ؛ لذلك سميت جل التاليف الجغرافية التي كتبت في القرون الاولى ، « المسالك والممالك » وصارت هاتان الكلمتان تطلقان على علم الجغرافية عند العرب ، كما سموه ايضا علم تقويم البلدان ، والفرق بين كتب الرحلات وبين كتب المسالك والممالك ، هو ان مؤلف الرحلة يذكر فيها ما يتعلق بنفسه ، فينبه مثلا على تاريخ خروجه من وطنه ، وعلى الاحوال التي احاطت بسفره ، مع الاشارة لاسبابه ، ويثبت كل ما يقع له من حوادث اثناء غيبته؛ واما مؤلف المسالك والممالك فانه يكتفي بذكر المسافات وبوصف البلاد التي يمر بها من الناحية الزراعية والتجارية ، ويصف احوال الممالك السياسية والعمرانية ، ولا يتعرض لنفسه الا في ما قل ، وذلك خصوصا في المؤلفات الاولى من هذا النوع ، حيث كان علم الجغرافية لم يستقل بعد، تماما عن فن الرحلة حتى ابلغه الشريف الادريسي الى درجته العليا عند العرب ، في مؤلفه **نزهة المشتاق في اختراق الافاق** ، وهذا الكتاب وان كان كجل الكتب القديمة الموضوعة في المسالك والممالك نتيجة رحلات متعددة كما ينم عنه عنوانه ، فانه كتاب جغرافي محض ، لا اثر فيه لذكر الوقائع التي حدثت للمؤلف اثناء اسفاره ، ولا لشيء من احواله الشخصية لذلك لا يدخل في موضوعنا الا عرضا .

ويمكننا ان نقسم الكلام على الرحلات بالاستناد الى اعتبارات مختلفة، كان نرتبها على العصور التاريخية مسلسلين الحديث عنها من اول رحلة الى عصرنا هذا ، ويمكن ايضا ان نرتبها حسب النواحي التي قصدها

الرحالة وكتبوا عنها ، كما يمكن ان نقسمها الى قسمين كبيرين : الرحلات التي سافر اصحابها برا ، والرحلات التي سافر اصحابها بحرا ؛ الى غير ذلك من الاعتبارات

ولكن الطريقة التي اتبعتها فى دراسة الرحلات فى الادب العربي عموما ، هي التي ينبغي ان تتبع فى الكلام على خصوص الرحلات المغربية ، وهذه الطريقة ترجع الى اسباب الرحلة ، وذلك انني قسمت انواع الرحلات الى عشرة اقسام ؛ منها عند المغاربة انواع :

1) الرحلات الحجازية وهي الكثيرة لانه يدخل فيها الرحلات الدراسية وبعض رحلات السياحة خارج المغرب ورحلات الزيارات وغير ذلك

2) الرحلات السفارية
3) الرحلات الرسمية
4) الرحلات السياحية
5) الرحلات العامة اي التي تاخذ من كل هذه الانواع كرحلة ابن بطوطة مثلا .

(واقدم رحلة مغربية وصلنا خبرها هي رحلة حجازية جامعة ، تعتبر اعظم رحلة الفت فى اللغة العربية ، وهي المسماة (ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة مكة وطيبة) لمؤلفها **ابي عبد الله محمد ابن عمر المعروف بابن رشيد الفهري** ، دفين فاس ، وولد بسبتة عام 657 ورحل سنة 683 فقصد المرية بالاندلس ، وكانت هذه المدينة باب المشرق منها تبحر المراكب الكبيرة قاصدة مراسي افريقيا الشمالية ومصر والشام . وقد توجه ابن رشيد اولا الى تونس فقضى بها مدة يتردد على مشايخها ويقيد الفوائد عنهم فى شتى الفنون ، وقد ضمن كل ذلك رحلته الثمينة مع تراجم من لقيهم من العلماء والادباء، ثم قصد الاسكندرية ووصف فى كتابه مشاهدها المشهورة وآثارها كالمنار الشهير الذي لا تخلو من وصفه رحلة الفت بعد ذلك ، وقد قال ابن رشيد عنه : « يعجز عنه الوصف ويحار فيه الواصف ، وضخامته من داخله اكثر مما عليه من خارجه ، وهو من عجائب المصنوعات وغرائب المرئيات» وقد اقام مدة بالاسكندرية مشتغلا بالبحث والتنقيب دائم التردد على كل من يشار اليه بمعرفة فى فن من الفنون مقيدا كل ما يسمع ويرى ، ثم انتقل الى القاهرة وقضى بها مدة لاندري طولها ، لان احد اجزاء هذه الرحلة قد ضاع وهو المشتمل على بقية اخبار مقامه بها ، ثم على ذكر سفره الى دمشق والمقام بها ايضا ، وقد خرج من دمشق قاصدا البلاد الحجازية فدخل المدينة المنورة اولا ثم قصد مكة وحج فى موسم سنة 684 ثم رجع الى المدينة ومنها الى القاهرة فالاسكندرية وهو فى اثناء ذلك كله لا يفتر عن التقييد والبحث عن علماء كل بلد وادبائه والاخذ عنهم ونقل اخبارهم وافاداتهم والشاداتهم .

وفى اليوم الرابع من ربيع الاول سنة 685 غادر الاسكندرية مبحرا قاصدا طرابلس الغرب فقضى بها بضعة ايام ثم سافر منها وسارحتى وافىمدينة المهدية العبيدية بالقطر التونسي وبحث فيها ايضا عن مشاهيرها على عادته فى التنقيب عن اهل العلم والادب ، ومنها سار الى ان وصل مدينة تونس فدخلها فى 19 ربيع الثاني وكانت مدينة تونس فى ذلك العصر قد بلغت على عهد الدولة الحفصية الفتية اعلى مدارج الرقي العلمي، وصارت فى مصاف العواصم الاسلامية الكبرى كالقاهرة ودمشق وغرناطة وفاس حتى ان العبدري الذي زارها سنتين من بعد ابن رشيد لم يعترف فى رحلته بوجود العلم الصحيح بعد خروجه من المغرب فى بلد من بلدان المشرق سوى بمدينة تونس .

وقد بلغ اعجاب ابن رشيد بمدينة تونس وباهلها وبعلمائها اقصى حد ، وبرهن عليه بمقامه بها سنة كاملة تفرغ فيها للاستفادة اكثر ما كان فى امكانه ، وحيث قرر المقام بها فارقه صديقه ورفيقه فى هذه الرحلة الاديب الكاتب ابو عبد الله بن الحكيم الرندي الذي كان ينتظره فى وطنه مستقبل زاهر اذ صار بعد ذلك وزيرا لمحمد الثاني النصري صاحب غرناطة .

اما ابن رشيد فانه بعد سنة اشتاق الى وطنه فرجع على طريق البحر وهو يوثر السفر فيه على الاسفار البرية ، وقد رسى به المركب ببونة قاعدة بلاد العناب المسماة اليوم عنابة، ثم ابحر ونزل بمراس اخرى الى ان وصل مدينة مالقة بالاندلس واليها كان متوجها المركب الذي ركب فيه ، وقصد بعد ذلك رندة لزيارة صديقه ابن الحكيم ، وزار بعض مدن الاندلس ، ثم ابحر من الجزيرة الخضراء الى مدينة سبتة « **والشوق قد برح والغم قد صرح والديار قد تدانت والاعلام قد تراءت** » كما قال فى آخر رحلته راجعا عن فكره فى عدم الاهتمام بمفارقة الاوطان حيث يقول :

تغرب ولا تحفل بفرقة موطن
تفز بمنى فى كل ما جئت من حاج
فلولا اغتراب المسك ما حل مفرقا
ولولا اغتراب الدر ما حل فى تاج

وانّنا بهذه النظرة العجلى التي القيناها على رحلة ابن رشيد يمكننا ان نقول انه ليس من الممكن ان تكون هي اول رحلة الفت في المغرب اذ انها من النوع الكامل في هذا الموضوع ، ولا شك انها سبقت بمحاولات اخرى بالاقل في القرنين الخامس والسادس ، ولاكن الانتاجات الادبية لهذه العصور الاولى اتى على جلها الاضمحلال والفناء ، كان ريحا عاصفة جرفتها فلم يبق سوى ذكرها في بعض الكتب التي تعني بهذه الشؤون ؛ وحتى رحلة ابن رشيد هذه على عظم شأنها وما نالته من الشهرة في المشرق والمغرب ، حيث اننا نرى النقل عنها والثناء عليها في غير ما كتاب ، كاد يصيبها ما اصاب غيرها من مؤلفات المغاربة حيث لم يبق اليوم جزء واحد منها في بلد من بلاد الاسلام ، وكل ما بقي لنا منها هي الاجزاء الخمسة المحفوظة بخزانة **دير الاسكوريال** الواقع على نحو ستين كليو مترا من شمال عاصمة اسبانيا ، وقد وقفت عليها بهذه الخزانة في احد ترددادتي عليها . وقد اختلف المؤلفون في عدد الاجزاء التي تتركب منها الرحلة وقد حققت بوقوفي على ما بقي منها انها كانت تحتوي على سبعة اجزاء ، ضاع الاول وكان يشتمل على السفر من سبتة الى المرية، ثم الى تونس والثاني موجود وهو بخط المؤلف خاص بتونس في الذهاب . والثالث مبتور الاول والاخير وفيه الكلام على الاسكندرية والقاهرة ، والرابع مفقود كذلك وكان يحتوي على السفر من القاهرة الى دمشق ، والخامس يحتوي على وصف الطريق من دمشق الى المدينة ثم وصف الطريق الى مكة ووصف الحج ومناسكه ثم سفر الرجوع الى القاهرة والاسكندرية ، وهذا الجزء بخط المؤلف ايضا ، والجزء السادس فيه وصف الخروج من الاسكندرية بحرا الى ان وصل تونس كما قدمنا مع الكلام على مقامه بها، وهو بخط المؤلف كذلك ، والجزء السابع فيه بقية الكلام على تونس وادبائها وعلمائها وخبر خروجه منها الى ان أن وصل مسقط راسه ، ولاشك انه مع الجزايين الاول والسادس اهم مصدر عن تاريخ الحركة الفكرية في تونس في القرن السابع .

وقد توفي ابن رشيد الفهري سنة 721 بمدينة فاس حيث كان استدعاه المرينيون وحببوا اليه المقام بعاصمتهم فاتخذها دارا ونشر فيها علمه وقصده طلابه من اصقاع الاندلس والمغرب .



التائـه ــ معرض كريم بناني

لا غنى لنا عن المقدسات

للأستاذ : عبد الكبير الفهري الفاسي
سفير المغرب في تركيا وايران



لا تعرف امة تعيش وليس لها قيم ومقدسات ، بل لم يتقدم لمثل هذه الامة وجود فى التاريخ ، كما ان علم الاجتماع اليوم لم يسجل وجود امة من هذا الرهط حتى فى مجاهل افريقيا واستراليا وجزر المحيط الهادي بين الامم التي لا تزال فى طورها البدائي . وغاية ما فى الامر هو التباين فى المقدسات والقيم . وغريب ما فى هذه الظاهرة من ظواهر الوجود الانساني ، هو ان كل امة نبذت فى يوم من الايام كلا او بعضا من مقدساتها والقيم التي عاشت عليها قرونا من تاريخها ، الا وبادرت فى يوم من الايام الى استرجاعها او استرجاع بعضها او استبدالها بغيرها . لان الطبيعة الانسانية وحياة الاجتماع تابى الفراغ الكلي ، والعدم ، كما يقول العلماء عن الطبيعة فى الوجود بان اكره شيء لها هو الفراغ . وهذه الحقيقة الراهنة العظيمة مشاهدة كذلك فى حق الانسان وفى حق الاجتماع .

فكل من قام بحركة او قام بدعوة تهدف الى ترك المقدسات ، فانما يضرب فى حديد بارد ، لان المقدسات هي لحمة كل امة وسداها . ولا يمكن ان تقوم امة بدونها . واذا ظن ظان ان ذلك فى الامكان فانما هو فى الواقع يمشي فى سبيل رائده فيها سراب .

ولو اردت ان اثقل كاهل القارىء بشواهد التاريخ على واقعية هذه الحقائق ؛ لرايته يرزح تحت عبئها . ويكفي ان نقول انها حقائق يثبتها العلم فى جميع مذاهبه، حتى حسب التحليل الماركسي للتاريخ . الم يقم لينين وستالين او غيرهما من اقطاب الشيوعية مقام قيصر روسيا فى التقديس والتعظيم؟ الم تقم الشيوعية وغيرها من المذاهب التي تستلهم نظرياتها من مختلف المذاهب المادية، مقام ما كان قبلها من النظم ، دينية او اجتماعية؟ وهل ابراهام لنكلن او جورج واشنطون لا يحظيان بقداسة لا يحظي بها كثير من ملوك الدول التي حكمت البلاد الانجلوسكونية ؟ الم تقم ثورة فرنسا على انقاض دين وملكية، اضطرت بعد زوالهما الى خلق الاه معبود سمته العقل ؟ وهل نحن فى حاجة الى التمثيل بتركيا الفتاة ، وما آل اليه امرها بعد الانقلاب الكمالي الذي اعقبه مع توالي الايام رجوع الى مقدسات يظهر بعضها فى سلوك القوم وتسارعهم الى بيوت الله كلما ناداهم منادي الفلاح فى مساجد رائعة الجمال بالغة اقصى حدود الجلال .

فاذا كان الامر استبدال امر بامر ، فالافضل ابقاء ما كان على ما كان ، لان التجارب حكمت بصلاحيته فى كثير من الميادين ولانه صقلته المحارب .

نعم . لنا ان نؤكد امرا هاما فى الموضوع ، وهو ان بعض المقدسات قد يسودها ، بل ويطغى عليها مع تعاقب الايام ، فضوليات وطفيليات تعوقها عن سيرها الطبيعي المستقيم ، وتعيش فى ظلها ، بل تعيش على « حسابها » اكثر مما تعيش هي لنفسها او تعيش للشعب الذي هي منه واليه .

والخطا كل الخطا هو التخليط بين المقدسات التي هي اصل وركن وجوهر فى صميم الامة ، وبين ما زاد عليها وليس منها ، وانما هو فرع وجانب من الجوانب ،

وعرض من الاعراض ، وعارض من العوارض . وليس فى انواع التفكير ولا فى الوان التقدير والحكم على الاشياء، اقبح ولا امعن فى الخطا ، من التفكير والتقدير والحكم على الاشياء مع ارادة الشمول والاحاطة بها ! والحال ان هناك الشيء وهناك ما يقابله . وهناك ظاهره وهناك باطنه . وهناك كنهه وحقيقته . كما ان هناك صفاته الظاهرة وعوارضه . اليس من خصائص العقل التمييز؟ فاذا كان العقل لا يميز بين ذلك كله ، فانه عقل هو فى حاجة الى عقال . وقديما قالوا « من جعل الناس سواء، فليس لحمقه دواء »

ومقدسات الامم هي اثمن واغلى وانفس ما تملك. وليست بالمكان الذي يمكن معه لكل فرد ان يلوكه بلسان او ينعته ببنان ، خصوصا اذا كان اللائك ، أو الناعت وليدا حدثا لا زال فى سن الدراسة .

ومقدسات كل امة وليدة القرون وصنع التاريخ والتطور الانساني فى اجيال واجيال ، وليس للانسان فيها من يد الا ما كان فى المحافظة عليها لضرورة الاجتماع والاستقرار . والاجتماع لا يتصور على عدم او على فراغ . كما ان الاستقرار لا بد له من قرار ومستقر .

وهذا المستقر هو المقدسات التي تختلف باختلاف الشعوب والهيئات ، ولكن صفتها الاولى الرئيسية هي قداستها ، وحكمة وجودها ومشروعيتها هي كونها اساس الاستقرار فى الامم . ومن خير الامة ومن خير مفكريها الا يقصد الى محاولة تحطيم المقدسات . بل الواجب على الامة جميعا وعلى المفكرين فردا فردا ، ان يعملوا على التهذيب والتشذيب فحسب ، للسلوك بالمقدسات فى سبيل النجاة ، وهي سبيل التطور والرقي لا سبيل الطفرة التي لا تؤدي الا الى الفوضى وبلبلة الافكار والمعتقدات وقلب الاوضاع من غير تمحيص وتبصر وتثبت .

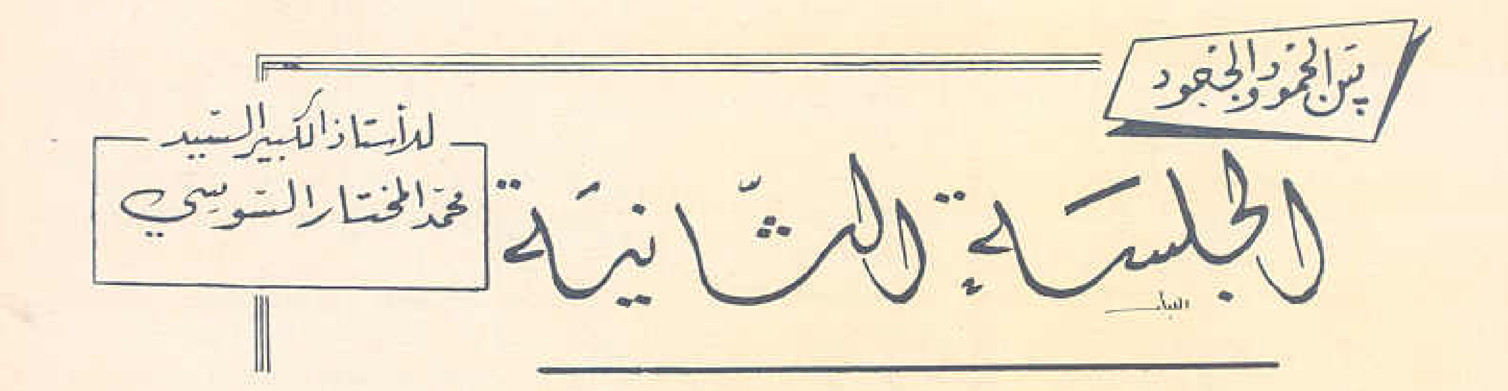
ومهما كان للجيل الحاضر فى المغرب من حق ، فالحق الذي لا ينازعه فى مشروعيته احد ، هو فى مسايرة التطور مع السعي للمحافظة على الصالح من تراثنا فى سائر الميادين ، من غير محاولة للقضاء عليه باجمعه. لان القضاء على كل تراث خسران مبين

الاستانة فاتح شتنبر 1958

عبد الكبير الفهري الفاسي



الصحراوي الصغير ــ معرض كريم بناني



التفت بعد انعقاد الجلسة الى الدكتور فقلت له .
ايها الدكتور العظيم ــ وما كلمة العظيم بكلمة تملق . وانما هي كلمة اطلقتها وانا اريد مدلولها الحقيقي ــ انني الآن فى مقام انوب فيه عن كل افراد هذا المجلس الموقر . فانا لسانهم المتكلم وترجمانهم المعرب ، وقد كان تقدم بيني وبينك بحث كنا وصلنا فيه الى غاية ، واريد ان القي الآن على الاخ الكريم اسئلة تتطلب اجوبة ، ثم من بعدها نخلص الى موضوع هذه الجلسة المباركة .
اجبني ، هل الحق وحده هو طلبتك ، او انما تريد ان تقطع الوقت بالبحث ، ثم لا غرض لك وراء البحث الا لذة البحث فقط ؟ كما نراه من بعض اهل هذا العصر ؟.

فقال : ان مقصود العقلاء فى البحث هو الوصول الى غاية يجعلونها بين عينيهم ، لا مجرد البحث للذة البحث فقط ، كما يقع فيه بعض من اعرفهم من الذين لا مبدأ لهم ولا غاية ، فاي عاقل يزاول زراعة ويشقى فى شق الارض وفى بذر البذور وفى التقليم والتنقية من النباتات الطفيلية ، ثم فى الحصاد والجمع ، ثم لايقصد فى ذلك الا لذة العمل ، من غير ان يقصد ثمرة محسوسة يجنيها ، فان كان هناك مختل قد يقصد نحو هذا فما انا من المختلين .

فقلت : حسنا قلت ، وبالحق اجبت . ثم قلت له ايضا : ارايت لو كان بين يديك اكمه ، لم ير قط نور الوجود ، ولا شاهد الشمس ولا النجوم ولا عظمة السموات ولا جمال الغابات ولا نضارة الازهار فى الحدائق ، فكان كلما حدثته بان ذلك كله موجود ينكر عليك اشد الانكار ، ثم عمدت به الى طبيب ماهر عرف من غشاوة عينيه انها تزول فيرجع النور الى الحدقتين ، ففعل به ذلك ، فلما راى الوجود وما يغمره من النور الوهاج ، من السماء ذات الابراج ، والارض ذات الفجاج ، رجع الكمه الى بصيرته فاقبل عليك بمثل انكاره اولا . ففي اي طبقة تعده بين الناس ؟ فقال : من طبقة المستكبرين المتعامين عن الحق ، ثم لا دواء له عندي الا ان اضحك على ذقنه فيما بيني ونفسي .

ثم قلت : لله درك ، فقد اصبت عين الحق فى حكمك على صاحبك هذا اصابة ما مثلها اصابة . ثم قلت له ايضا : ما تقول فى رجل اضل محجنه ، فصار يفتش عنه ما بين الذين يغشون النادي الذي اضله فيه ، فيجاء احدهم فوصفه له وصفا شافيا كافيا ، وقد نعته بما لايمكن ان يكون في محجن آخر ، ثم لاقى آخر فآخر فآخر وكل واحد منهم يصفه بمثل ذلك الوصف ، ويقول كل واحد على انفراد : انه رآه في يد فلان تناوله من الركن الجنوبي من النادي ، وكان هذا الركن هو الذي يجول في ذهن المضل للمحجن انه تركه فيه ، اكنت تزداد يقينا باخبار من اخبروك بعد الاول ، ام لا ترى الحقيقة ناصعة الا في خبر الذي اخبرك اولا وان لم يمكن ان يتواطأ مع من اخبروك ثانيا ؟

فقال : بل انني ازداد يقينا بخبر كل مخبر منهم متى استوفى كل واحد منهم شروط الصدق .

فقلت : كذلك الحق يكون ، لايختلف فيه ، ولا يزداد بكثرة قائليه الا ثباتا ، والحق ناصع لايمكن ان يخفى .

ثم قلت له : احب منك الآن ان تصيخ الي حتى تسمع مني ماهية الاسلام واصله الاساسي بكلمة مجملة ؟

فقال : قل ، فكلي مسامع . فقلت :

ان اصل الاسلام الاصيل واضح لارموز فيه ، وهو الاعتقاد بوجود اله قادر على كل شيء ولا يغيره شيء ، خلق العوالم وحكمها بقوانين ونواميس عامة ، والاعتقاد بوجود حياة اخرى تؤدي لنا كل وعود هذه الحياة الدنيا ، وتكافيء المظالم بالجزاء الاوفى .

وبعبارة اخرى : قواعد الاسلام التي ترتكز عليها اصوله : الاعتقاد بوجود اله مختار خلق الكائنات واعتنى بها ، وهو متميز عن العوالم الكونية وعن النوع الانساني ؛ وبوجود روح في جسم الانسان متصفة بالذكاء والحرية ، وقد حبست في هذا الجسم المادي امدا لتبتلى فيه ، وهذه الروح يمكنها بارادتها ان تطهر هذا الجسم وتنقيه اذا عرجت به نحو السماء ، كما يمكنها ان تسفله باستئناسها بالمادة الصماء ، والاعتقاد المطلق برفعة التعقل على الاحساس ، واعطاء الاخلاق الفاضلة اسمها الحقيقي ، وهو الامتحان والابتلاء ، وتحديد غرضها الحقيقي ، وهو التخليص التدريجي للنفس من علائق الجسم ، والتهيؤ لساعة الموت بالزهادة ، واخيرا الاعتراف بقانون الترقي ، ولكن بدون فصل رقي الانسان في مدارج السعادة من العواطف الفاضلة التي هي وحدها تبرر تلك السعادة.

وبعبارة اخرى أوسع : ان الاسلام كلمة قد يسمعها من لايدرك مدلولها الحقيقي ، فيخالها كلمة لايتجاوز معناها ما يعطيه بديهة تركيبها ، لكن كم يتعجب ان عرف ان مدلول الاسلام هو ذلك الدين العظيم المنعش للانسانية بعد ما دب اليها الذبول ، والموقظ للعقل البشري اثر ما اذهله **اصطدامه الهائل مع بطش المستبدين** ، وغطرسة المتعجرفين ، والاوامر الماحقة التي كانت تصدر من مؤتمرات المحرفين للاديان في القرون الوسطى ، يوم يعلنون انه لامجال للعقل في تلك الاديان البتة .. ولا لنور الالباب فائدة تنتظر في ميادين السعادة دنيا واخرى ؛ فألقي العقل منبوذا في العراء ، حتى صدئت مراياه ، وكسفت انواره ، لولا بعض فلاسفة لايزالون يجيلونه سرا وهم يتسترون خوف احراق رؤساء الاديان المحرفة ، وخوف بطش اذنابهم من اصحاب السلطة المتغطرسة ، حتى جاء الاسلام ، فوجد العالم يغط في السبات ، ويرسف في الظلمات ، وتختنق منه الحريات ، والعلوم خاوية على عروشها ، وعبادة الاوثان وانصاف الاوثان من فراعنة السلاطين مخيمة على العالم ، فصرخ الاسلام صرخته الصاخة ، يندب الناس الى نصب ميزان العقول ، والى انهم اخوة لا فضل لاحد على احد الا بالتقوى ، وان الناس كلهم من آدم ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لشرقي على غربي ولا لابيض على أسود، الا بالعقل والعلم المؤسسين على التقوى ؛ ثم صار الاسلام يبعث فضائل الانسانية من رموسها ، فحث على العدل والانصاف واحقاق الحق وابطال الباطل ، ومراعاة سنن الكون ، وعلى الحرية والمساواة والاخاء ، فحث على ان لايقبل شيء الا ببرهان ، وان لايستخذى انسان لانسان آخر استخذاء العبودية ، فكل بني آدم احرار في تفكيرهم وفي اموالهم وفي اعمالهم كلها ، فمن أحسن فلنفسه ومن اساء فعليها ؛ وان الانسان يراد به الكمال والسمو والشفوف ، فكل ما في هذا الكون ، في السماء والارض ، لم يخلق الا له وحده ، فليتمتع بالطيبات تمتعا وسطا ، وليتجنب الخبائث ؛ وانه يراد به اليسر ورفع الحرج ، وان ازاء عالم المادة عالما روحانيا اسمى واشرف واجل ، فان كان الانسان يشبه بعالمه الحيواني الحيوانات العجماء ، فانه يشبه بعالمه الروحاني الملأ الأعلى ، وهو عالم آخر ، طاهر مقدس ، لا ياكل ولا يشرب ، ولا يسف الى الشهوات، وهم الملائكة ؛ فحث الاسلام بني آدم ان يتطاولوا الى التشبه بذلك العالم الاعلى ، بالعزوف عن الدنايا والاكباب على الشهوات البهيمية اكثر مما يكون وسطا من غير افراط ولا تفريط ، فالمسلم يشرف بعالمه الروحاني اكثر مما يشرف بعالمه المادي ، وان كان كلا العالمين ينبغي له مراعاته بمقداره ، كما يعظم امله دائما في ان ينيله ربه كل ما يجول في ذهنه كيفما كان مأموله ثم لا يأسف ولا تتطاير نفسه حزنا ان لم ينل ما يامله، لانه يعلم ان ما كان قدر له سيناله ولابد ، وما لم يقدر لايناله ابدا ، وهو مومن بالقضاء والقدر .

وقد ظهر من بين الناس رجال معروفون نسبا وحسبا ــ عرفت تواريخ نشأتهم ــ انبسط عليهم من العالم الروحاني الذي هو الملأ الاعلى ، تاثير وقع به الاتصال ، فتسبب عن ذلك علم عجيب بالوحي ، نفع الانسانية نفعا لا يكيف ، ورقى المدارك ، فأوجب الاسلام الاعتراف بمزية هؤلاء الرجال المسمين الانبياء، وجعله من بنود اعتقاداته الاساسية ، ليكون حالهم مقياسا لاحوال غيرهم ممن اعتقدوهم . فكان نبي الاسلام الذي جاء من عند الله هو محمد بن عبد الله العربي الهاشمي ، وهو معروف النشأة ، لايمكن ان يخامر من عرف سيرته الواضحة المعروفة ، اكثر مما عرفت تواريخ غيره من الرجال العظام ، اي شك في صحة كل ما اخبر به ، فقد جاء بكتاب مقدس عجيب ،

لايزال الى الآن — وقد مر عليه ازيد من ثلاثة عشر قرنا — مبحثا للمفكرين ، ومستقى للعلماء ، فكل ما فيه شفاء للصدور ، واسس للمدنية الفاضلة ، وكليات للمعاملات ، ومنبع صاف لايفيض للعلم وللعقل وللاخلاق وللتوحيد الخالص لله ، وكيف تعلق العبد بربه ، وكيف تطيب الحياة الدنيا ، وكيف يستعد الانسان للحياة التي هي الحياة حقا ، بعد ان يتملص من هذا العالم بالموت الذي لابد منه لكل حي .

ان الاسلام دين التوحيد ، ودين الفطرة ، ودين الاخلاص ، ودين القلب والعاطفة ، ودين الشمم والحمية المحمودة ، ودين العزم والحزم والعمل ، ودين الحرية ، ودين المساواة والاخاء ، ودين العقل ودين العدل ، ودين الرفق العام بكل ذي كبد رطبة ، ودين المعارف الواسعة ، ودين الفلسفة الثابتة الاساس ، ودين الاخلاق والفضائل والآداب الخاصة والعامة ، ودين النظام التام فى كل الشؤون ، ودين مجاراة سنن الكون ، ودين البساطة ، ودين رفع الحرج ، ودين المسامحة ، ودين المحافظة على النفوس والعرض ، ودين مراعاة المال ، ودين العمران ، ودين الكمال الانساني ، ودين الامل الواسع ، ودين المدنية الحق ، ودين الحياتين معا ، والدين العام الصالح لكل زمان ومكان ، يصلح لكل عنصر من عناصر بني الانسان ، اي شعب كانوا ؛ دين العلماء الفلاسفة ، ودين الاغبياء المغفلين ، ودين المتوسطين فى المدارك ، ودين السعادة التامة التي لا تنشد الانسانية سواها فى كل آمالها .

ذلك هو الاسلام ، الموسع لمدارك متبعيه ، فيعلمون فى الخطوة الاولى ان هنالك عوالم غير هذه ، منها عالم صالح كالملائكة ، وعالم غاو كالشياطين ، ثم يكون كل انسان امير نفسه فى اعماله ، وحسيب نفسه قبل يوم يحاسب فيه الناس اجمعون ، فيجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته .

ذلك هو الاسلام ، الذي جاء لاصلاح الاديان التي تقدمت قبله ، فازال ما حرفه المحرفون منها ، واوجب الايمان بها كلها ، الايمان بانبيائها وبكتبها ؛ فاتى بعبادات منظمة بين الليل والنهار ، وبسنوية تكون وصلة بين العبد وربه .

وروح العبادة فى الاسلام الاخلاص وحده ، فلا واسطة بين العبد وربه ، ولا مراقبة لاحد على قلبه الا شعوره وحده ، فان أصلح ما بينه وبين ربه فانه صالح والا فانه طالح ، ثم لا يضير الا نفسه . ثم كان مغزى العبادة فى الاسلام ترقية الروح وتخليص النفس من شوائبها ، والنظافة وعلو الهمة ، والتخلق بكل اخلاق المعالي ، حتى يكون الانسان من المثل العليا .

ان الله — الذي يعتقده الاسلام اله كل شيء — هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا احد ، وسع كل شيء علما ، خالق كل شيء ، وهو على كل شيء قدير ، لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، كل يوم هو فى شان ، لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ، قديم ليس لاوليته ابتداء ، باق ابدا ، كل شيء هالك الا وجهه ، هو الفاعل المختار الفعال لما يريد ، يحيي ويميت ويقبض ويبسط ، حكيم فى كل افعاله ، احسن كل شيء خلقه ، تدل عليه العوالم ، ويدرك الانسان وجوده ادراكا لاشك فيه . ثم يقطع الاسلام الطريق دون التطلع الى معرفة كنه ذاته ، فنهى عن التفكير فيه ، لان ذلك فوق العقول البشرية ، والتكليف به من المحال ، ولا محال فى عقيدة الانسان ولا ما ينافي العقول ابدا .

*

يا حماد ، هذا هو الاسلام الذي نعرضه عليك فى كلام لم ننظمه لك تنظيم علماء الفلسفة ، لتدرك من اول وهلة ان اصوله بسيطة غير غامضة ، وقد لخصنا لك كل ما اتى به الاسلام من اصوله ومن آدابه، ومن اوامره ومن نواهيه ، لعلك تستحضره اجمالا ، فتدرك ان الاسلام يشتمل على اعتقادات وآداب ومعاملات ، وعلى كل ما تتوقف عليه الحياتان معا ؛ فقد جاء الاسلام بدين عام ، تتكفل اصوله بكل ما يتوقف عليه المسلم فى عاداته وفى عباداته وفى معاملاته كلها .

فقال حماد : انني لفي عجب من جهتين :

اما الجهة الاولى فانك عمدت الى بنود الديانة الروحية التي كنا بحثنا فيها قبل اليوم ، فجعلتها هي الاصل الاصيل لدين الاسلام ، فقد سقت عين ما قاله جول سيمون وكارو — فى ديانتهما — فى تفسير دين الاسلام ، ولا ريب انك انما اردت ان تبرهن لي على ان الاسلام وديانة اولئك الفلاسفة لعلى نمط واحد ، ثم غيرت العبارة ، فافضت — فى بعض اسهاب — فى كلام آخر له شبه كبير ببنود تلك الديانة الروحانية ، ثم عمدت الى كل ما تعرف انني استحسنه من المدنية العصرية فادمجته فى بنود الاسلام .

واما الجهة الثانية فانني لو ايقنت ان الاسلام هو عين كل ماتقوله يقينا من اعماق قلبي لاعلنت قبوله منذ الآن فأي عاقل يرفض دينا يوافق في اصله الاصيل ما وصلت اليه عقول الفلاسفة الذين لهم عقول جبارة ، بل اي عاقل لا يقبل دنيا جعلته دين العقل ودين العلم ، ودين الفلسفة التامة ، ودين الحرية والمساواة والاخاء ، ودين الاخلاق ، ودين النظام ، ودين مجاراة سنن الكون ، ودين رفع الحرج ودين المسامحة، ودين المحافظة على النفس والعرض ، ودين مراعاة المال، ودين العمران ، ودين الامل الواسع ، ودين الكمال الانساني ، ودين المدنية الحق ، ودين الحياتين معا ، والدين العام الصالح لكل زمان ومكان ، يصلح لكل عنصر من عناصر بني الانسان اي شعب كانوا ، دين الفلاسفة العلماء ، ودين الاغبياء المغفلين ، ودين المتوسطين في المدارك ، ودين السعادة التامة التي لا تنشد الانسانية سواها في كل آمالها ، ولا تتطلب بكل مساعيها غير الاستحواذ عليها . اتدري ايها الرجل ما تقول ؟ الا تحسب انني اتثبت في كل ما يعرض على تثبتا تاما ؛ فلا اقبل الا بعد الوزن بالقسطاس المستقيم ؟ اتعمد الى دين لا يحلم الفلاسفة العظام بأرفع منه ، فتزعم انه دين هذه الامم الجاهلة المنحطة ، لا يرى فيها من يراها الا عقولا سخيفة ، واخلاقا سافلة ، وجهلا عميقا ، وجمودا في العواطف ؟ ام تحسب انني اسلس لك القياد ان عمدت الى كل ما يعجب من آراء الفلاسفة المفكرين ، وكل ما يسوقه امثال افلاطون في مدنيته الفاضلة ، فاسبلته على دينك ؟ فلو كان دين الاسلام هكذا حقا ، لكان اول من يتسابق اليه امم الغرب ، التي نراها تتطلب دائما المثل العليا في كل ميادين حياتها، ثم لا تزال تعوزها الى الآن ، ام تزعم ان دينكم يخفى عن المؤرخين العظام من الغربيين ، وهم الذين قلبوا كل صحيفة من الكتب القديمة حتى لم يغادروا جملة الا وامعنوا فيها امعان المتفهم المفتش عن الحقيقة كيفما كانت ؟

لا استبعد ان يحتوي الاسلام على الاعتراف برب خلق الكائنات ، وعلى بعض اصول الفضيلة والعدل ، وعلى الاعتقاد بالمعاد ، فان هذا معروف عند كل الاديان القديمة ، وانما الذي استبعده فيه كل الاستبعاد ، هو الاعتناء بالحرية التامة والمساواة والاخاء بين البشر كلهم — وفق ما اعلنته ثورة 1789 م ؛ والاعتناء بالعمران وحفظ المال ، والتمتع بالطيبات والنشاط في هذه الحياة، والعدل العام الذي يتساوى امامه الداخلون في الدين والكافرون به ، والرفق الواسع الذي يتسع حتى للحيوانات العجماء ، والترقية لشؤون الامة ترقية تفضي بها الى مثل المدنية الحاضرة ؛ والاعتماد على العقل اعتمادا تاما حتى يودي الى الاختراع والاكتشاف؛ والنشر للمعارف الدنيوية التي تثقف افراد الامة ، وتؤهلهم لخوض المعترك الحيوي باستقلال الفكر ومتانة الاخلاق والاقدام التام ؛ وتوسيع الانظمة في كل ناحية من نواحي الحياة حتى تنتظم شؤون الانسان في نفسه ، وبينه وبين ربه ، وفي افراد الامة ، حتى يؤدي كل واحد واجبه للمجموع ؛ فهذه الامور كلها مما استبعده عن الاسلام .

واما ان وصلنا الى انه دين الفلسفة الثابتة الاساس — وفق تعبيرك — فانني احس من داخلي بصارخ يصرخ — بكل ما في طوقه — بأن هذا غلو واغراق في الاطراء لهذا الدين ان لم يكن كذبا صراحا ؛ فاين عقول هؤلاء الهمج الرعاع وتفكيرهم من عقول الفلاسفة وتفكيرهم ؟ ومثل هذا يقال فيما ذكرته من انه دين يصلح للمدنية ، فان عقلي دون قبول هذا لموصد يا اخي ايصادا ، وبعد كل هذا نرى بين ايدينا اعدل شاهد ضد غالب ما نسبته لهذا الدين ، فهذه الامم التي تعتنق هذا الدين ، بلغت اليوم في الانحطاط والتاخر ما لا يمكن ان يصدر عن امم تعتقد مثل هذا الدين العجيب ، ولا نشك في ان المتدين لا ينطبع الا بطابع دينه، فالمسيحيون الذين ينكر دينهم التمتع في هذه الحياة لا يزالون في التاخر ، ولم تتقدم بهم حكوماتهم حتى نبذت ذلك الدين بتأثير الفلسفة والعلم المنبعثين من وراء ثورة 1789 م ، ثم لما جال العلم في تلك الامم وساد حكم العقل ، وانطلقت الحرية من عقالها ، تقدمت تلك الامم تقدما عجيبا .

وهل المسلمون الا كالمسيحيين؟ وهل دينهما الا متشابه؟ فلو تهيا لامم الاسلام ايضا من يجولون بالعلم ويسودون بالعقول ويطلقون اعنة الحرية ، وينبذون ذلك الدين الذي هو سبب الانحطاط لرايت تقدما عجيبا ، لان للكون سننا لا يمكن ان تتخلف ، انك يا هذا تذكر دين الاسلام ذكرا مجيدا عجيبا باهرا ، ولكن هل يتفق مع ما نراه من الامم التي تعتنقه ؟ مع انك ذكرت ان الاسلام دين الاخلاص ودين القلب ، ولو كان كذلك لظهرت آثاره على الامم الاسلامية ، او ليس كل هذا معقولا ؟

فتركت الدكتور يسهب فيما يقول ، وانا اظهر له بطلاقة اساريري انني احسن الاستماع الى كل ما يفوه به ، على حين انني ارى الشيخ والفقيه يتململان ويتجهمان ويهمان بشيء الا انهما يذكران تلك الشروط التي تفرض عليهما السكوت ، فيسكتان عن مضض شديد اكاد اسمع به تقلقل قلبيهما بين اضلاعهما، فلما فرغ الدكتور من كلامه ، قلت له : هل نفثت كل ما في صدرك ، راتيت بكل ما تريد ان تاتي به ؟ .

فقال : نعم . ذلك جل ما كان يخامرني حين وصفت الاسلام بما قلت .

فقلت : اجبني اولا هل يعجبك كل ما كنت ذكرته لك فى دين الاسلام واصوله وآدابه وما اليها وفق ما كنت سقته ءانفا ؟ .

فقال : نعم . ومن ذا الذي لا يعجب بمثل هذا الدين القويم ، وان كان بعض ما ذكرته يحتاج الى امعان نظر وبحث جديد، الا ان ذلك قليل، واما المجموع فانني لا انكره منذ الآن ، وانما الذي انكره كل الانكار ان يكون الاسلام حقا هو ما ذكرته ، فسامحني ان قلت لك : انني اتهمك فى مجموع ما نسبته الى الاسلام ، وعذري هو ما اراه من الامم الاسلامية اولا ، وما اراه من عدم اهتبال الغربيين به ثانيا ، لانني اوقن انه لو كان الاسلام كما ذكرت ، لوجد من العلماء المنصفين من الغربيين من يعتنقونه ويدعون اليه ، ويروجون مبادئه ، فانهم ما كانوا يحلمون بدين اعلى شأنا ، واوسع صدرا ، واطفح سعادة ، واقوم قيلا ، واحسن اثرا ، واليق بالمدنية منه، ولا يمكن ان نقول انهم يجهلونه ، فان هذا غير ممكن .

فقلت : ان عندي لك جوابين ، اولهما مجمل موجز ، والثاني مفصل مسهب. فاما الجواب الاول فهو اننا الآن لا نبحث فى موضوع حالة الامم الاسلامية التي هي عليها الآن او امس ، وانما موضوع بحثنا ماهية الاسلام ، نريد ان نعرفها كما هي ، خالصة خالية مما عسى ان يلصق بها وليس منها فى شيء ، وحين تعترض لك حالة الامم الاسلامية الآن ، فاننا نقول حولها كلمة صغيرة فقط ، ثم نرجع الى موضوعنا الذي نحن فيه، ثم ان لم تكتف بما نقوله الآن رجعنا الى ذلك بعد حين .

اعلم ان الدين الصحيح لا يمكن ان تتخذ الامم التي اعتنقته مثالا صحيحا له ، ونموذجا صادقا لصحته ، الا اذا تخلقوا به ، واتبعوا كل بنوده حذو القذة بالقذة ، ونفذوا كل مبادئه فى انفسهم وفى اسرهم وفى مجتمعاتهم وفى كل معاملاتهم تنفيذا تاما ، واما ان حرفوه وتنكبوا سبيله ، ولم يجعلوا له سلطانا مهيمنا على انفسهم وعلى اسرهم وعلى مجتمعاتهم وعلى معاملاتهم ، فان دينهم منهم براء ، فلا يمثلونه ولا يصح ان يكونوا نماذجه ، فان سلمت هذا فما يدريك ان الامم الاسلامية اليوم انما تنكبت سبيل الاسلام فى بعض مناحيها ، فسقطت فى هوتها السحيقة التي تراها فيها ؟ افليس من الاحجاف فى الحكم اذن ان تحكم بحالة هذه الامم على حقيقة الاسلام ؟ ومثل هذا ما تراه من بعض من يسمون عندكم فى مدنيتكم العصرية ، فكم عالم له عقل جبار — وفق تعبيركم — له متى غادر منصة ابحاثه سعي حثيث الى الرذائل ، كفلان ، وفلان ، ممن تظل الصحف وتبيت فى تمجيدهم وجعلهم المثل العليا فى الحياة ، فهل تدل افعالهم المتسفة على ان ما يقولونه غير صحيح ؟ واما ما ذكرته من ان الاسلام لو كان صحيحا لما خفى عن الغربيين ، ولا عتنقوه ، او لكان منهم على الاقل من يبث مبادئه ويمجده ويرفع شانه ، فاقول : مهلا عليك . فانك — كما يظهر — لم تعرف بعد نفسية اكثر علماء الغرب ، فان علمهم وابحاثهم مقصورة على ما يؤول الى وطنهم حاضرا وغابرا بالمجد والشرف والعظمة ، حتى اذا بحث منهم باحث فى مثل موضوع الاسلام ، لايجد من نفسه باعثا يحمله على الانصاف وعلى الشجاعة الكافية ، حتى ياتي قومه بما يقومون به ضده قومة واحدة ، لما علم من عداوة ما بين اتباع الاديان ؛ والامم الغربية لا تزال مسيحية فكرة وعادة ، بل وعقلية ، فان زعمت غير هذا فانك لا تزال ناقص العلم بما هنالك ، وزد على هذا ان الاطلاع على الاسلام وعلى حقيقته يحتاج الى اتقان اللغة العربية ودراستها دراسة مستوفية ، ولعله لا يعزب عنك ان دراسة العربية قليلة جدا جدا فى مدارس الغرب ، لا يتعاطاها الا احد رجلين غالبا ، اما راهب يريدها ليجد متسربا الى العرب ليمكن له خطابهم بلغتهم لعله يستميلهم الى دينه المسيحي ، واما سياسي دفعته السياسة الى ذلك ليمكن لها ان تسيطر على امة العرب وما اليها ، وان تنفذ باتقان لغتهم الى طوايا اهلها وخبايا انفسهم ، ولا ريب ان مثل هذا المستعمرلا ينتظر منه الاخذ بحقيقة الاسلام ولا الاهتبال بها ، لان نيته الاصلية هي بسط نفوذه على هذه الامة ، وان يزيدها فى التاخر وفى تفهيمها انها ليست على شيء؛ افينتظر منه غير هذا لو كان حقا يدرك حقيقة الاسلام؟ وزد على ذلك ان ادارة السياسة تكون له بالمرصاد .

نعم هناك بعض افذاذ يدرسون لانفسهم وهم منصفون ، فهؤلاء صرحوا بحقيقة الاسلام فى العالم الغربي وكتبوه فى كتبهم ، بل منهم من اعتنق الاسلام ، ورجع الى امته يدعو اليه كبعض الانكليزيين والامريكانيين ، وفى الانكليز والولايات المتحدة اليوم جماعات اسلامية اهتدت الى الحق ؛ وكذلك يوجد افراد قليلون فى كل امم الغرب ، فان لم يكن عندك هذا الخبر فاسأل العارفين يخبروك . وممن اشاد بالاسلام المسيو سنكس ، فقد قال :

ان الديانة الاسلامية احدثت رقيا كبيرا جدا فى العاطفة الدينية فى العالم ، وخلصت العقل الانساني من قيوده الثقيلة التي كانت تاسره حول الهياكل بين يدي الكهان ، ذوي الصبغ الدينية المختلفة ... وهـو فى نظرنا ــ على شرط تخليصه من كل التعاليم التـي الصقتها به الشعوب الطفلة ، ومن كل الشروح الباطلة التي شرحت بها اقوال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ــ اكبر واعظم ما يدركه الانسان من معنى الدين وتعاليمه التي يجب ان تكون بين الانسان وخالقه هي اكثر التعاليم انطباقا على النواميس الطبيعية وقوانين العقل الانساني) وقد نشر المقال فى المجلة الروحية .

وتجد كثيرا من اقوال المنصفين حول الاسلام بين مؤلفاتهم ، ولعل ما وقفنا عليه فى ذلك لو جمع يكون مجلدا ضخما ، افنريد من الفربيين اكثر من هذا ؟ ونحن نتصور ما كانت فيه امم الغرب قبل القرن الماضي مما يعتقده المسيحيون فى الاسلام وما كذبوه حوله، واثر ذلك لا يزال ماثلا للعيان ، والاغرب والاعجب ان ترجمة القرءان لم يكن يحافظ فيها على روح الاسلام كما هـو فى لغة القرءان ، فقد حدث فى السنوات القريبة ان بعض العلماء ترجم القرءان ترجمة صحيحة الى بعض اللغات الحية ، فحين اهدى من نسخها المطبوعة الى الصحف والمجلات سالت اعمدتها بمدح الترجمة ، وقال كتابها : ان كان حقا الاسلام هو ما فى هذه الترجمة ، فما للمدنية الغربية لا تزال تبتعد عن الاعتراف بالاسلام كدين لها ؟ فانها حقا تتمشى على اسسه ونظمه كما هـي ، ولا ينقصها الا الاعتراف الرسمي .

فلما راج ذلك فى الاندية اهتزت السياسة والكنيسة هزة عنيفة قامت بها ضجة عظيمة ، فتدخل اناس ليرتد المترجم عن ترجمته فينكر انها احق من الترجمات السابقة ، فثبت على مبدئه ، واصر على جمع لجنة تقابل ما بين ترجمته الاخيرة وبين الترجمات السابقة، فاعلنت اللجنة بعد التثبت ان الترجمة الاخيرة اقرب الى روح القرءان ، فقال المترجم : انني حاولت ان اترجم طبق الاصل ، الا ان اللغة المترجم اليها لغة تعتني بالماديات اكثر من الروحيات وليست فى ذلك كاللغة العربية ، فيشوب التعبير فى الترجمة ــ وان افرغت جهدي ــ نقص .

وبعد كل هذا دخلت سياسة الاستعمار ، فاملت حكمها على لسان احد الوزراء المشهورين ، فطويت المسألة طيا ، ومنعت الجرائد من الخوض فيها .

ارايت يا حماد ما يصد الغربيين عن ادراك حقيقة الاسلام ، افبعد هذا كله تجعل لك عذرا عدم قبول الغربيين للاسلام ؟

يا هذا اتريد ان اصرح لك بحقيقة يجب علي ان اصرح لك بها وجوبا تاما : واستسمحك قبل ان اعلنها اليك ؟ اتدري من اين يؤتى ايها الاخ امثالك ؟ انكم بين افراطين شديدين ، فقد افرطتم فى تحسين الظن فى الغربيين الى حد انكم تجعلونهم من المعصومين من الخطا، تزعمون انهم يعلمون كل شيء، ويتصفون بكل فضيلة ، ثم تفرطون ثانيا فى الامم الشرقية فتسلبونهم من كل فضيلة ، وتنسبون اليهم كل سخافة ، وترونهم مثالا مجسما من الجهالات والاسفاف فى المدارك ؛ والحق الصراح وراء هذين الافراطين ؛ فما الغربيون كلهم كما تزعمون ، ولا الشرقيون كلهم كما تخالون ، اتئدوا رحمكم الله ، ووسعوا صدوركم حتى تدركوا الحقائق ، ثم لا يحملكم حامل على ردها ، سواء ادركتموها عند الغربيين او عند الشرقيين ، كما انه يتحتم عليكم ان تروا الرذيلة رذيلة والجهل جهلا سواء ظهر ذلك من الغربيين او الشرقيين؛ يجب على الانسان ان يتهم دائما معلوماته فلا يجعلها محيطة بكل شيء ، ولا يراها بحيث لا يعزب عنها مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض ...

قلت هذا فاذا بالشيخ يقول :

وما اوتيتم من العلم الا قليلا ، والله يعلم وانتم لا تعلمون . صدق الله العظيم .

واذا بالفقيه يقول بعده هذين البيتين :

تبا له تزن عقل الانام ويظهـروا
اليك خباياهم كانـك اهلهـا
ولا تظهرن منك الفطانة يكتموا
عليك امورا ربما ضـر جهلهـا

وانشد ايضا :

فقل لمن يدعي علما ومعرفـة
عرفت شيئا وغابت عنك اشياء

فهكذا قطع الرجلان عني ما كان يجيش بـــه صدري ، واتيا بما لسنا الآن بصدده ، ولكن لاباس .

ثم التفت الى الدكتور فقلت له : كنت ذكرت ان لك عذرين واضحين ، جعلتهما اعدل شاهد علـــى ان الاسلام على غير ما وصفته به : حالة المسلمين اليوم ، وعدم اهتبال الغربيين بالاسلام . فقد سمعت الآن ما سمعت ايها الاخ ، الا تزال على ما قلت ؟

فقال : اما فيما يتعلق بالغربيين ، فيظهر لي ان اكتفي بما ذكرت وقد كنت اجهله ، واذ عرفت الآن ما كنت اجهل فانني ارجع الى الحق ؛ واما فيما يتعلـق بحالة امم الاسلام الحاضرة ، فان حرفوا دينهم تحريفا تاما على ما هو عليه فالامر كما قلت ، فان دينهم منــه براء ، وان كانوا لايزالون على دينهم فان الامر على مــا كنت قلته ، ولن يزول عني هذا حتى ادرس الاســلام حق الدراسة ، ثم ازن حالة هذه الامم بحقيقة الاسلام نارى النتيجة بنفسي ؛ ولذلك لارى بأسا من ارجــاء اتمام هذا البحث حول حالة المسلمين الحاضرة ، حتى نستتم دراسة الاسلام .

فقلت : حسن ما قلت ، فلنرجىء ذلك الى حين ؛ وهنا اقول ان الجواب الثاني المفصل المسهب لاتــزال تنتظره مني ، وموضوعه ان اريك حقيقة الاسلام مــن منبعه الصافي .

فقال : وما هو منبعه الصافي ؟

فقلت : القرءان الآتي بكليات الاسلام كلها فــي المعتقدات والعبادات والمعاملات ، وهو كتاب مصون ، لايزال الآن كما هو وقت جمعه بين الدفتين ، ولايمكن ان تجد كلمة محرفة فيه بين المصاحف ما بين الصين شرقا الى امريكا غربا ، وقد استوفى كل شـــروط الرواية الصحيحة ، المحاطة بسياج متين من التدقيق والعناية ، وهو في صدور حفظته من المسلمين ــ وهم ملايين ــ هو هو في كل المصاحف ما بين المشـــرق والمغرب .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كلمــا نزلت عليه ءاية منه يتلوها على مسامع اصحابه وهــم مئات ، فيكتبون ما انزل ويحفظونه في الصدور ، ثــم يتدارسونه ، فلا يمكن ان يتوقف واحد منهم في ءاية الا وجد امامه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيجـد عنده وعند غيره من الذين يحفظون ساعة التلاوة الاولى ما يتوقف عليه ، فكان من الصحابة ــ وهم اصحـاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين يلازمونه ــ حفاظ كثيرون ، ولم يكد يتوفى الرسول صلى الله عليهوسلم حتى جمعوه خوف ان يقع فيه الاختلاف ، ثم لم يطل الزمن ،فكتبت مصاحف متعددة قوبلت مقابلة تامة ، فبعثت الى امصار المسلمين ، ثم اقبل المسلمون جيلا فجيلا الى الآن على حفظ القرءان حفظا عجيبا ، لاتجد له نظيرا عند الامم كلها ، ومتى اخطأ لسان احد القراء في حرف خطئا ، بادر اليه ءالاف يردون عليه ، ولهذا تجد الآن الصيني يقرأ القرءان كما يقراه الافريقـــي ؛ وهناك احد المصاحف الاولى مصون في احدى المكاتب الغربية ، فمن قابله بما عند المسلمين اليوم لايقع على ادنى مخالفة في ادنى كلمة . اسمعت الان ايها الدكتور من اين نستقي لك اصول الاسلام ؟

فقال : ان هذا الوصف العجيب لمما يلفت النظر ، ولكن لعل التوراة والانجيل عند اليهود والنصـــارى مصونان ايضا مثل هذا الصون ، فلا مزيـة حينئــذ للقرءان امامهما ، ولم اكن انا اعــرف لا القــرءان ولا التوراة ولا الانجيل ، بل لم اكن سمعت قط بالقرءان ، واما التوراة والانجيل فانني كنت اعرفهما باسم العهدين القديم والجديد ، حتى سمعت اسميهما الغربيين من عند (بنيس) يوما .

فقلت له : اولم تكن تقرا وانت صغيـــر فــي (الاحضار) ؟ فقال : بلى ، كنا نقرا فيه شيئا نحفظه ولا نعرف ماهو ؟ فقلت : الا تزال تعرف منه شيئا ؟ فقرا بعض الفاتحة برطانة افرنجية .

فقلت له : هذا بعينه هو القرءان الكريم ، الكتاب العجيب ، الذي يبهر العلماء الغربيين بما فيه . فقال: عجبا ، انني كنت فارقت (الاحضار) دون التاسعـة ، فالتحقت بالمدارس ، ثم غبت في اوربا كثيرا ، ثم لما رجعت انتبذت الى حي اوربي اسكنه الى الآن ، ولذلك اعذرني ان جهلت كل شيء .

فقلت : ان التوراة والانجيل ليسا كالقـــرءان ، وليس ما فيهما الا تاريخ لبعض الرســل ، موســى وعيسى ، عليهما السلام ، ففيهما ما وقع لهما حيــن

الوفاة ، والتوراة كتاب تاريخ توجد فيه ءايات مما انزل على موسى عليه الصلاة والسلام ، وفيه من الاختلافات ما اوصلوه الى خمسين الفا باقرار المومنين به ، ولا سند له متصل ، بل ذكروا انه في وقت قد اندرس حتى جاء بعضهم واملاه من جديد من حفظه .

واما الانجيل فهي اناجيل متعددة ، قبلت منها الكنيسة اربعة فقط ؛ وهي كلها ما جمعت الا بعد عيسى عليه الصلاة والسلام ، وفيها من تاريخ عيسى وما وقع له في حياته وبعد موته ، مما جعله ككتاب تاريخ ؛ وتتخلل ذلك آيات مما انزل على عيسى عليه الصلاة والسلام ، وبين الاناجيل في تلك الحكايات مخالفات كثيرة .

هكذا التوراة والانجيل ، وكفاك في الاختلاف فيهما ما رايت ، وزيادة على ذلك تجد توراة النصارى غير توراة اليهود ؛ واما القرءان فلا تجد فيه ادنى اختلاف في نسخه ولا بين ما يحتوي عليه ، وهو كله ءايات منزلة بالوحي من الله ، لم يدخل فيه المسلمون ادنى كلمة من عندهم ، فكان كتابا سليما لاشية فيه ، هو هو القرءان ايها الدكتور . فكيف ترى ما فيه ؟

فقال : ان كان حقا كما ذكرته ، فانه لكتاب صحيح من جهة الرواية ، ولا يمكن من الاحتياط اكثر مما جعله المسلمون ، وانه لشرف عظيم خالد للاسلام .

فقلت : قد ذكرتني بعبارتك هذه ما قاله احد قياصرة الجرمان بعدما درس القرءان : ان المسلمين لا يمكن ان يغلبوا ما دام فيهم هذا — او كما قال — ثم قلت : او يرضيك الان ما سمعته عن القرءان ، فان كنت في شك من هذا فاننا مستعدون ان نؤجلك حتى تدرس كل ما قلناه لك حول القرءان وغيره .

فقال : ان القرءان ان كان صحيحا فانه لايخفى الصحيح ، ولا يمكن ان يستتر نور الحق منه ، فهو امامنا ، وسندرسه بالتتبع للكليات التي زعمت انه اشتمل عليها .

فقلت : ان الجواب المفصل المسهب تكون نصوصه من هذا الكتاب الذي هو دستور الاسلام ، ولا تقتنع مني باي شيء الا اذا اوردت عليك منه نصا صريحا ، بعد ان تسلم النص من عندك .

فقال : قد انصفتني وربك ، ولكن تبسط لي هذا الجواب المفصل المسهب ؟

فقلت : انني اريد ان اضع بين يديك كل ماوصفت لك به الاسلام ، فنتتبعه جملة جملة ، بعد ان نضع البرنامج الواضح لرؤوس مسائله التي تريد دراستها. فقال : حسنا . ثم ناولته صحيفة فيها كل ما تقدم، وصرنا نبين ذلك حتى صار برنامج المسائل هكذا :

1) حالة العالم قبل الاسلام . 2) الانبياء — الوحي — القرءان . 3) التوحيد في الاسلام . 4) دين العالمين المادي والروحاني . 5) دين الفطرة . 6) دين الاخلاص . 7) دين العاطفة . 8) دين الحرية . 9) دين المساواة والاخاء . 10) دين العدل . 11) دين العقل 12) دين التفكير والاعتبار 13) دين الشمم والحمية المحمودة . 14) دين الرقيق حتى بالعجماوات . 15) دين المعارف الواسعة . 16) دين الفلسفة الثابتة . 17) دين الاخلاق والفضائل والآداب الخاصة والعامة. 18) دين النظام التام في كل الشئون . 19) دين مجاراة سنن الكون . 20) دين العمران . 21) دين العزم والحزم والعمل . 22) دين رفع الحرج . 23) دين المسامحة . 24) دين المحافظة على النفس والعرض 25) دين مراعاة المال . 26) دين الكمال الانساني . 27) دين المدنية الحق . 28) دين الامل الواسع . 29) الدين العام الصالح لكل زمان ومكان ولكل شعب ولكل فرد كيفما كانت مداركه . 30) القضاء والقدر .

وعند اعلاني اختتام الجلسة ، ابدى لي الفقيه ملاحظة كتبها لي على ورقة ، فلما قراتها قلت : انهذه ملاحظة من الفقيه الفاضل ، وهي : «لماذا نسيتم السنة التي تفصل مجمل القرءان او تبين بعض ءاياته حق التبيين في مورد النصوص التي سيستقى منها ما تريدون ، فان القرءان نفسه يقول : (لتبين للناس ما نزل اليهم) فان هذا البيان وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو يبين باقواله وافعاله ، وقال الله فيه ايضا : وما ءاتاكم الرسول فخدوه وما نهاكم عنه فانتهوا . وقال : ولكم في رسول الله اسوة حسنة . فان الآيات لاتاتي غالبا الا بالكليات ، ويحتاج فى الكليات الى من يفصلها ويبينها احق تبيين» فالقيت الملاحظة على بساط البحث ، فقال لي الدكتور : بين لي حق

البيان ما مغزى هذه الملاحظة ؟ فلما بينته له قال : ان السنة ليست محاطة في الرواية بمثل ما ذكرتم أن القرءان احيط به ، فكيف اقبلها في الاستدلال ؟ فقلت له : اعرني سمعك حتى ابين لك حق البيان ، فاسهبت له فيما يقوله الاصوليون في ذلك من ان لاقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله من التشريع تفصيلا مثل ما لكليات القرءان المجملة ، فقال الدكتور : كلا ، انهما ليسا على درجة واحدة في التشريع . فقلت : ان مناط التشريع هو الكلية في القرءان لا الذي بينت به الكلية .

فقال : هل احيطت السنة بمثل ما احيط به القرءان ؟ قلت : احيطت ببعض ذلك فقط ، ولم يبلغ الاحتياط مبلغ ما للقرءان ، فان السنة لم تكتب الا بعد النبي صلى الله عليه وسلم بنحو قرن ، الا انها محفوظة في الصدور في نحو جيلين ، ولم تسطر في الكتب الا في الجيل الثالث .

فقال : وقد وقعتم اذن ايها المسلمون في السنة في مثل ما وقع فيه اليهود في العهد القديم على ما ذكرتم ءانفا .

فقلت : كلا لسنا سواء ، فان غالب احكام الاسلام لم توخذ الا من القرءان نفسه ، ولو تتبع متتبع ما اخذ من السنة من غير ان يكون له اصل في القرءان لوجد نزرا جدا ، والمسألة فيها خلاف بين المسلمين ؛ ولكي اطوي لك المشقة الآن ، واختصر لك الطريق ، أفوض لك منذ الآن في الاخذ في السنة أو الترك .

فقال ابراهيم : او تجمل له تفصيلا يقبله بلا ريب ، فاما ما كان في صميم اعتقادات الاسلام والاصول الاصيلة فيه فلا يأخذ فيه الا بالقرءان ، واما في الآداب العامة والحث على الفضيلة والارشاد الى الخير ، مما هو من تمام الاسلام وليس من صميم اصوله ، فانه لاباس ان يأخذ فيه بالحديث الصحيح ان كان له اصل عام او كلية صريحة في القرءان ، ثم التفت الى الدكتور ، فقال له : اوليس هذا يرضيك ؟ فقال : بلى .



الشرقي – معرض كريم بناني

الموارد المالية في دولة الاسلام

للاستاذ :
محمد الطنجي

من القضايا المعلومة في الاسلام ان هذا الدين جاء لعمارة الدنيا وعمارة الآخرة ، وان سعادة اهله مقترنة بتمسكهم بعقيدته واقامتهم لفروضه وحدوده ووقوفهم عند أوامره ونواهيه ، هذا قول فصل فيه ، ووعد صدق حققه الله لاتباعه ومعتنقيه ، بشاهد قول الله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لايشركون بي شيئا» .

ولم يجاوز واقع تاريخ الامة الاسلامية هذه الوعود التي بوات امة النبي العربي في الدنيا مكانة الخلود ، وجعلتها بتربيته واخلاقه خير امة في الوجود ، خير امة اخرجت للناس ، علمتهم كيف تبني المكارم ، وتشاد على اسس التقوى والعدالة الاجتماعية المآثر والعظائم ، فما رات البشرية مثل محمد بن عبد الله نبيا للخير داعيا ، ولا شاهدت كرسول الاسلام قدوة لكل المكارم بنفسه بانيا ، وبقوله وعمله لطريق الفضائل هاديا ، وما كان خلفاؤه الراشدون واتباعه العاملون المخلصون غير سالكين مسالك ارشاده ، ورافعين لاعلام رسالته وجهاده ، ترسموا خطى الرسول حتى بلغوا بهدايته كل المامول ، فتحقق لهم قول الله تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

ومن الغني عن البيان ان اقامة الخلافة الاسلامية ونشر الدعوة المحمدية واقرار شريعة الحق والعدل بين البشرية ، يتطلب كل ذلك جهودا مادية ومعنوية ، فالايمان بالله واقامة عبادته من صلاة وصيام افرادا وجماعات لا تحتاج الى الاموال الكثيرة مثل ما تحتاج الامور التي تخص الجيش والامن ومعاقل الثغور ورباط الخيل ، واخذ كل العدة لمجابهة قوة العدة بقوة مثلها أو بقوة تزيد عليها حتى تكفل التغلب والفوز والنصر للمسلمين ، وبعبارة اوضح واشمل ان الاعداد المادي لابد ان يبذل المسلمون فيه كل ما في استطاعتهم بحيث يمتثلون قول الله تعالى «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » في اعلى صوره واروع وسائله، فلا يقفون عند بحث الذرة اذا كان في مستطاعهم الوصول الى ما هو اكثر من ذلك ، فالاسلام الذي تكونت تحت رايته وتعاليمه هذه المجموعة من الدول في مشارق الارض ومغاربها ينفذ بتشريعه واخلاقه الى صميم الحياة فييسرها ويطورها تطويرا يتلاءم مع شرائعه وآدابه ، ويطبعها بطابعه الممتاز في التعاون والمواساة الاجتماعية والمواساة التامة بين جميع اهله في جميع الحقوق والواجبات .

والاسلام كنظام اجتماعي عايش الناس وعاشوا في ظله وكنفه ورعايته مغتبطين به ، وسعداء بعقيدته وخدمة مثله العليا ، وهو لاجل ذلك يتطلب المعونة المادية للنهوض بكل مايلزم للحياة الاجتماعية في ارقى صورها واحسن انظمتها بما في ذلك نفقات مصالح الدولة ودواليبها الادارية واسناد مؤسسات التعاون والاسعاف ، فمن اين تكون موارد هذه الاموال ؟ وكيف تصرف بعد تحصيلها ؟

موارد مالية الدولة في الاسلام :

من الغلط ظن بعض الناس ان موارد الدولة في التشريع الاسلامي لاتوجد الا عن طريق الزكاة وبالخصوص على الكيفية التي قررها فقهاء بعض المذاهب بحصرها في حبوب خاصة واخذها من اموال محدودة وبعد مرور زمن مخصوص على ملكها ، لان موارد الزكاة على تلك الكيفية لاتفي بحاجة الدولة والامة كنفقات المؤسسات الاجتماعية وحراس الامن في الداخل وحماية الثغور وتشييد المعاقل لدرء الاخطار عن الامة اذاهوجمت من الخارج ، بل توجد

هناك موارد اخرى غير الزكاة كما توجد نظريات صائبة فقد قال فطاحل من علماء الاسلام بجواز فرض الخراج على الامة وقت ضعف الدولة ، حتى تتمكن من حماية نفسها ، ومن هؤلاء الامام الشاطبي ، وقد وجدت هذه النظريات قبل ان تتطور الحياة الاجتماعية حسب مقتضيات العصر الحديث الآلي الميكانيكي اما الان فلا يدري احد ما كان يستقر عليه رايهم لو كانوا فى عداد الاحياء ولكننا لانعدم من نبغاء المسلمين في الشريعة نظرات صائبة ينبغي للمصلحين في الامم الاسلامية المعاصرة ان يتمعنوا فيما ترمي اليه ويحوروا حياة الامة الاسلامية حسب توجيهاتها ولا باس بادخال بعض الاصلاحات الجوهرية على حياتنا الشرقية حتى نحافظ على بعض مميزاتنا فقد فقدت حياتنا كشرقيين توازنها وروحانيتها بسبب كثرة تقليدنا للاوربيين والغربيين على العموم في اساليب حياتهم ونظمهم التشريعية والاجتماعية .

وهذا ما دعاني لان اتعرض لبعض المصالح العامة المشتركة التي يسمح الدين الاسلامي بمرونته لولاة المسلمين بتقرير كل لوازمها وفرض نفقات ذلك على الرعية بحكم اشتراكهم في الانتفاع من هذه المصالح فالتشريع الاسلامي يعتبر المصلحة الخالصة والراجحة كما يدرأ ويمنع المفسدة الخالصة والراجحة والايمان فى مجموعه جملة من المصالح والمنافع روحية ومادية وهو كالدوحة المتفرعة الاغصان ذات الشعب المختلفة ، تتصل بجميع عناصر الخير في الوجود الروحي والمادي او هي نفس تلك العناصر كما يفصح عن ذلك حديث الرسول الثابت الصحيح حيث يقول عليه السلام ان للايمان لشعبا وان اعلاها كلمة التوحيد ، وادناها اماطة الاذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان ، واذا كانت اماطة وازالة الاذى عن الطريق شعبة من شعب الايمان فتعبيد الطرق لمصلحة عموم الناس كذلك واولى فان الله امر في القرءان بالتعاون على البر والتقوى بل ان التعاون ينبغي ان يكون على المشاريع الكبرى التي تحصل المصلحة العليا او تدرا الاخطار عن الامة من باب اولى واحرى ، كما يستفاد مما قصه الله فى القرءان في الردم الذي شيده ذو القرنيين بتعاون مع القوم الذين راوا ضخامة ملكه فطلبوا منه عملا عظيما ، كما ذكر الكتاب العزيز فى آيات : قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا ، قال ما مكني فيه ربي خير ، فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما ، آتوني زبر الحديد ، حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا ، حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا ، فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا ، قال هذا رحمة من ربي ، فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا ، وهذا العمل يعتبر من باب درء المفاسد فى الدرجة الاولى ومن المعلوم في علوم القرءان انه اذا ساق قصصا سياق مدح كان مقرا لها ، وكان العمل على مضمونها شرعا محكما من شرائع الاسلام ، قد يقال ان القوم طلبوا ذلك اختيارا منهم فلا ينبغي لمن يهمهم الامر مجاوزة درجة الاختيار في مثل هذه المشاريع لكنا نجيب عن ذلك بان نواب قومهم طلبوا منه ذلك فوافق عليه فاصبح امرا نافذا ، كما يقرر اعضاء المجالس النيابية الامور فيوافق عليها الرئيس الاعلى اذا كانت في مصلحة الامة ، وقد وقع مثل هذا العمل من نفس رسولنا الكريم فى غزوة الخندق فقد اشار بعملها سلمان الفارسي رضي الله عنه وما تحقق الرسول بفائدة الخندق لدرء الهجوم الذي اعده اعداء الاسلام على المدينة حتى قرر حفرها وعمل فيها كل من امكنه العمل من المهاجرين والانصار حتى الرسول نفسه .

وعلى اساس هذه التوجيهات لا نرى مانعا يمنع الحاكم المسلم من فرض التعاون على مصالح المواصلات البرية والبحرية والجوية بتعبيد الطرق المختلفة وفتح الخطوط وبناء المطارات وكل ما يلزم لهذه المهمة مع فرض ضرائب على كل من ينتفع بذلك من اصحاب السيارات والدراجات والمراكب والطائرات حتى المارة من الناس وما يملكون من الدواب وكذلك الشان في الانتفاع من مرافق الصحة العامة وغيرها من مرافق الحياة كالحراسة وانارة الشوارع وبناء القنوات لتصريف المياه الخبيثة الحارة والمضافة كما يقولون مع فرض ضرائب على المشتركين من جميع السكان المنتفعين بهذه المرافق على ما تقضي به العدالة في دائرة التعاون لمصلحة الجميع ، واذا لم نعتبر نظام الاسلام يجيز اشكال وانواع هذا التعاون ساءت المواصلات وكثرت الاوحال والازبال والاقذار بين الناس ، وانتشرت الاوبئة ، وفسد نظام الامن بكثرة السرقات لفقدان الحراس ، وفقدت النظافة والطهارة التي يامر بها الاسلام وهذه مفاسد في العصر الحاضر يجب درءها والوقاية منها ، ويمكن الاسلام بمرونة تشريعه الحكيم ان يجدد شباب اتباعه بتكوين ارقى أمة واقوى دولة على اساس العدالة والاخلاق المتينة والاحسان العام .

ولكن هناك نقطة هامة لابد من الاشارة اليها مـا دمنا بصدد الكلام على جباية المال للقيام بهذه المصالح وهي سلوك سياسة التقشف التي نادى بها في هـذا العهد الجديد كثير من الوطنيين المصلحين المخلصين . فان الاسلام لايعرف ولا يقر سياسة التبذير اوالتصرف في أموال الامة على غير الوجه الاحسن بل لابد انتقع المحافظة التامة على هذه الاموال ولا تصرف الا بعـد التحقق من صلاحية الطرق التي تصرف فيها ، كمـا يرشد الى ذلك قول الله تعالى «ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن» واذا كان التصرف في مال اليتيم لايسوغ الا على الوجه الاحسن فمصالح الامة فـي مجموعها اولى بالرعاية من خصوص مصالح الايتام لان تلك مصالح عامة وعليا وقد بين سيدنا يوسف عليـه السلام احقيته بالحفظ والعلم للوظيفة التي طلبها حيث قال للملك الوقت : « اجعلني على خزائن الارض انـي حفيظ عليـم » .

وقع خطا في تخطيط تاريخ العدد الماضي ، اذ كتب فيـه (شتنبـر) بدل (أكتوبـر) .

والذي يخفف من وقع هذا الخطا أن التاريخ الهجري المكتوب معـه صحيح : ربيع الاول 1378 ومع ذلك فنحن نرجـو من حضرات القـراء أن يتفضلوا مشكورين بتصحيح هذا الخطا، وذلك بكتابة كلمة (اكتوبر) بدل كلمة (شتنبـر) على صفحة غلاف العدد الماضـي .

تعقيب على مقال :

القضاء الاداري في المغرب

للاستاذ موسى عبود
مدير مجلة القضاء والقانون

نشر الاستاذ محمد التوزاني فى مجلة « دعوة الحق » الغراء (العدد الاول من السنة الثانية ـ اكتوبر 1958) تحت عنوان « القضاء الاداري فى المغرب » بحثا تضمن نظريات وآراء شخصية تقتضي بعض الملاحظات لاسيما وان الزميلة « دعوة الحق » تقرا فى المغرب والمشرق على حد سواء مما قد يؤدي بقرائها الى تكوين فكرة عن القضاء الاداري فى المغرب لا تتفق كل الاتفاق مع روح هذا القضاء المستحدث والغاية التي رمي اليها المشرع المغربي فى انشائه .

وبعد فهذه ملاحظاتنا على ما جاء فى بحث الاستاذ التوزاني

1 ـ يستهل الكاتب بحثه بالكلمة الاتية « لقد كنا نود ان نكتب فى موضوع القضاء الاداري كتابة موضوعية تتناول بالدراسة جانبا من جوانبه او تستقصي خاصية من خواصه **لكن ظروف هذا القضاء فى المغرب لا تتيح فرصة البحث فى مسالة محددة بالذات بحثا فقهيا تحليليا »** واننا لنتساءل ما هي هذه الظروف التي لم يفصح عنها الكاتب والتي منعته من البحث فى مسالة محددة ؟ ولعله يقصد بها اختلاف هذا القضاء فى المغرب عنه فى البلدان الاخرى التي درس قوانينها وان كان الامر هكذا فان من حقنا ان نلومه على احجامه عن هذا البحث لان هذه الظروف يجب ان تكون لا سبب احجام بل سبب اقدام من طرف رجال القانون على دراسة هذا القضاء الجديد فى المغرب بموضوعه وشكله والذي يحتاج لهذا السبب الى ابحاث فقهية تحليلية قد تكون فى غنى عنها لو كان قضاؤنا هنا نسخة عن قضاء دولة اخرى

2 ـ بعد ان يعرف الكاتب بالقضاء الاداري تعريفا جامعا شاملا ويبين بايجاز نشاته ورسوخه فى فرنسا ويشير الى وجود نظام آخر مغاير له معمول به فى انكلترا والبلدان المنتسبة اليها فكريا ينتقل الى الكلام عن النظام القضائي المغربي متسائلا عما اذا كان اخذ باحد النظامين السابقين ام ابتدع جديدا فى ميدان التنظيم القضائي ، وهذا التساؤل ان هو الا مقدمة لاستنكار الابتداع الذي اتي به النظام المغربي كما سيتبين فيما بعد

وقبل ان يدخل فى بحث هذا النظام اشار اشارة خاطفة الى الوضع المغربي فى عهد الحماية فقال ان الادارة لم تكن فى علاقاتها بالمواطنين المغاربة تخضع لاي قضاء اما فى علاقاتها بالاجانب فكانت المحاكم المؤسسة بظهير سنة 1913 مختصة بالنظر فى المنازعات الادارية التي ترفع اليها وكانت تملك الحكم بالتعويض عن الاضرار التي تسببها الادارة للافراد بسبب قراراتها او اعمالها غير المشروعة ، ولكن هذه المحاكم لم تكن محاكم ادارية وانما محاكم عادية .

كل هذا صحيح لكننا كنا نود لو ان الكاتب توسع اكثر مما فعل فى بحث هذه النقطة ليتمكن القارىء من فهم اختصاص تلك المحاكم فى كل من النوعين الذين جرت العادة بان يقسم اليهما القضاء الاداري وهما قضاء الالغاء وقضاء التعويض ، وهو قد المح الى ذلك بقوله « النظر فى المنازعات » و « الحكم بالتعويض » لكنه لو اسهب لافاد توضيحا يسمح بمقابلة النظام الجديد بالقديم

3 ـ حين يشرع الكاتب بالكلام عن الوضع الحاضر يقول « وانشأ المشرع المغربي جهازا كاملا للقضاء وضع على راسه **محكمة عليا للنقض والابرام »**

وهذه التسمية التي اطلقها الكاتب في طول بحثه على اعلى هيئة قضائية في المغرب تتنافى مع التسمية الرسمية لتلك الهيئة ومع اختصاصاتها ايضا . ولعل تاثر الكاتب بالمصطلحات القانونية المصرية هو الذي جره من حيث لا يشعر الى استعمال ذلك التعبير . مع ان الاسم الرسمي لهذه الهيئة هو « المجلس الاعلى » ولا نظن ان المشرع المغربي جنح الى هذه التسمية لمجرد الرغبة في الابتكار . لانه لو شاء لكان اطلق على هذه الهيئة اسم « محكمة النقض والابرام » لكنه فضل ان يسميها « المجلس الاعلى » دون ان يحصر في هذا الاسم اختصاص النقض والابرام ما دام اختصاصها يمتد الى اكثر من ذلك ليشمل الغاء قرارات الادارة غير المشروعة. ولذلك نرى انه كان من الاولى بالكاتب من جهته ان يستعمل في بحثه الاسم الرسمي اي « المجلس الاعلى » بدلا من « محكمة النقض والابرام » او « المحكمة العليا » لاسيما ان هذه التسمية الاخيرة كانت خاصة بهيئة اخرى الغيت عند تاسيس المجلس الاعلى

4 — ونحن نرى فيما بعد ان تاثر الكاتب بالنظام المصري الماخوذ بحذافيره تقريبا عن النظام الفرنسي جره الى القول

« غير ان الطريق التي فرض بها المشرع رقابة القضاء لمشروعية اعمال الادارة **لا تخلو — مع ذلك — من عيوب وغموض** فهو قد اناط هذه الرقابة بالمحكمة العليا وحدها ورفض ان يعترف بها لغيرها من المحاكم الادنى منها درجة ، فجعل بذلك من المحكمة العليا **مزيجا** من محكمة النقض ومحكمة القضاء الاداري **الامر الذي اثار الشكوك والالتباس** حول طبيعة النظام الذي قصد الاخذ به كما سنرى من الملاحظات الاتية :

اما كون المشرع اسند الى المجلس الاعلى الاختصاص المسند في مصر الى كل من محكمتي النقض ومحكمة القضاء الاداري فصحيح . اما القول بانه مزيج فلا ، لان كلمة « مزيج » تدل عادة على عدم الوضوح والخلط بين الامور . وهذا ما يقصده الكاتب بقوله « لا تخلو من عيوب وغموض » مع ان الامر واضح واختصاص المجلس الاعلى في كل من النقض او الالغاء خاضع لمسطرة معينة تختلف في كل من الحالتين عن الاخرى . وليس في الامر ما يثير الشكوك والالتباس كما يزعم الكاتب — لمجرد خروجه على نظام متبع في بلد آخر

5 — اول ملاحظة من تلك التي وعد بها الكاتب في الفقرة السابقة هي ان المجلس الاعلى (المحكمة العليا في تعبير الكاتب) هو في القضايا الادارية محكمة اول وآخر درجة . ونرى انه في مكان آخر يعود الى اثارة هذه الملاحظة فيقول « ونحن نعتقد ان المشرع المغربي كان يحسن صنعا لو اخذ بنظام القضاء الاداري شكلا وموضوعا وانشا محاكم ادارية على غرار المحاكم الادارية الفرنسية والمصرية » ويضيف في مكان ثالث « ان الطريقة التي عالج بها (المشرع المغربي) اختصاص القضاء برقابة مشروعية القرارات الادارية معيبة وغير مجدية فيكفي ان نتصور العدد الهائل من الطعون في القرارات الادارية الذي سوف ينهال على المحكمة العليا لنتاكد بانها ستنوء حتما تحت عبئه الثقيل . واذا علمنا ذلك تاكد لدينا ان رقابة هذه المحكمة لمشروعية القرارات الادارية لا يمكن الا ان تكون رقابة اسمية غير فعالة »

ومن هذه الملاحظة نرى من جديد تاثر الكاتب العميق بالنظام المصري في وضعه الحاضر المتاثر بدوره كما سبق القول — في شانه وتطوره بالنظام الفرنسي ولذلك لابد لنا بدورنا ان نبدي على هذه الملاحظة عدة ملاحظات

اولا — ليس جعل المجلس الاعلى محكمة اول واخر درجة بدعة في القضاء الاداري . فان مجلس الدولة الفرنسي منذ ان اعترف لنفسه سنة 1889 بانه المحكمة ذات الاختصاص العام حتى صدور مرسوم 30 سبتمبر 1953 كان هو المختص بكل المنازعات الادارية التي لم يعهد بها المشرع الى محكمة ادارية اخرى . وكان يحكم فيها بالدرجة الاولى والاخيرة وحتى بعد صدور المرسوم المذكور سابقا الذي جعل من المحاكم الادارية الاقليمية صاحبة الاختصاص العام — بسبب تراكم العمل على مجلس الدولة — فقد ظل هذا الاخير مختصا للحكم في اول وآخر درجة في عدد كبير من القضايا نذكر منها على سبيل المثال : الدعاوي بطلب الغاء المراسم النظامية والفردية بسبب تجاوز السلطة والدعاوي المرفوعة ضد قرارات ادارية يمتد نطاقها الى خارج حدود اختصاص محكمة ادارية واحدة (1)

1) الدكتور سليمان الطماوي — « **القضاء الاداري ورقابته لاعمال الادارة** » القاهرة سنة 1956 صفحة 31 الى 33 ومقال الدكتور هنري بوتو المستشار في المحاكم الادارية تحت عنوان « اختصاص المحاكم الادارية » في مجموعة Juris classeur administratif الجزء 630

ثانيا ـ فى مصر نفسها كانت **محكمة القضاء الاداري** » هي المحكمة الادارية الوحيدة منذ انشاء مجلس الدولة سنة 1946 وكانت تحكم فى اول وآخر درجة ولم يقع تعديل فى هذا النظام الا سنة 1955 اذ صدر قانون يحمل رقم 155 جعل احكام المحكمة المذكورة قابلة للنقض لدى هيئة اخرى استحدثها القانون نفسه تحت اسم « المحكمة الادارية العليا » كما انه انشا محاكم ادارية دون محكمة القضاء الاداري درجة (1)

والمقصود هنا ان نبين ان النظام المعمول به فى فرنسا ومصر والذي يقترحه الاستاذ التوزاني نموذجا لم يكن ليتنافى من الناحية المبدئية مع وجود محكمة ادارية واحدة فى البلاد تحكم فى اول وآخر درجة بل بالعكس هو النظام الذي اتبع خلال زمن طويل ولم يعوض بنظام تعدد الدرجات ـ فى بعض الجوانب فقط ـ الا منذ اربع سنوات وذلك لا لاسباب قانونية بل لاسباب واقعية ناتجة عن تراكم العمل على تلك المحاكم . فلا غرو اذا ان ياخذ المشرع المغربي نفسه فى اول مرحلة من مراحل نظامه الجديد بقاعدة المحكمة الواحدة تاركا للظروف ان تدله على وجوب انشاء محاكم اخرى لانه من المعلوم ان المنظمات والهيئات الادارية لا تنشا الا متى دعت الحاجة اليها .

ومن هنا يتبين لنا ان مخاوف الاستاذ التوزاني « من ان تنوء المحكمة العليا (المجلس الاعلى) حتما تحت العبء الثقيل » سابقة لاوانها وان وصفه الطريقة التي عالج بها المشرع المغربي المسالة بانها طريقة معيبة وغير مجدية والرقابة التي سيقيمها المجلس الاعلى بانها ستكون رقابة اسمية على تكهنات شخصية لا يمكننا ان ناخذها بعين الاعتبار

6 ـ الملاحظة الثانية التي يبديها الاستاذ التوزاني هي ان المجلس الاعلى حين يتصدى لنظر الطعون فى القرارات الادارية المرفوعة اليه يفعل ذلك كما لو كان محكمة الوقائع والقانون معا على عكس رقابته لاحكام المحاكم التي تتناول الناحية القانونية وحدها . هذه الملاحظة تغفل تقسيم القضاء الاداري الى نوعين قضاء الالغاء وقضاء التعويض . فدعوى الالغاء هي التي تستند على الشطط فى استعمال السلطة او « تجاوز السلطة » كما يسميه الفقهاء المصريون . والمتفق عليه عند فقها القانون الاداري وهو ما قرره مجلس الدولة الفرنسي ايضا هو ان الشطط فى استعمال السلطة يقصد به عدم المشروعية المرتكزة على احد العيوب الاتية :

عدم الاختصاص ، وخرق القواعد الشكلية ، وخرق القانون والانحراف ، فالمسالة اذا مسالة قانونية صرفة لا مجال فيها للوقائع لانه اذا تبين للمحكمة ان القرار المطعون فيه مشوب باحد تلك العيوب اقتصر عملها على اصدار حكم بالغائه اما فى قضاء التعويض فالنزاع يسند الى الادارة عملا يمس بمصلحة او حق للشخص والحكم الذي يصدر فى هذه الدعوى ـ فيما اذا تبت صحة الادعاء ـ يقضي بالتعويض عن الضرر الذي لحق المدعى من العمل المسند الى الادارة وفى مثل هذه الدعوى يمكن القول بوجوب بحث الوقائع والقانون (2)

فاذا ما رجعنا الى اختصاص المجلس الاعلى المغربي فى القضايا الادارية وجدنا انه يقتصر ـ حسبما جاء فى الفصل الاول من ظهير 27 سبتمبر سنة 1957 ـ على النظر فى طلبات الغاء القرارات الصادرة من السلطات الادارية بدعوى الشطط فى استعمال السلطة اي انه يقتصر على قضاء الالغاء وعليه فلا مجال للقول بانه يفصل فى الامر كما لو كان محكمة الوقائع والقانون معا لانه كما سبق القول لاعبرة بالوقائع فى مثل هذه الحالة .

اما قضاء التعويض فقد اسنده قانون الموجبات والعقود الصادر سنة 1913 الى المحاكم المؤسسة فى تلك السنة ونص على ذلك فى الفصل 79 بقوله « ان الدولة والبلديات مسؤولة عن الاضرار التي تتسبب فيها مباشرة بتسيير اداراتها وبالاخطاء المصلحية التي يرتكبها موظفوها »

---

(1) الدكتور الطحاوي ـ المرجع السابق ـ صفحة 68 الى 72

(2) انظر : الدكتور الطحاوي ـ المصدر السابق ـ صفحة 135 و 136 ـ
وبحث الاستاذ G. Liet - Veaux الذي عنوانه « الطعن بسبب الشطط فى استعمال السلطة فى مجموعة Juris classeur administratif الجزء 600

7 ـ يستنتج الاستاذ التوزاني في ملاحظته الثالثة القاعدة التالية وهي ان اسباب نقض الاحكام القضائية المفصلة في الفصل الثالث عشر من الظهير المذكور سابقا هي نفسها التي يجب ان تعتمد اساسا لالغاء القرار الاداري ونحن لا يمكننا ان نوافقه على هذا الاستنتاج

ولعل الذي جره الى هذا القول هو ايضا تاثره بنظام القضاء الاداري المصري الذي اصبح قائما منذ سنة 1954 على وجود درجتين تسند فيهما الى المحكمة المسماة « المحكمة الادارية العليا » مهمة النقض بالنسبة الى احكام المحاكم التي هي دونها وكذلك شان مجلس الدولة الفرنسي بالنسبة الى المحاكم الادارية الاقليمية ولكن هذا النظام يقتضي التمييز بين امرين : اسباب الغاء القرار الاداري من جهة واسباب نقض حكم المحكمة الادارية التي تنظر في دعوى الالغاء في الدرجة الاولى من جهة اخرى فبالنسبة الى الاسباب المذكورة ثانيا تكون المقارنة صحيحة لان مجلس الدولة الفرنسي من جهته والمحكمة الادارية العليا المصرية من جهتها هي ايضا تكون لها في هذه الحالة صفة محكمة نقض فتسري عليها اسباب نقض الاحكام القضائية اما اسباب الغاء القرار الاداري نفسه ـ وهو ما انيط بالمجلس الاعلى المغربي فهي تختلف عنها لانه مثلا لا معنى لقولنا بالنسبة الى القرار الاداري انه خرق القواعد الجوهرية للمرافعات هذا واننا قد اشرنا في تعليقنا على الملاحظة الثانية الى اسباب الالغاء المتفق عليها في القانون المقارن

8 ـ يعود الاستاذ التوزاني بعد هذه الملاحظات الى التساؤل عن طبيعة النظام الذي قصد المشرع المغربي الاخذ به ويحمل عليه باللوم لكونه لم يتبع لا النظام الفرنسي ـ المصري ولا النظام الانجلو سكسوني ولم ينشيء عدة درجات في النظام الذي ابتكره .

لقد سبق لنا القول انه لا داعي لمثل هذا اللوم وهذا التشكك لاننا لا نرى اي سبب معقول يجعل من الضروري ان يكون النظام المغربي نسخة عن انظمة بلدان اخرى . ان كل بلد حر في ان يختار لنفسه النظام الذي يرتئيه ، مقتبسا او مبتكرا . واعتقد ان الاستاذ التوزاني لا ينكر على المغرب حقه في ابتكار نظام جديد انما المهم في الامر هو ان يكون هذا الابتكار صالحا وملائما للواقع المغربي وهذا هو بيت القصيد ولو ان الاستاذ التوزاني انصرف الى دراسة هذه الناحية لافاد اكثر من درسه النظام المغربي على معيار انظمة بلدان اخرى اعتبرها مثالية ليستنتج من ذلك تقصير ذلك النظام

ونحن من جهتنا نرى ان المشرع المغربي قد احسن الابتكار واتى بما هو اكثر ملاءمة للواقع المغربي لا سيما في هذه المرحلة الجديدة من حياة المغرب لان الشعب على العموم قد علق بذهنه من خلال 44 سنة قضاها تحت الحماية ان الادارة لا رقيب عليها في تصرفاتها لكن العهد الجديد قد اتاه بمبدا الرقابة على التصرفات الادارية وامكانية الغائها وهو مبدا يحتاج الى شيء من الوقت ليتغلغل في النفوس والهدف من اقامة هذه الرقابة مزدوج ـ اولا ـ الوصول الى احقاق الحق بالغاء القرارات الادارية المشوبة بالشطط في استعمال السلطة وثانيا ـ ان يشعر الشعب ويتيقن من وجود هذه الرقابة فهذا الهدف الاخير لا يتحقق الا عن طريق القضاء العدلي الذي يتمتع ظاهرا وباطنا باستقلال تام ولذلك فان اعطاء الكلمة الاخيرة للبت في مشروعية القرارات الادارية للمجلس الاعلى فيه تطمين للشعب اكثر مما لو كان الامر في يد قضاء اداري ـ منفصل قد يعتبره الشعب في هذه المرحلة هياة ادارية غير مستقلة عن سيطرة السلطة التنفيذية

9 ـ يرى الاستاذ التوزاني موضوعا آخر للنقد من شانه ـ على حد قوله ـ ان « يزيد مسلك المشرع المغربي غرابة وشذوذا » في مقتضيات الفصل 17 من الظهير التاسيسي للمجلس الاعلى ذلك الفصل الذي ينص اولا على اختصاص الغرفة الادارية ثم يضيف الفقرة التالية: «على انه يصح ان تبحث وتحكم كل غرفة في القضايا المعروضة على المحكمة ايا كان نوعها » . وقد فسر الكاتب نفسه هذا النص بقوله : « وبذلك اصبح الاختصاص بالطعون في القرارات الادارية شائعا بين جميع غرف المحكمة العليا » فاين هو الشذوذ في هذا النص اللهم اذا كان الكاتب يرى الشذوذ في كل ما خالف المعيار الذي اتخذه للحكم على النظام المغربي . اما نحن فلا نرى في القضية سببا للغرابة اذ يجب الا يغيب عن البال ان المجلس الاعلى هو وحدة متشابكة الجوانب والفصل الاول من الظهير يسند الاختصاص للبت في طلبات الغاء القرارات الادارية الى المجلس نفسه كوحدة لا الى غرفة معينة من غرفه فما التقسيم الى غرف في الحقيقة الا من قبيل توزيع العمل الداخلي تسهيلا للمهمة القضائية ولذلك لا يمكن ان تعتبر الغرفة الادارية كمحكمة للقضاء الاداري مستقلة بل جزءا من هيئة المجلس الاعلى الواحد بحيث يسوغ لكل غرفة ان تحكم في اية دعوى تعرض على المجلس من اي نوع كانت

والذي دعا في الواقع الى ادراج هذا النص هو تجنب الاضرار التي تنجم ـ كما هو مشاهد في بلدان

اخرى ــ عن استقلال غرف المجلس الاعلى بعضها عن بعض استقلالا فاصلا وكذلك تلافي قلة عدد الاعضاء فمتى كانت غرفة مستقلة عن الاخرى بصورة ــ فاصلة ينتج عن ذلك انه اذا رفع او احيل طعن ما عن قصد او خطا الى غرفة ليست هي المختصة حسب التقسيم فانها بعد ان تدرس القضية ــ ويكون ذلك غالبا بعد انصرام مدة طويلة تحسب بالسنوات ــ تصدر قرارها بعدم الاختصاص فيضطر الطاعن الى اعادة المسطرة من جديد اما النظام المغربي فمع اقراره لمبدا تقسيم المجلس الى غرفها فقد تجنب الضرر المذكور سابقا بواسطة النص الذي نحن بصدده الذي يسمح لكل غرفة ان تنظر فى القضية التي تحال عليها

ومن جهة اخرى فان استقلال الغرف* بصورة فاصلة لا يسمح لاعضاء كل غرفة ان يشاركوا فى جلسات الغرفة الاخرى وهذا ممكن فى المجالس العليا المتوفرة على عدد كبير من الاعضاء اما فى المجلس الاعلى المغربي حيث لا يوجد الا العدد اللازم لتاليف الغرف الاربع فان مرونة النص المذكور تسمح للاعضاء ان يشاركوا عند الحاجة فى جلسات اية غرفة كانت

10 ــ يختم الاستاذ التوزاني بحثه باقتراح « **علاجا** ــ على حد قوله ــ **لهذا الوضع وتحقيقا لبعض الفائدة** » . وليس من الغريب ان يتقدم حضرته بوصف العلاج بعد ان حكم على النظام المستحدث فى المغرب كما راينا ــ بان الرقابة التي اقامها على مشروعية القرارات الادارية « معيبة وغير مجدية ولا يمكن الا ان تكون اسمية وغير فعالة »

والعلاج الذي يقترحه هو « انشاء مجموعة من **اللجان الادارية ذات الاختصاص القضائي** الابتدائي على ان تنشأ فى كل وزارة لجنة ادارية تسمى « لجنة الطعون الادارية » ويكون التظلم امامها اجباريا قبل الالتجاء الى المحكمة العليا ويكون للافراد حق الطعن فى قرار اللجنة امام المحكمة العليا ــ الغرفة الادارية ــ الى ان ياتي اليوم الذي تنقلب فيه تلك اللجان الادارية الى محاكم ادارية ذات اختصاص قضائي بمعنى الكلمة »

فالنظام الذي يقترحه الاستاذ التوزاني انما هو نسخة عن النظام الذي انشيء فى مصر بقانون رقم 160 لسنة 1952 (1) ثم الغي بالقانون رقم 147 لسنة 1954 وهو فضلا عن انه لم يات بالنتيجة المرغوبة كانت ظروفه تختلف عن ظروف النظام المغربي للسبب التالي

كان القانون المصري يعتبر انه يكفي ليجوز طلب الالغاء من محكمة القضاء الادارية الوحيدة اذ ذاك ان يكون القرار المطلوب الغاؤه قد اصبح ذا صفة تنفيذية اي ــ كما جاء فى حكم مجلس الدولة المصري الصادر فى 9 مارس 1953 ــ « ان يكون صادرا عن سلطة ادارية تملك حق اصداره دون حاجة الى تصديق سلطة ادارية اعلى » فالطعن الوحيد الذي كان ممكنا فى مثل هذه الحالة هو اذا طلب الالغاء امام محكمة القضاء الاداري دون ان يكون للطالب مجال للتظلم سابقا لدى سلطة ادارية اعلى

اما النظام المغربي فقد اقام طعنا اداريا يجب ان يتقدم الطعن لدى المجلس الاعلى فقد نص الفصل الرابع عشر من ظهير 27 سبتمبر سنة 1957 على انه « **لا يقبل أي طلب بالغاء مقرر صادر عن السلطة الادارية من اجل الشطط فى استعمال السلطة الا اذا تقدمه طعن اداري فى المقرر المذكور لدى السلطة الادارية التي تعلو مباشرة تلك السلطة التي صدر عنها** » فهذا الطعن الاداري من شانه ان يقوم بالمهمة التي يقترح الاستاذ التوزاني اسنادها الى لجان ادارية ذات اختصاص قضائي بحيث يتبين انه لا حاجة اليها كما يتبين ايضا ان المشرع المغربي قد احتاط للامر من جميع وجوهه واقام نظاما ملائما لاوضاع البلاد وحاجياتها وكفيلا بحفظ حقوق الافراد ومصالحهم ومد رقابة فعالة على مشروعية التصرفات الادارية ولا ضير عليه بعد ذلك ان لا يكون مطابقا لانظمة بلدان اخرى

وعلاوة على ذلك يمكن القول من الناحية القانونية الصرفة ان النظام الذي ابتكره المشرع المغربي يتضمن ميزات وفوائد غير متوفرة فى الانظمة الاخرى ــ وهذا موضوع آخر قد نعود اليه فى فرصة اخرى ــ وليس من المستبعد ان يصبح النظام المغربي فى مستقبل غير بعيد نظاما مثاليا تحذو حذوه بلدان اخرى .

---

1) الدكتور الطحاوي ــ المرجع السابق ــ صفحة 70 و 71 « لما ازداد عبء العمل على محكمة القضاء الاداري بمجلس الدولة حاول المشرع ان يحقق بشتى الوسائل والطرق فلجا اول الامر الى انشاء لجان قضائية فى المنازعات الخاصة بموظفي الدولة بقانون رقم 160 لسنة 1952 نظرا لان قضايا الموظفين تكون الجانب الاكبر من القضايا المرفوعة امام المجلس ولم تكن هذه اللجان محاكم ادارية ولكنها كانت لجانا ادارية ذات اختصاص قضائي وقد اريد من وراء انشائها تصفية بعض المنازعات قبل الالتجاء الى محكمة القضاء الاداري غير ان التجربة جاءت بعكس المطلوب »



اذا كانت الشعوب في مختلف أرجاء المعمورة قد امكنها ان تشد من ازر المناضلين في بور سعيد ، وتظاهرهم على دحر العدوان الذي شنته الرجعية الدولية على الشعب العربي المتحرر في مصر ، فان على هذه الشعوب نفسها ان تبقى يقظة حذرة مستعدة ـ والشعب العربي الى جانبها ـ لاحباط مشاريع العدوان في جهات اخرى من المعمور ، كما ان عليها ان تزداد تقاربا وتكاثفا حتى تستطيع بذلك فرض المثل العليا ، التي قدم شهداء المدينة المصرية الخالدة ، انفسهم قربانا على مذبحها المقدس .

منذ سنتين ، وفي مثل هذا الشهر ، وفي الساعات الاخيرة من اكتوبر 1956 وبينما كان العالم لا يزال مشدوها من حادث القرصنة الجوية المشن من طرف السلطات الفرنسية على الطائرة المغربية المقلة للزعماء الجزائريين ، انقضت القوات الاسرائيلية في هجوم مباغت وسريع على المراكز المصرية في اقليم غزة .

وبينما كانت قيادة « موشي ديان » تنفذ خططها الهجومية الغادرة على شبه جزيرة سيناء ، كان الفرنسيون والبريطانيون يترقبون الرد المصري على الانذار الذي كانوا قد وجهوه الى حكومة القاهرة ، والقاضي بضرورة ايقاف اطلاق النار فورا ، اي بوجوب اتاحة الفرصة للقوات الاسرائيلية لكي تتمكن من تحقيق مزيد من التقدم يخولها امكانية الاشراف على القناة المؤممة !! .

ثم تلا ذلك كله هجوم عام مشترك شنته القوات المتحالفة من قبرص على تراب الجمهورية المصرية ، بعد ان قصفت اجزاء هامة من القطر قصفا مدمرا .

وانتكست ساعتئذ قضية الحرية في العالم انتكاسا مريعا ، وضج الاحرار في كافة ارجاء المعمور من هول الموقف ومن شناعة الظروف التي اكتنفت هذا العمل العسكري الغريب .

وفيما كان الشعب العربي بمصر ، يستبسل في الدفاع عن سواحل البلاد الشمالية ويتهيأ لمواجهة الموقف على الحدود الشرقية ، كانت افئدة الملايين من البيض والصفر والسود والسمر ، تخفق للرابضين وراء المتاريس في بور سعيد وتبارك لهم نضالهم البطولي الرائع ، وتتغنى باهازيج جهادهم الكبير .

وانقلب يومها التوازن الدولي لصالح قضية الحرية التي كانت تتجسد في مواقف المناضلين عن القناة ، وذلك على نحو مثير لم يعد معه من الميسور للستراتيجية الحليفة النفاذ الى نقطتها النهائية ، اي اصابة الطاقة الحربية المصرية ، واصطناع اسباب الانقلاب السياسي ـ الحكمي في القاهرة .

لقد كان المسؤولون عن تحضير التخطيطات السياسية والعسكرية لحملة السويس ، يدركون سلفا ان دقة اخراج المسرحية ، التي كم جهدوا في ابتداع اسسها واحكام فصولها وحبك اطرافها ، لا يغني عنهم كثيرا امام قوة الوعي الذي اضحى الراي العام العالمي يتوفر عليه ، والذي ليس للاساليب الميكيافيلية المباشرة ـ من نحو تلك التي تم اللجوء اليها في الغزو الثلاثي ـ ان تصيب منه مكامن الاهتداء ، او مظان التقدير ، ولكنهم لم يكونوا في الواقع على درجة من عمق الادراك وحسن التخمين الى القدر الذي يمكنهم من استشراف ما قد

ينبثق عن تحضيراتهم الهجوية ، مما يتساوق ومقدار النضج الفكري الانساني ، الذي بلغته الجماهير في مختلف اجزاء المسكونة . لم يكونوا يحزرون انهم سيواجهون بكل هذه الموجة الطاغية من الامتعاض والاستهجان ، بعد ان طوحت بهم الحوادث في تلك المتاهة المريعة التي اضحوا معها يعيشون في عزلة دولية رهيبة ، لم يسلف لواحد منهم ان عرف عديلا لها منذ امد بعيد .

ولعلهم ايضا لم يكونوا يتصورون ان تفاعلات الاتون الذي اوقدوا شرارته الاولى ، ستكون لها كل هذه الانعكاسات القوية على سير الحياة العامة في البلاد المهاجمة نفسها ، حيث عادت القوانين التقتيرية لتعدل منسوب الاستهلاك عند الجماهير في الغرب ، ولتذكر الملأ ايضا بصور الحياة القاتمة للحرب العالمية الثانية .

اقوى الظن انهم لم يكونوا يقدرون ان ذيول الحملة ستكون من هذا الصنف ، والا فلم يكن من المستساغ مطلقا ان تجد خططهم حدا نهائيا لها على ابواب بور سعيد ، فيما كان مبتغاهم الرئيسي في قصر الجمهورية بالقاهرة المعزية ! !

ان القصة الآن قد غدت من صميم الماضي ، ولكن العبر التي يمكن ان توحيها للاجيال ليس لها من نهاية ، فقد امكن للتضامن بين الشعب المصري وبين شعوب العالم ، ان يحبط ذلك النوع الغريب من التآمر الدولي، بل ان صانعي المأساة ما لبثوا بعد قليل ان بداوا يواجهون مصيرهم السياسي المنتظر ، فلا « ايدن » بعد الآن ولا « هايد » بل ان المحافظين ككتلة سياسية ما عتموا ان بداوا يفقدون ذلك التماسك الذي كانوا يستمدون منه هيبتهم السياسية والحزبية ، اما الانتصارات التي امكنهم تحقيقها للامبراطورية في مدى سني الحرب الاخيرة ، فقد اضحت الوانا باهتة امام الهزيمة السياسية والديبلوماسية التي اصابوا بها اشعاع المملكة المتحدة التوسعي ، ولهذ فيبدو ان وجودهم في دست الحكم لم يعد الا قضية اعتبارات زمنية ليس من شانها ان تبيح لهم البقاء في « دوننج ستريت » امدا طويلا .

اما على الطرف الجنوبي من « المانش » فلم يكن مصير المسؤولين عن الحملة باحسن كثيرا من ذلك الذي كان نصيب « الايدنية » في لندن ، فعلى الرغم من ان وزارة « مولي » قد تيسر لها ان تحتفظ بالبقاء بضعة اشهر اخرى بعد الانسحاب عن بور سعيد ، فانها ما لبثت بعد ذلك ان هوت تحت تاثير العواصف السياسية التي عفت عليها اخيرا في 21 مايو 1957 اي بما يناهز قليلا الستة اشهر من نشوب العراك في القنال

ولقد كان لسياسة « مولي » المالية وارتباطاتها بعمليات الابادة في الجزائر ، تاثير مباشر في فصم وحدة الاغلبية البرلمانية التي كانت تسند حكومته ، ولكن يتبدى من استقراء الوقائع واستقصاء الظواهر السياسية العامة ، أن اندحار القوات المتحالفة في السويس ، كان له آثار بعيدة في نشوء كثير من الحالات النفسانية ، وردود الفعل البرلمانية ، التي كان لها اتصال وثيق بانهيار الحكومة الفرنسية ذات القيادة الاشتراكية في اواخر ربيع السنة المنصرمة ، فالواقع ان غلاة السيطرة في باريس كانوا يضعون هناك دوما خطا رابطا بين الوضع المتفجر في الجزائر ، وبين التدفقات القومية العربية التي مصدرها القاهرة ، فقد كانت (**بعثة السويس**) في اعتبار المنطق اليميني المغالي ، جزءا متمما لعمليات ((**التهدئة**)) المنصب لهيبها على الشعب العربي في الجزائر ، وكانت نتائجها المفكوسة بالتالي تشكل عند تقدير الكثيرين منهم اندحارا مريعا في الصراع مع الوحدات المقاتلة لجبهة التحرير

ولكن المركبات النفسية ، الكمالية منها والنقصية، تلك التي تتحكم في تشكيل نوعية التفكير ومناهجه عند التوسعيين الفرنسيين ، لم يكن من شانها ان تبيح لهم الطفرة في الاجهاز على الجهاز الحكومي المتداعي الذي خلقته حوادث السويس متجسما في الحكومة الاشتراكية الدانية الى الافول . وكان يوم 21 مايو 1957 مناسبة عابرة فقط للاعفاء على ذلك الضرب الفريد من « المولية » بعد ان سجلت اخفاقها الحتمي في بور سعيد وعلى ضفاف القنال .

ويطالعنا الان نوفمبر مرة اخرى ، فاذا المفاهيم الكريمة التي تنزت حفاظا عليها دماء طلائع الكفاح العربي في بور سعيد ، تزداد تركزا وتبلورا في اذهان القوات الشعبية العالمية ، وتصبح اساسا لكثير من الحقائق التي غدت تحدد سير الاحداث في عالمنا الحاضر ، وترسم اتجاهها الحتمي ، فقد كان الامر ـ منذ البداية ـ يتصل جوهريا بالمبادىء والقيم الخيرة التي تواضع الانسان باعتباره انسانا ، على ان يحتفظ لها ، الا في الظروف الشاذة ، بقسط واف من الاعتبار ؛ وقد اقترف المسؤولون في « الفورين اوفيس والكي دورسي » خطيئة المس بهذه المبادىء والقيم غداة الانطلاق من قبرص للانقضاض على الساحل العربي ، وذلك بصورة قلما نجد لها معادلا تاما في عالم ما بعد الحرب .

ولهذا فقد كان رد الفعل الانساني حتميا وحاسما، ولم يكن — على التحديد — متجسدا في الوعيد السوفياتي ، او متجسما في طبيعة الموقف الامريكي غير التضامني ، بل ولا في صرامة المبادرات الاممية داخل مجلس الامن او المنتظم العام لهيئة الامم المتحدة ، الى غير ذلك من العوامل المفردة ؛ لقد كان مظهره المبدع هو ذلك الاجماع الشامل الذي ضم بين شعوب الارض على استهجان ومناواة روح التحكم المجرد ، وتحكيم طرائق العنف ، مما كان يتمثل جليا في مختلف مراحل الهجوم الثنائي المشترك على التراب المصري .

لم يكن على المتحالفين ان يواجهوا دولة بعينها او تكتلا دوليا معينا ، بل كان عليهم ان يجابهوا كل الانسانية الواعية الصاحية المتحفزة ، كان عليهم ان يقاوموا كل طاقات النضال المتركزة في الضمير الانساني العام ، كان عليهم ان يجابهوا تلك الحقيقة الكامنة في نفسية الانسان ، والتي لم تسهم فوادح الدهر الا في بلورتها وتركيزها ، تلك هي شعور الافراد والجماعات بالعداء السافر غير المقيد لكل مظاهر الاغتصاب والسيطرة ، وخاصة اذا كانت تتشح بالرداء الذي اكتست به غداة انهيال المظليين من قبرص على تراب الجمهورية المصرية . لم يكن افراد المقاومة الشعبية في بور سعيد اذن الا طلائع الكفاح الذي كان على الشعوب مجتمعة ان تخوضه حفاظا على تراث الانسانية الخلقي ورصيدها من القيم المعنوية العليا ، ولهذا فقد كان اساسيا ان يجد العراك حدا نهائيا له على ابواب القناة ؛ فقد كان لطبيعة الحملة التحكمية وصبغتها القسرية ، ابعد الاثر في تحديد مصيرها وتوجيه نتائجها توجيها معاكسا؛ فليس من العسير اذن التاكيد بانها كانت — منذ البداية — تحمل في ثناياها العناصر الكفيلة بتدميرها والحيلولة بينها وبين ان تستنفذ اغراضها الجهوية الاولى؛ واهم هذه العناصر انها كادت — لو تم لها النجاح المفروض لها — ان تخلق على الصعيد الدولي اوضاعا غريبة ناشزة ، وسوابق خطيرة ليس للجو السياسي الدولي المترع بالامكانيات الانفجارية المهولة، قبل بتحمل نتائجها ومغباتها .

فقد حدت العقلية التوسعية التي لا تزال لها جذور متاصلة في اذهان المهاجمين ، الى انتهاج خطة الاستيلاء بالقوة ، وفرض الاوضاع المرغوب فيها بالوسائل المباشرة التي تستمد ديناميتها من اصول العسف والقسر وهذا النهج من العمل السياسي وان كان مالوفا في الظروف السياسية المعاصرة بالنسبة للجماعات المغلوبة على امرها ، فانه يكاد يكون شذوذا نابيا بالقياس للوحدات المستقلة في المجموعة الدولية ، وهذا ما تم في الواقع نتيجة الهجوم المثلث على مصر ، فقد روع الضمير العالمي ان تجرؤ الديموقراطيات الغربية على اعادة تمثيل المسرحيات المؤسية التي مهدت لقيام الحرب العالمية الثانية ، حيث اندفع المتهوسون بسحر النظريات السلالية والجنسية ، وذوو المراغب التوسعية والاستراتيجية ، واصحاب الاحتكارات الاقتصادية والصناعية الكبرى ، في غمار خضم من المجازفات الدولية والمخاطرات المسرحية المباغتة ، ثم بلغت سلسلة المآسي المروعة التي انبثقت عن نظريات الاستيلاء العنيف اوجها ، عند ما انتصبت « اسرائيل » لمساندة الوجود التوسعي الغربي في الشرق الادنى ، وصد التيارات السياسية والفكرية والاجتماعية ، تلك التي تحول بينه وبين البقاء والاستمرار .

وقد تطورت بعد كل ذلك الاجواء الدولية حول « العدوان » فاضحى الراي العام العالمي في مجموعه على درجة من التحرر في التفكير ، الى القدر الذي اصبح معه الكيان الاسرائيلي وهو يكاد يبدو — في بعض الحدود — نشزا نابيا في الاعراف الدولية والمفاهيم الانسانية العامة ، وقد اتى على كل ذلك حين من الدهر بات الكثيرون يحسبون فيه ان مبدا السيطرة عن طريق الارغام قد اصبح من مخلفات الماضي ، فساعد ذلك على تحسين مركز الشعوب الصغيرة في الحقل الدولي ، كما حفز الدول الكبرى الى تلمس اسباب اخرى غير الحرب ، لتحقيق وجودها الامبراطوري المتداعي، وخالها المفكرون ساعتئذ خطوة لاباس بها نحو القضاء على الحرب واسبابها ، وسبيلا الى عالم افضل يسوده مبدا التحكيم في المنازعات ، والفصل في القضايا المتضاربة بالوسائل السلمية، ولكن هذه الآمال ما لبثت ان تبخرت بصورة مسرحية غداة ان اقدم الحليفان الغربيان على ارسال النداء الغريب ، بوجوب استسلام القوات المصرية المدافعة امام جيش الغزو الاسرائيلي، وساعتئذ امكن للكثيرين ممن كان يتوفر لديهم رصيد كبير من التفاؤل وحسن النية ، ان يقتنعوا اخيرا بان فكرة التعايش المسالم لم يتح لها ان تختمر بعد في اذهان الدول الكبرى ، وانها لهذه العلة لا تعدو ان تكون حلما جميلا يداعب خيالات الشعوب الصغيرة التي ترغب ابدا في احاطة نفسها بجو من الامن والطمانينة والاستقرار ومن هنا كان مبعث هذا العمق في التاثير الذي خلقه الحادث في مختلف الكتل الشعبية في العالم ، وكان رد الفعل بالتالي — كما امكن تسجيله — عنيفا وشديدا .

وثمت جانب آخر كان له اكبر الاثر فى اصطناع ظروف تلك الانتفاضة الانسانية الرائعة ضد «العدوان» المتجسم فى الهجوم على مصر ، ذلك هو الامم المتحدة ، فقد نشأت هذه المنظمة على اعتبار انها ستكون اداة لمنع تكرار المأساة الانسانية التي تتمثل فى ملحمة سنة 1939 ورغم انها كانت قد اصيبت بانتكاسات خطيرة فى سبيلها الى تحقيق هذه الاهداف الكريمة (فلسطين ـ جنوب افريقيا مثلا) فانها مع ذلك قد اقتدرت ـ فى مدى السنين السابقة للعدوان ـ على ان تعيد كثيرا من الاعتبار لمركزها كسلطة دولية عليا ؛ وقد ساهمت كثير من الاحداث فى اقامة هذا الاعتبار ، وكان ابرزها نجاح المنظمة الاممية فى اقرار الحالة بأذربيجان (1946) واندونيسيا (1949) وكوريا والهند الصينية (1954) ، وقد استطاع الامين العام المستر هامرشولد ـ بما اوتيه من قوة فى الشخصية ونزاهة فى الخلق وموضوعية فى التفكير وتجرد فى السلوك ـ ان ينجح الى حد ما ، فى تركيز ثقة شعوب العالم حول المنظمة ، ويتوفق فى اكسابها مزيدا من الهيبة والاحترام ، وذلك ما كان من شأنه ان يسهم فى تعزيز الرقابة الدولية على التيارات السياسية الموضعية ، كما كان له ايضا ان يعين على التحديد من سعة الامكانيات الهائلة التي تتوفر عليها القوات الكبرى للتأثير على سير العالم نحو الحرب او السلم ، وفى هذا الجو المفعم ببوارق الامل اتقدت شرارة « العدوان » فكان ـ لو اتيح له ان يصيب القدر المفروض له من التوفيق ـ قاصما لظهر الهيئة الامية ، مبيدا للعناصر المعنوية الاولى التي تستمد منها القوة والنفوذ ، منذرا بحلول عهد البعثات الاستكشافية والارتيادية فى ارجاء افريقيا وآسيا ، موعدا بامكانية نشوء حالة من الواقع التوسعي تعود بذكرياتنا الى عهود شباب الاستعمار ! وعلى هذا فلم يكن امام شعوب العالم سبيل اخرى غير تلك التي سلكتها فى شجب اعمال المهاجمين ؛ والا فماذا كان يمكن ان يصير عليه التوازن الدولي فى حالة ما لو فقدت الامم المتحدة سلطانها على صانعي العدوان، وبالتالي على التيار السياسي الذي يوجه الماجريات الدولية فى العالم ؟

فاذا افترضنا ان ذلك لم يكن له ان يساعد على نشوب حرب عالمية ثالثة ـ وهذا افتراض جد لـي فقط ـ فاننا حينئذ على اقرب احتمال ، كنا سنعود على الاقل ، الى عهد « المجالات الحيوية » و « مناطق النفوذ » وتسميات اخرى قد تبتدعها الظروف والملابسات فى ذلك الوقت .. !

وفى حالة ما لو تم كل هذا ، فانه لم يكن له الا ان يخلق حالات سيئة للاوضاع التي تعيش فيها الدول الصغرى ، التي تغدو كياناتها آنئذ وهي اكثر تعرضا للانواء السياسية الاجتياحية ، بما فيها ذات التأثير المباشر او غير المباشر .

على ان ذلك كله لم يكن له ليشكل ملامح هذه الحتمية السياسية ، لو لم يكن العدوان من ذلك الصنف الذي لا نغلو اذا نظرنا اليه باعتباره سابقة خطيرة نستطيع ان نؤكد بعد استيعاب جزئياتها وملابساتها وطبيعتها ، انه يعز ان يوجد لها مماثل فى عالم ما بعد الحرب ، مع استثناء بعض الحالات القليلة الاهمية .

والامر هنا ليس مجاله السياسة البحتة ، بل كذلك الاخلاق ، فقد انصرف هم المسؤولين فى الغرب الى العمل على تحديد الاساليب التي يمكن ان تكون هادفة ومصيبة ، اما صلة ذلك بالمستوى الدولي فى نفسه الاعلى ، وما قد يحمله من فعاليات مؤثرة على القيم الثابتة التي يتشكل منها ما ندعوه بالخلق الدولي ، فذلك مما لم يكن له عند المهاجمين وزن كبير ، فقد اقدموا دون تحرج على ممالأة « دولة » تبرهن الشواهد على انها مصدر اضطراب وعدم استقرار دائم فى منطقة المتوسط الشرقي ، وهذا مما تنافرا جوهريا مع المفاهيم والمسلمات العامة التي تخول « للدولتين الكبيرتين » احتلال المقعد الدائم فى مجلس الامن ؛ وبعد ان تم شن الهجوم الاسرائيلي ببضع ساعات بادر الحليفان الغربيان الى اتخاذ موقف حاسم لفائدة احد الفرقاء على حساب الآخر ، وذلك بالتناقض مع التصريح الغربي المشترك لسنة 1950 ؛ بيد ان مأتى الخطورة المركزي ، هو فى تدخل القوات الفرنسية ـ البريطانية، تحت ذريعة الحيلولة دون انتشار النزاع وعمومه ، وهكذا اقدمت الحكومتان الغربيتان على انتهاج سبيل هذا الضرب من التكتيك السياسي ، الذي يرمي الى استغلال حالات خاصة لتحقيق اهداف ومآرب معينة ، وهذا يعني اننا كنا فى حالة نجاح التآمر الثلاثي ، على عتبة وضع خطير ومريب جدا ، فقد كان من المفروض بعدئذ ان تصبح الاضطرابات المحلية ومواطن النزاع الاقليمية، ذريعة قوية لتدخلات دولية على نطاق اوسع، ولو كان الامر على حساب السلام العالمي .

وهكذا كان من الجائز ان يتزايد خطر الحرب الكونية بصورة واسعة نتيجة لتعدد مناطق الاحتكاك ومظان التوتر ، التي تعين على خلق الاجواء الموائمة

للتدخلات العسكرية المسلحة ، وهكذا يمكننا ان ندرك على ضوء هذه الملاحظات ، مقدار الخطورة التي كانت قد تصبح متمثلة في الوضع بسوريا ، والبلقان ، وجنوبي شرقي آسيا ، وحوض بحر الصين ، وغير ذلك من مواطن الاحتكاك الدولي في مدى الفترة التي اعقبت وقوع حملة السويس .

*

لقد انقضى الان ما يوازي اربعة وعشرين شهرا على بداية الاعتداء ، وقد دلت الماجريات العالمية في مدى هذه الفترة القصيرة نسبيا ، على ان الحادث كان من حيث النتائج التي تمخض عنها ، ذا تاثير جذري في مصير القضية العربية بوجه خاص ، وقضية الشعوب الصغيرة بوجه عام ، فقد ارتفعت بعد انتهاء العدوان ، اسهم التيار العربي المتحرر في المجال الدولي ارتفاعا يؤذن بقرب انبلاج فجر العروبة الاكبر ، ذلك الذي كانت ترقبه البلاد العربية منذ كانت ولايات عثمانية تافهة الشان .

ولنتناول قصة الوحدة بين مصر وسوريا ضمن الجمهورية العربية المتحدة كمثال ، فعلى الرغم من ان امكانات التقارب بين القطرين العربيين كانت قبل متوفرة ومتعددة ، مما كان يسهم دائما في تحقيق الوحدة بين الشعبين الشقيقين في الوسائل والاهداف ، فان حوادث السويس وذيول هذه الحوادث كان لها مع ذلك تاثير حاسم في تنمية هذا التقارب ، ومنحه صورا حية مشرقة جعلت الوحدة بين البلدين العربيين فيما بعد اكثر يسرا وسهولة ، هذا بالاضافة الى ما اعانت عليه الحملة العدوانية من تبديد الشبهات السياسية بلبنان ، وتحديد المواقف الاتجاهية في القطر الشقيق ، مما كان له تاثير على توجيه الاحداث في هذا البلد العربي الغالي ، هذا التوجيه الذي سيفضي في الاخير ولا ريب ، الى ما فيه صالح عروبة الشعب اللبناني .

على انه اذا كان هناك في حملة السويس ، من عبرة كبرى ، فانها تكمن ولا ارتياب في قوة هذا التجاوب في الشعور ، والتضامن في النضال ، بين شعوب العالم التي استطاعت ان تعبر عن ارادة موحدة قوية متحررة كان لها تاثير فاصل ، الى جانب العوامل الاخرى ، في وضع حد نهائي للبغي السافر على الجمهورية المصرية المناضلة، وقد امكن بعد ذلك لرد الفعل الانساني هذا ان ينمو ويتطور ، الى ان كاد يستحيل الان الى معارضة انسانية جماعية لكل مظاهر العدوان واساليبه واسبابه ، وقد كان النزول الامريكي في لبنان ، والبريطاني في الاردن ، مناسبة هامة لتاكيد وجود هذا التجاوب الشعبي ، واستمراره ، ونموه ، بصورة يبدو معها انه قد يصبح — فيما لو توفرت له العوامل المساعدة — اساسا لتحديد السلوك السياسي الدولي في عالم الغد .

فاذا كانت الشعوب في مختلف ارجاء المعمورة اذن ، قد امكنها ان تشد من ازر المناضلين في بور سعيد وتظاهرهم على دحر العدوان الذي شنته الرجعية الدولية على الشعب العربي المتحرر في مصر ، فان على هذه الشعوب نفسها ان تبقى يقظة حذرة مستعدة — والشعب العربي الى جانبها — لاحباط مشاريع العدوان في جهات اخرى من المعمور ، كما ان عليها ان تزداد تقاربا وتكاتفا وتآزرا حتى تستطيع بذلك فرض المثل العليا ، التي قدم شهداء المدينة المصرية الخالدة انفسهم قربانا على مذبحها المقدس .

فليكن اذن التضامن الشعبي العالمي ، وتاثيره على قوات الرجعية الدولية ، ونجاحه على صعيد بور سعيد في تحقيق الافكار الانسانية الخيرة ، العبرة الخالدة التي نستخلصها من حملة السويس بعد ان دخلت في ذمة التاريخ .

الفيلسوف الانسان

للأستاذ
عبد السلام الهراس



« ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

قرآن كريم

ان ابرز ميراث الانسانية من الحضارة الجديدة يتلخص في كلمة **((الخيبة))** التي هي النتيجة الطبيعية لفلسفة القوة ، وفصل الضمير عن الثقافة التي هو عنصر جوهري منها . وليست هذه الخيبة سلبية ، اذن لكانت حسرة في النفس وكفى ، ولكنها تمثل كارثة تهدد بقاء الانسان ووجوده ككائن حي على الاقل فمصير الانسان معلق «بزر» في موسكو وآخر بواشنطن ، واي خطأ او رعونة تقع من جانب احدى الدولتين ، كفيلة بأن تجعل الانسان هباء منثورا تذروه الرياح .

هذه الكارثة التي مازالت الحضارة الجديدة تغذيها بفلسفتها وسلوكها هي التي اثارت ضمير **(مالك بن نبي)** وقرعت اعماقه وانسانيته ، فهب بكل ما يملك من عبقرية وفكر ، يتلمس للانسانية الخلاص من الفناء المحقق الذي يقترب منها كل يوم بخطا واسعة .

والمشكلة التي تدفع بالكارثة دفعا الى نقطة الانفجار ، تتمثل في وجود انسان غير متحضر ، ومتحضر غير انسان ، ومهمة **(مالك)** هي التخطيط الدقيق العملي للارتفاع بالانسان الى مستوى الحضارة وبالتحضر الى مستوى الانسان . اي ان رسالته هي ايجاد الانسان المتحضر ، ففي هذه النقطة يوجدالخلاص للانسانية ، ومجرد التوجه الواعي نحوها من الطرفين يجعلنا نتفاءل بمصير الانسانية ، وعند الوصول اليها تذوب الكارثة ، وتنمحي بزوال اسبابها التي تكمن في الانسان غير المتحضر من ناحيتها السلبية ، اي باعتباره موضوعا للاستغلال والاستعمار ، وفي المتحضر غير الانسان من ناحيتها الايجابية ، باعتباره متسلطا ومستعمرا ، وبمعنى اوضح تزول الكارثة بتطهير الانسانية بشطريها من الاستعمار ومن القابلية للاستعمار .

وفلسفة مالك تقوم على النظر في التاريخ الانساني الطويل ، والتعمق في احداثه واسبابها ، واستنباط الحقائق الاجتماعية التي نستطيع ان نستفيد منها في معالجة ازمتنا الحاضرة على ضوء ما اصبنا في الماضي من فشل او نجاح ، ولذلك يرى **(مالك)** ان الانسانية مرت باكبر تجربتين حضاريتين في التاريخ ، التجربة الرومانية والتجربة الاسلامية ، وقد كانت التجربة الاولى متجلية في الروح الامبراطورية التي تقسم الانسان الى مواطن يتمتع بكامل الحقوق ، والى غير مواطن مسلوب من كل الحقوق ، وعلى هذا الاساس حكمت وقننت وعالجت وفتحت . وهي وان فشلت في معالجة مشكلة الانسان قديما ، فقد اتيح لها أن تبدو في صورة جديدة في عصرنا الحاضر . فالحضارة الغربية المعاصرة تخطت الحضارة الاسلامية — التي سبقتها في الزمن وكانت حلقة ضرورية في

سلسلة الحضارات الانسانية ـ تخطتها لتتصل بالحضارة الرومانية ، وتأخذ منها روحها الاستعمارية وتتشرب مبادئها ، وكثيرا من نظراتها الجوهرية للحياة .

«والمستعمرون انفسهم يعترفون بذلك من حيث لايشعرون اذ نسمعهم صباح مساء يردون اعمالهم الى عبقرية الرومان» (1) فهذه الحضارة الجديدة اذن ، لم تستطع ان تتخلص من اسباب فشل الحضارة الرومانية ، بل انها تتغذى من تلك الاسباب ، مماجعلها تفرق انسان الغرب ، والانسان (الافريقي الاسيوي) اي المستعمر والمستعمر في قوانينها وسياستها واخلاقها، وقد استطاعت بدافع فلسفتها ان تخلق للانسانية **(غاية)** وهي الفناء المحقق ، وزودت **(المتحضر)** بثقافة الرومان وعبقريتهم ، للوصول الى تلك الغاية في اسرع وقت ومن اقصر الطرق .

اما التجربة الاسلامية فكانت محاولة من لون جديد ، فهي قد رفعت بالفعل الانسان الى مستوى الحضارة دون ان تفقده خصائصه الانسانية ، بل ان التاريخ ليشهد بانها كانت تغذي الانسان بما يقوي تلك الخصائص ويسمو بها ويبرز معالمها ، فالحضارة الاسلامية تقوم في صميمها على اساس قوله تعالى **(ولقد كرمنا بني آدم)** وقوله صلى الله عليه وسلم **(الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله)** فهذه الرسالة من صميمها ان يعي اصحابها انفسهم حق الوعي واعمقه ، فيطهرونها من كل رواسب الوحشية والانتقام ، ويشحنونها بالمعاني والقيم الانسانية ، لينهضوا نهضة تشيع في خط **(طنجة ـ جاكارتا)** وبذلك تستطيع ان تخلص حضارة الغرب من الانهيار برفع **(الفرد)** الغربي من مستوى المتحضر غيرالانسان الى مستوى الانسان المتحضر . فالحضارة الغربية اليوم اهم سيمة تميزها ، هي انها واقعة فريسة لازمة اخلاقية ، في حين انها تملك من الوسائل العلمية والمادية ما يجبرها على السير الى الامام ، غير ان هذا السير لايتزود بضمير ، وبذلك ضل الطريق نحو حياة افضل ومهما تكن لدى الحضارة الغربية من فضائل ، فهي فضائل محلية لاتتجاوز حدود الغرب ، ولقد لاحظ ذلك فيلسوفنا فقال :

(وعلى كل حال ، فان مما يزيد الوهم ، انللوسط الغربي فضائل خلقية جميلة ، شهد بها ـ غاندي ـ أكثر من مرة ، ولكن هذه الفضائل ليست سوىفضائل داخلية أنانية لااشعاع لها ، والعقل الغربي ـ وبخاصة في التعقيب على نظرية كلود ليفي ستروس ـ لايجعل في اعتباره هذا الوضع الخاص ، لانه ـ هو نفسه ـ ذاتي ، أناني من الوجهة الاخلاقية ، فالفضيلة الغربية لا وجود لها بالنسبة للعالم، لانها لاتشع على عالم الآخرين والغربي لايحمل فضائله خارج عالمه ـ هو ـ فخارج حدوده الاوروبية لايكون انسانا ، بل اوروبيا ، وهو لا يرى بعد ذلك ـ اناسا ـ بل مستعمرين ، فهو يتحرك ببرجه العاجي كما يتحرك الرحالة بخيمته ، وهو حيثما ذهب ـ سواء كان صانعا أو مخبرا صحفيا أو مجرد سائح في بلد متخلف ـ ينشيء ـ عن قصد أو غير قصد ـ ما يسمى ـ حالة استعمارية .

وعليه فالاوروبي لاينشيء في هذه الحالة روابط صداقية واخلاقية ، فان علاقاته مع ـ المستعمر ـ هي من النوع الاقتصادي أو الاداري أو السياسي ، بلحتى من النوع الاستراتيجي في بعض الحالات ، تبعا لاتصاله بزبائن أو رعايا او اقوام مستعمرين ، او لحم يطعمه للقنابل الذرية .

ورسالة (بن نبي) كما يبدو من كلامه هذا ومن غيره ، أن يسمو بتلك الفضائل الى ان تصير انسانية

---

1) من كلام استاذنا مالك بن نبي .

شاملة ، وبذلك ندرك أهمية رسالته «الافريقية الاسيوية» التي سيكون دورها **«هو مساعدة أوروبا على ان تحسن اختيارها في اطمئنان لاكمال عملها في عالم ضميرها ، وبهذا تكون «الافريقية الاسيوية» قد اتمت عملها ايضا ، لانها تكون قد سمت بالانسان الغربي الى المستوى الاخلاقي للانسانية ، محققة بذلك تركيب الرجل العالمي» .**

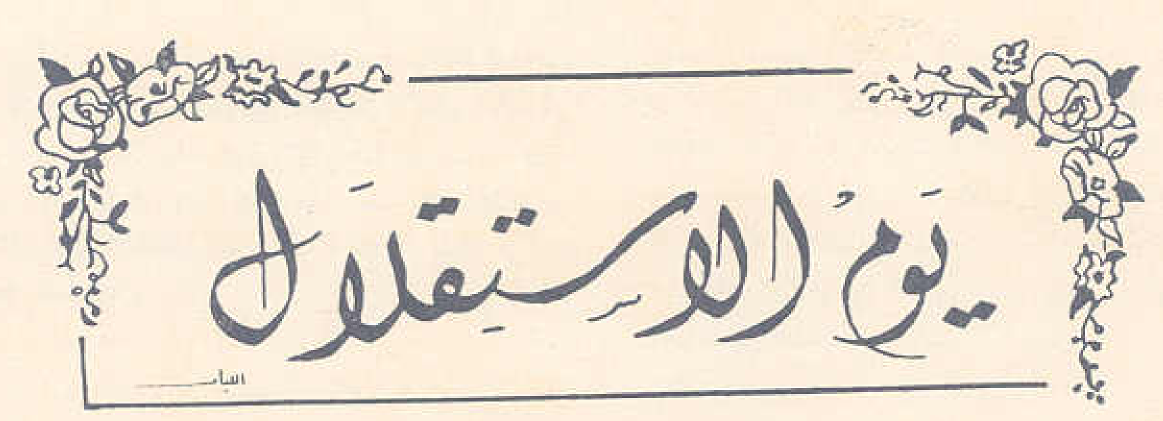
واستجابة مالك لهذه المحاولة الفلسفية العملية، كانت استجابة عميقة تخطت الغريزة والقانون الى اعماق الاحاسيس الانسانية ، الى جوهر الروح المتشبع بجوهر الدين ، فهو لم يستهدف في محاولته الحضارية هذه ، عدوانا ولا انتقاما شرعيا للضحايا التي تساقط من امته في الجزائر وغيرها ، على يد جلاد يالحضارة الغربية ، في صور وحشية مثيرة ، وانما يستهدف انقاذ الانسانية ، بما فيها الغرب المتحضر ، على يد الانسان البسيط : انسان افريقيا ـ آسيا . بما لديه من رصيد اخلاقي وروحي يؤهله للقيام بهذه الرسالة الثانية ، التي نرى الانسانية اليوم احوج اليها من اي وقت مضى ، لما يهددها من اخطار الفناء ، ولذلك لانرى اي مبرر لتخوفات بعضهم من قيام حضارة «افريقية اسيوية» لان قيامها لايعني هدم الحضارة الغربية ، وانما يعني تطهيرها من اسباب الفشل .

فهدف هذه الحضارة الجديدة المنتظرة، انساني بحت ، يهدف الى تكوين المواطن العالمي الذي يتمتع بكافة الحقوق الانسانية ، كما ان عليه واجبات العمل على المحافظة على هذه الحضارة وتنميتها بكل ما هو انساني ونبيل .



صومعة «الكتبية» بمراكش ، اخت «صومعة حسان» بالرباط ، ومنار «لاخيرالدا» باشبيلية .

وهي جميعا من آثار الدولة الموحدية المغربية في القرن الثاني عشر الميلادي .



للشاعر الأستاذ
أبي بكر اللمتوني

ابطالنا الراضون في جناتهم ... يارب كرم عندك الابطالا !

لا ينسنا نضج الثمار بذورها ... ودما على تلك البذور انهالا

كم مهجة سالت على حرف وكم ... دمع على درج المشانق سالا

يا يومنا الغالي تحية أمة ... كادت تخالك في الحياة محالا

دعنا نجرر نشوة أذيالنا ... أمثالنا من جرروا الاذيالا

يا شعب سد واحي الحياة طليقة ... تمضي الفعال وترسل الاقوالا

لا أذن تستقصي الشفاه ولا يد ... تشوي الظهور وتوصد الاقفالا

قولوا لكافور لدى أطلاله ... يبكي ويندب أمنه المغتالا

انظر الى الاقيال ماذا تبتني ... فلقد عرفنا دونك الاقيالا

سائل فلست على الظهور بقادر ... ان كنت تلقى من يجيب سؤالا

أطلالك الخرس التي ملكتها ... يوم المهازل لم تعد أطلالا

قد كنت تعرض في الشوارع عنوة ... وتمر فيها مارقا مختالا

ووراءك الطبال مربوطا ولا ... طفل يلوح لينظر الطبالا

في ذمة الشيطان عهد فاسد ... الشعب آثر ان يزول فزالا

ما كان هذا العهد غير «زبالة» ... حشدوا لها الاوغاد والانذالا

سبحان من لاحكم الا حكمه ... رد الحقوق وبدل الاحوالا

تستقبل اليوم البلاد مليكها ... بالروح نفدي هذا الاستقبالا

في موكب تسعى البشائر دونه ... والشعب يمشي حوله مختالا

آماله نيطت بجهد محمد ... ومحمد قد حقق الآمالا





تنفيذا لما قررته الكتابة الدائمة لمؤتمر طنجة فى اجتماعها الاخير فى تونس ، توقف عن العمل لمدة « نـصـف سـاعـة » كل فرد فى المغرب العربي ، تونس والجزائر والمغرب ، وذلك من الساعة العاشرة الى العاشرة والنصف من صباح يوم الثلاثاء 16 شتنبر 1958 ، اعلانا للتضامن مع الشعب العربي فى الجزائر ، فى كفاحه المقدس من اجل انسانيته وكرامته وحريته واستقلاله، واستنكارا للاستفتاء المزعوم حول الدستور الفرنسي .. فى الجزائر !!!

انا يا جزائر ..
انا يا هضاب الرؤى والنحيب ..
انا .. ايهذا النشيد الطري الحبيب ..
طراوة دم خصيب ..
تجمد فى العشب ..
فى طلل ..
اورقت فوقه الذكريات ..
والشهقات ..
من الامس ..

انا يا جزائر ..
وقفت هنا ..
نصف ساعة !
وفى حلقي يا جزائر
شجى الالم المر ..
من الف ساعة !
ومن يوم ثار بأوراس اسد غضاب ..
نضوا عن وجوه الشباب ..
الحجاب ..
انا اذكر الساعة المدلهمة ..
بلى ..
الدقيقة المدلهمة !
وفى ليلة من نوفمبر ..
ابت ان توشح بالنور ..
سترا لهم ..

وفى ليلة من نوفمبر ..
انصت فيها القدر ..
ووقف ..
يبارك اغلى دقيقة ..
ويشهد صيحتهم بالحقيقة !

واغلى الدقائق عند الشعوب ..
دقيقة ثورتها للحرية ! !

وفى ليلة من نوفمبر ..
حتى النجوم ..
اطلت من الافق ..
بين السحاب .. !
اطلت على الاسد ..
بين الهضاب .
لتلثم نبع الضياء ..
وسنى الانبياء ..
بغرة تلك الجباه الغضاب ! !

وفى ليلة من نوفمبر ..
وكنا نجرع كأس المنية ..
ونعدو حفاة على الشوك ..
فى كل درب ..
تمرغ فيه الجباه الابية !
وذاك الاسد .

الهصور ..
الغيور ..
نفوه هنالك ...
هنالك .. في مدغشقر ! :

انا يا جزائر ..
وقفت هنا ..
نصف ساعة !
وفى الدم يصرخ ثار ضرير ..
خطير !
وفى حلقي يا جزائر ..
لظى ثورة عاتية ..
ستسحق طغيانهم ..
عاتية !
وفى القلب ..
يعشوشب الحب والامنيات
والحنين ..
يغرد فى اضلعي ..
ويغرد !
الى الموت فى ساحتك ..
يا جزائر ..
لألثم ذرات ارض ..
تندت لصرختها الغالية ..
لصرخة اختي التي سجن الطاغية ..
جميلة بوحيرد !

انا يا جزائر ..
انا يا ربى الخلد ..
فى كل شبر ..
سقاه المجاهد بالدم ..
حتى ارتوى ..
فثوى ..
فاصبح قبرا ..
غدا فدق قبر !

انا يا جزائر ..
انا يا كهوفا يعود اليها المجاهد ..
عند المساء ..
ببندقية .. !
يؤدي التحية عسكرية ..
ويأتي بأخبار اخوانه فى الكمين ! :

« .. نصبنا لهم فى الطريق الكمين ..
ودارت رحى المعركة ..
حصدناهم برصاص تنثر ..
تنثر كالمطر المنهمر ..
غنمنا مسدس ..
وبضع بنادق ..
وبعض ذخيرة ..
وعند الطريق ..
هنالك ...
يقدم اخواننا ...
خمسة .. وانا ...
ومات رفيق !
دفناه فى المنحدر ..
تحت الشجر ..
وتحنو على قبره فى اخضرار ..
غصون زيتون !
..... »

انا يا جزائر ..
وقفت هنا ..
نصف ساعة !
لأعلن للعالمين ..
اني هنا ..
فى الرباط ..
وفى القيروان ..
وفى تلمسان ..
اني انا المغربي الكريم .. !
ساصمد للظالمين ..
واحفظ حريتي الغالية .. !
وانزعها من يد الطاغية .. !

واني انا المغربي الكريم ..
اذا ما وقفت هنا ..
نصف ساعة ..
لأوقظ ذاك الضمير ...
ضمير فرنسا ...
اذا ذكروا لفرنسا ضمير ...
واي ضمير ... !! ؟

واني انا المغربي الكريم ..
وقفت هنا ..
نصف ساعة ..
لأصرخ : لا يا دكول !

ابدا يا دكول !
افرنسي انا ! ..
لا .. لن اقول : نعم !
ابدا لن اقول ...
ابدا يا دكول .. !
انا مغربي اصيل ..
عربي اصيل .. !
وحريتي في الجزائر ..
وفي موريطانيا ..
وفي كل شبر عزيز ..
من بلادي عزيز !
سأدفع عنها الثمن ..
بالدماء ..
يا دكول !
ومهما يطول الزمن ..
لن اقول : نعم ..
ابدا ... ابدا .. يا دكول !
لا .. لا .. لن اقول !

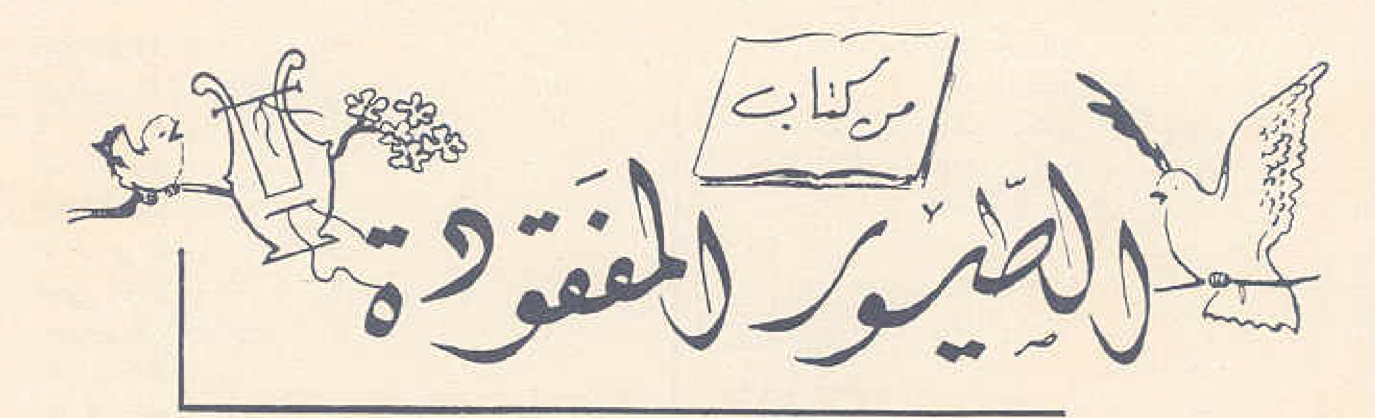
وانت تداعب مجدك كالآخرين ..
يا دكول .. !
ومليون منك ..
ومليون من سوستيل ..
ومن جنرال ..
ومن مارشال ..
ليس يرغمني احد فاقول : نعم ..
ابدا .. ابدا .. يا دكول !
لا .. لا .. لن اقول !

غدا ...
ساقول : نعم ...
للسلام ...
وللحرية !!
وفي لحظة للخلود ..
سينصت فيها القدر ..
ويقف ...
في شرود .. !
ليشهد اغلى دقيقة ...
ويسمع منا الحقيقة .. !
وتخفق اعلام وحدتنا ...
في الرباط ..
وفي القيروان ..
وفي تلمسان !
ونبني مع الناس سد السلام ...
ونحيى كرام ...



مسجد «تينمل» القرية البربرية التي شهدت مولد الدولة الموحدية في القرن الثاني عشر الميلادي .

وهي تقع بوادي نفيس بالاطلس الكبير .



رابندرانات طاغور
ترجمة
محمد الصباغ

النحلة تمتص عسلها من الزهور وترفرف قائلة " شكرا . والفراشة المسحورة تعرف جيدا ان الزهور مدينة لها بالشكر .

من وراء قلبي الحزين، توجد حسراتي، وهمساتي ولكني لا استطيع فهمها !

انت تبعثين الي برسائل الغرام في القمر . هكذا قال الليل للشمس ، ودموعي تجيبك في الاعشاب .

الورقة عندما تحب تكشف عن زهرة ، والزهرة تتحول الى ثمرة في عبادتها .

دعني اظن ان نجمة من هذه النجوم ، ستقود حياتي الى شيء خفي مظلم .

عندما نقرت حياتي بأصابعك اللطيفة ايتها المراة، تفجر الايمان من أعماقي كالموسيقى !

الصوت الحزين الذي بنى اعشاشه في خرائب الاعوام ، يطربني فى الليل قائلا : كم احببتك !

كم عندي في السماء من نجوم مشتعلة ، ولكن واحسرتاه ، على قنديلي الصغير المنطفىء فى بيتي !

قدرة الله اللامتناهية ، لاتوجد في العاصفة ، بل في النسيم الهادىء .

ان قطرات الشتاء عندما تقبل الارض تقول لها بحنان : نحن بناتك الحزينات يا أماه ! وقد اتينا لزيارتك من السماء .

السكينة تهيم بصوتك ، كما يهيم العش بموسيقى الطيور التاعسة .

اني لاجهل ذلك الطائر الفجري الذي يحوم في عش سكينتي كل الليالي .

العالم الاليم يقبل روحي ، ويريد من بعد ان ارجع اله في اناشيدي .

ما هذا الذي يقبض على صدري ؟ اهي روحي التي تريد ان تجنح الى اللانهاية ، ام هي روح العالم التي تريد ان تدخل الى صدري .

الفكر يتغذى بالفاظه ، لذلك يكبر سريعا .

سأترك لاحبائي أشيائي الصغيرة ، أما اشيائي الكبيرة فسأتركها للكل .

انا كطريق في ليل ، ينصت في سكون الى خطوات الذكريات .

ان الذي يتصيد الفرصة المواتية ليفعل الخير، يفر منه الزمن دون ان يفعل الخير .

يقول القوس للسهم وقت الوداع : حريتك هي حريتي .

قالت قطرة الشتاء الى الياسمينة همسا : خذيني الى قلبك الى الابد . زفرت الياسمينة قائلة : آه ! وسقطت على الارض .

كيف سأنحني اليك ، واعبدك ايتها الشمس . قالت الزهرة الصغيرة . فأجابتها الشمس : فى صفاء هدوئك المتواضع .

ليل ، ونهار ، أنشودة الموت الأبدية التي تثور . كبحر حول جزيرة الحياة ؛ ذات الوحدة والسكينة .

فتش عن جمالك يا قلبي في حركة العالم . كقارب يأخذ هبته من الرياح والمياه .

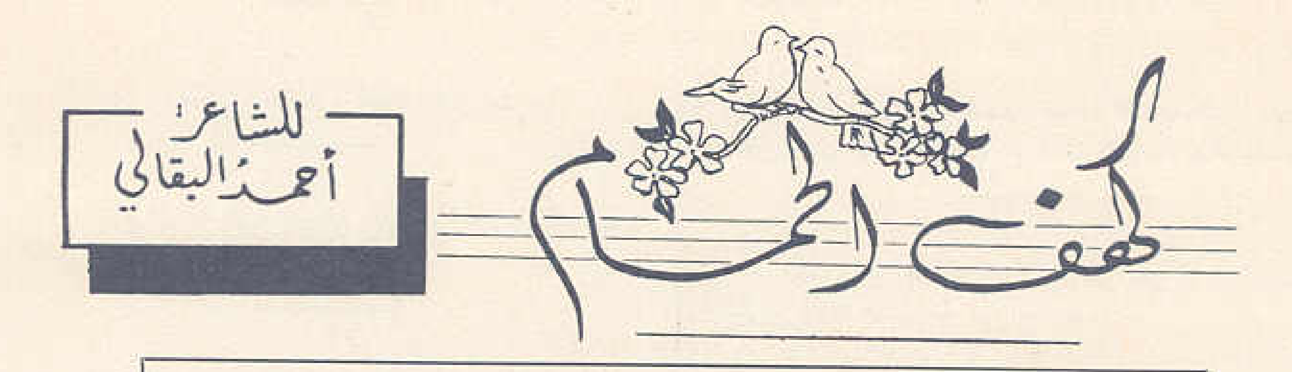
انظر اليها وهي معفرة في الغبار ، تلك الزهرة التي طمحت ان تكون فراشة !

من الزهور ، ونور الشمس ، تعلمت حقيقة تنهداتك ! فعلمني حقيقة كلماتك فى الالم والموت .

انا طفل مستيقظ يا اماه ! انظري الى اصابعي التي تفتش عنك في الظلام .

لقد انتهى نهار عملي ، دعيني اخبىء جسدي بين ذراعيك يا اماه ! اتركيني احلم فيك .

أيها العالم ، احضن في سكينتك عندما اوارى التراب هذه الكلمة : احببت .



كهف مظلم ، على الساحل الصخري بين « اصيلا » و « العرائش » .. تتكسر في جوفه امواج البحر ، ويعشش في سقوفه الحمام الوحشي ، ويحلق في جوه ابو عميرة ... يسمع حفيف اجنحة الارواح فيه ؛ ارواح الملائكة ، والنبيئين ، والنساك والمتزهدين والمردة والشياطين .. يوحي بالرهبة والجلال .. فتباركت اركانه الطاعنة في قلب الابد .. وصخوره الصامدة صمود مجد الجدود .

اكهف الحمام ،
عليك السلام ،
وطيت بالاعصر الخالية ..
جلست اليك فحدثني ؛
سكوتك عن غابرات العصور :
على الف عام
على الف عام مضين والف بقين
ولا كف تنفض عنك غبار السنين
على البحر حين يثور
ويعلو الصخور
بمهتاج امواجه العاتية
بعينيك اغفى الابد
فطال عليك الامد
وعفت السلامة والعافية
فكم فيك مدفونة من كنوز
ومكتوبة من رموز
باقلام ايامك الماضية !
وفي جوفك المدلهم ؛
لامواج هذا الخضم ؛
كزمجرة الرعدة الداوية
وفي قلبك العنكبوت
حيا ، ويموت
لينسج اوهامه الواهية !
تناوح فيك الرياح ،
وتبكي عليك الغيوم ،
تجرر اذيالها الدامية
وتأوي اليك النسور ،
خفاقا كوطء الدهور ،
على قمم الازل العالية

ويأتي زمان المطر ،
ويعشو البصر ،
وتجمد احجارك العارية !
وتفري دجاك البروق ،
وتقصف فيك الرعود ،
تزعزع اركانك الراسية
وتحجب عنك النجوم
ثقال الغيوم
مضيا لآفاقها النائية
ويأوي اليك الظلام
لعل المنام
يداعب اجفانه الصاحية
ويأوى اليك الخلود
وانس الوجود
لتجديد رمتك البالية
ويأوي اليك الزمان
كما كنت قبل وكان
يصلي على روحه الفانية !
وتفضى اليك الصخور
بسر الدهور
فما خفيت عنكما خافية ..
وتمضي السنون
ويفنى البشر ،
ويغمد سيف المنون
ويعشو اليك القدر ،
لينتظر الدورة الآتية
صبا مثقل بالسنين
وعمر نضير كعمر الزهور
وشيخوخة كالضحى زاهية





يا موجة تنثني ، على ضفاف الحقيقة
هل فى جرابك لحن ، ما ابدعته سليقه
به اليك رمت بسمة الليالي السحيقة
من قبل ان ياكل الدود من ضمير الخليقة

*

اريده . ان عندي لاحرفا ممشوقة
رويتها بدماء من مهجة محروقة
تكاد تصرخ فيها جراح شعبي العميقة

*

عندي حروف فهلا قذفت لحنا شرود
لم يكتنفه ظلام ولا راته لحود ...
ولا تكسر يوما على قيود العبيد ...
فثم عند ضفاف المحيط عند الحدود
شعب تالق فى ناظريه معنى جديد
وسوف اصنع للثائرين منه نشيد

*

لبثت ارفع صوتي ، فضاع هباء
فما اجبت ندائي ، ولا بذلت عطاء
الا سكونا عميقا ، عم الضفاف الوضاء
فكادت الاحرف البيض ان تموت ظماء
لولا انتفاضة جرح هناك سال دماء
تحفزت لاقتحام الظلام من حيث جاء
هناك حيث الظلام المخيف هز لواء
وصار يقذف شعبي قنابلا هوجاء

*

لولا انتفاضة جرح هناك سال دماء
ابصرتها بفؤادي تالقت حمراء ...
فرحت اقبس منها مقاطعا عذراء ...
ازفها لحروف عطرية ممشوقة ...
تكاد تصرخ فيها جراح شعبي العميقة

*

وجاء لحنا كما شاءت البطولة ، اسمر
عليه من كل قلب ، دم الكفاح تقطر
يكاد فى كل وقع له غدي يتفجر
فيا حروف اتركيه على شفاهك يسكر



... هذا الشرف الذي هو اعز ما تملكه المرأة ، انه حياتها وسرها وقوتها وجمالها وخيرها ...

امسكت السيجارة باصابعها الدقيقة ، وتوقعت ان اقدم لها عود الثقاب ، ولكني تباطأت وتكاسلت ، فحدجتني بنظرة صارمة قاسية ، وكان الليل رائقا ، ونور الكهرباء يغازل شعرها ، بينما جهاز الراديو يتجاوب بموسيقى (رقصة الاطلس) .

كان وجهها الفاتن يختفي وراء الاصباغ ، وقد بدت شفتاها في حمرة قانية ، لولا اسنانها البيضاء الصغيرة ، لخلت فمها قطعة حمراء . كان الالم باديا على محياها ، وكانت تنفث دخان السيجارة في عصبية وقلق .

بادرتها وانا اتامل كل شيء فيها : مالي اراك قلقة حائرة ؟ تكلمي .

اجابتني وعيناها تشعان ببريق يخطف الابصار: انني اخشى منك ؟

ـ تخشين مني ؟؟

اخشى ان تفضحني ، الم تقل لي ان مهنتك ان تكتب قصص الناس ؟؟

اجبتها : تكلمي ولا تخشي ... ومن يدري ؟ فربما كان في امكاني أن اساعدك .

وبحركة سريعة اسكتت الراديو ، ثم قالت وهي تنفث دخان السيجارة في فضاء الغرفة : لقد جئت الى هذا البلد واشتغلت خادمة ببيت احد الوجهاء الاثرياء ، وخلال مقامي مع الاسرة شاهدت كل شيء : شاهدت الظلم بأفظع معانيه ، ولمست النفاق بأخطر صوره ، شاهدت جوا مسموما تطل عليه رؤوس مخيفة كرؤوس الشياطين .

وبالطبع تعلمت النفاق ، فكنت ابتسم واضحك كبلهاء جاءت الى هذه الحياة لتشارك بدورها في المهزلة .

واقبل السيد الصغير يوما فابتسم في وجهي ، وقال يخاطبني :

انك أجمل امرأة في هذا البلد .

انتشيت من هذا المدح ، وشاعت الحمرة في خدي ، واذا بالشاب يقف مشدوها حائرا تتلعثم الكلمات في شفتيه ، وقال :

انه يحبني .

ولم اجد الا ان ابادله عواطفه ، كيف لا وهو السيد الصغير .

ثم حدث ان راودني ... فامتنعت وغضبت ؛ ولكنه الح .. وبعد ان لمس اصراري على الرفض اخذ يتآمر على طردي من البيت ، واخذ يشيع حولي انـي لصة مختلسـة ، والصبت التهم علي من كل مكـان ، حتى من والده ، السـيد الكبير .. الرجل العجوز الذي كان بدوره يراودني بابتسـامة خبيثة تنفرج لها شفتاه عن اسنانه الوسخـة ، وانتابتنـي الاحـزان والآلام . ففكرت في الهرب ، ولكن الى اين ... والابواب كلها موصـدة ؟؟

وذات مساء رهيب اقتحم غرفتي السـيد الصغير واسرع يقبل يدي ، وينحني علي ليمسح دموعه بشعر راسي ، واكد لي انه يحبني ، وانـي الوحيدة التـي ستكون زوجة احلامه ، وغرني هذا المظهر ، لاسيمـا وانا اسمع صرخاته وتوسلاته وايمانه المغلظة ، وتقدم الي . وبكل وحشية سلبني شرفي .

هذا الشرف الـذي هو أعـز ما تملكـه المرأة ؛ انه حياتها وسرهـا وقوتهـا وجمالهـا وخيرهـا .

ومضت ايام وتلتها اسابيع . واذا بي احس بدوار في راسي ، وشيء يتحرك في احشائي .

بكيت وصرخت ، ورجوت السـيد الصغير ان لا يتخلى عني ، ولكنه بدلا من هذا ، بادر الى اخبار امـه واخوانه ، زاعما انه رآني مع شخص مجهول .

وهكذا حكم علي بالطرد والشقاء ، وخرجت الى الشارع فطال بي التجوال والبحث عن عمل شريف ، واحسست بالجوع يمزق امعائي . فمددت يدي للناس في استجداء يائس ، ولكنهـم كانـوا ينظرون الـي باستخفاف ، كان نظراتهم تقتحمني عابـرة ، وكنـت دائما اسمع نفس الجواب .

واخيرا ، ولكيلا تقتحمني الاعين مرة أخـرى ، قررت ان اسلك الطريق التي توصلني الى اللذة والمال .

والعجيب ان المجتمع صفق لي هذه المرة فـي حرارة ، وصاح المعجبون بي في كل مكان :

ما اجملـك .

وها انذا اليوم اخطر في الشوارع ، اشـرب الكأس حتى الثمالة ، وحولي وخلفي اناس كثيـرون يتوددون لي ، هؤلاء الناس الذين سلبوني شرفـي ، وضنوا علي بكسرة الخبز .

وسكتت المرأة بعد ان خنقتها الدموع ، وشعرت باعترافاتها تنفذ الى اعماقي ، فلم املك الا ان انظر اليها في صمت ، والى دموعها في احترام .



القاعة الكبرى بقصر «الباهية» بمراكش وهي ممتـازة بسقفها البديع المزخرف بمختلف النقوش والالوان .

مع الفنان المغربي كريم بناني

شاب في الثانية والعشرين من عمره ، وديــع ، ومتواضع ، ومومن بفنه ، ذلك هو الفنان المغربي كريم بناني ولد بفاس ، في سنة 1936 ، ودرج في صباه على **(الزرابي المغربية)** الجملية ، المختلفة النقوش والاشكال والالوان ، فكانت رسومها والونها تجتذب عينيه ، ودرج على حبها وتذوقها والشعور بجمالها ، فكانت **(الزربية المغربية)** بالنسبة للاستاذ بناني ــ كما يقول هو نفسه ــ ملهمه الاول ، ومثير الاحساس الفني الكامن في اعماقه.

وذهبوا به الى المدرسة يوما ، فلم يثر شيء من مواد الدراسة فيها اهتمامه ، بمقدار ما اثارته دروس الرسم ، وان كان ذلك لم يمنعه من ان يجتاز عبقات الامتحانات المتوالية في باقي المواد الدراسية الاخرى .

واكتشف فيه اساتذته ميله الكبير الى الرسم ، وتفوقه فيه ، فشجعوه، ومهدوا له طريق اتقانه والتقدم فيه ، وهكذا وجد نفسه يوما طالبا باكاديمية الفنــون بفاس .

وفي سنة 1954 ذهب الى باريس ليصبح طالبا في المدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة .

وبعد مضي سنة ، فقط ، على الطالب المغربي كريم بناني في باريس ، استطاع ان يقيم معرضه الاول ، بباريس نفسها ، ومن يومها تتابعت معارضه في الرباط، وتونس ، وسان فرانسيسكو ، وبروكسيـــل ، والاسكندرية ، ودمشق ، وغيرها وغيرها ، وكانت معارضه دائما موضع عناية خاصة من النقاد في كل مكان حل به .

واخيرا عاد الاستاذ بناني الى المغرب ، وافتتح معرضه الثاني في صالة **(الصور الجميلة)** بالرباط .

*

زرت الاستاذ كريم بناني في معرضه عدة مرات ، وتحدثت اليه كثيرا ، وحاولت ان اظفر منه باســم المدرسة التي ينتمي اليها في الرسم ، فاذا هو لا يعرف له مدرسة يتبعها ، واذا هو يصر في جميع اجوبته ، على انه لا يتبع مدرسة معينة ، وان له طريقته الخاصة في الرسم التي يمليها عليه مزاجه ووجدانه واحساساته، ووجدت امام الاستاذ بناني على الطاولة ملفا انيقـــا يضم مجموعة من قصاصات الصحف التي تحدثت عن معارضه المختلفة في البلاد العربية والاوربية ، فاخذت اتصفحها ، واخيرا طلبت منه ان يتركها لي مدة لقراءتها، كما تضم اللوحات الزيتية التي ظهرت حتى عام 1860 وقراتها كلها ، فاذا هي خليط غريب من المفاهيـــم والملاحظات والارتسامات المختلفة ، واذا بعضها يرجع اصول فن الفنان المغربي الى **(الواقعية)** او **(البدائية)** او **(الرمزية)** او غير ذلك من مدارس الرسم المتعددة المختلفة .

اما الشيء الذي اتفق فيه النقاد والمعلقون جميعا ، فهو انهم امام موهبة .

* *

ونتنازل يائسين عن حقنا في البحث عن اســم المدرسة التي ينتمي اليها الاستاذ بناني في فن الرسم ، لنمعن النظر في لوحاته ، خصوصا اللوحات التي تمثل اشخاصا او نماذج بشرية كلوحة التائه ، واستسلام ، والصحراوي الصغير ، وحاملة القفة ، والمغربيـــة ، والشرقي ، وبنت الشعب .

ان الاستاذ بناني لا يعني بالملامح بمقدار ما يعنى بالانفعالات والتعابير ، انه لا يرسم اشخاصا ، وانما يرسم معانيهم ، ومن ثم فانه لا يعنى بألوانه العناية الكافية ، فانها جميعا باهتة باردة ، قد لا تكاد تحس بها احيانا ، كما انه لا يتقيد بنماذجه ، ولا يعنيه مدى بعد المسافة التي تفصل بين شخصياته كما تبدو في لوحاته ، وبين

واقعها كما تبدو خارج هذه اللوحات . اي خـــارج احـــاسه ووجدانه كفنان .

ان الذي يهم الفنان بناني هو (**المعنى**) فقط . وهذا المعنى يتجلى لنا بوضوح في لوحته (**التائه**) . انه لا يرسم تائها . وانما يرسم ((**التيه**)) نفسه مجسدا على هيئة انسان . يرسمه مجسدا في اغماضة العينين . وانفراج الشفتين، واسترسال الشعر وشروده وكثافته على هذا النحو الغريب . ويرسمه في امتداد العنـــق وانتصاب القامة . واستسلام الملامح المتعبة المكدودة . والقصد الى « امام » شان من لا يبحث عن شيء . لانه لا يعرف شيئا يقصده . او يبحث عنه . او يسال عليه . انه يسير فقط . يسير نحو مجهول لا يعرفه . ولا يهتم بمعرفته .

* *

وننتقل بعد ذلك الى « استـسلام » التي يعتز بها الفنان كريم بناني . ويعتبرها من احسن ما انتجه . انك لا تستطيع ان تديم النظر الى هذه اللوحة دون ان تحس في نفسك بالتعب والاعياء والرغبة في الوقوف عن كل عمل . او حركة . او كلام . او سعي . او مقاومة . ودون ان تحس الرغبة في (**الاستسلام**) .

انك تحس ان ((**الشخص**)) المرسوم على هـــذه اللوحة يطلب منك في ضراعة ان تخلي طريقه وان تبتعد عنه وان تترك له السـلام .

اما كيف تاتى للاستاذ بناني ان يشعرك بكل ذلك، فان ذلك هو سر الموهبة . على انك تستطيع ان تتمثله في الفم الفاغر المائل الى اليمين . والشفاه المسترخية المكدودة . والعينين المطموستين . وهذ الخط العريض على احد جانبي الفم . ثم في هذا الجو الذي يشيع في الصورة كلها . والذي يوحي بالرثاء والرحمة . ويبعثك على ان تشارك هذا اليائس آلامه وان تستجيـــب لضراعته . فتحول انظارك عنه . وتتركه لهمه وبؤسه والمه .

* *

بقي ان نقول كلمات اخرى . وهي ان الفنانين المغاربة . كما يبدو من لوحاتهم جميعا . لا يزالـــون يتلمسون طريقهم في البحث عن شيء . شيء تمتزج فيه تاثراتهم بالبيئات الفنية المختلفة التي عاشوها في باريس وغيرها . بميراثهم الطويل العريض من المفاهيم . والعادات . والقيم . واسلوب المعيشة . ومستواها . ومن المحسوسات الاولى التي فتحوا عليها عيونهم وآذانهم . ولمسوها بايديهم .

وقبل ان يجدوا هذا الشيء . لابد لهم ان يتيهوا، ويضطربوا ويقلقـوا .

وقد بلغني ان معرض الفنانين المغاربة في دمشق، كانت تختلف حوله التعاليق الكثيرة . لكنها جميعا كانت تتفق في شيء واحد . هو ان اعمال الفانين المغاربـة . يكتنفها الغموض والقلق .

ع ق ص



استـــــلام
معرض كريم بنانـــي

مذكرات دبلوماسي

7 اكتوبر

« السبوتنيك » الجزائري

الجزائر في الحفلات ، الجزائر في المنتديـــات . الجزائر في الصحف ، الجزائر في الراديو ، الجزائـر في التليفون ، الجزائر في الرسائل ، الجزائر في كل مكان . انه الاسم الذي ينافس السبوتنيك الروسي في سرعة طوفانه بالكرة الارضية ... حقيقة هائلة تدركهـــا البشرية ، وتدركها بحواسها الخمس ، اقزام باريس فقط هم الذين بلغ بهم السخف حد محاولة الاستخفاف بالسبوتنيك الجزائري .

ولا يوجد جزائري هنا . ولما كنت اعتبر اقرب الممثلين الديبلوماسيين الى الجزائر فان علي انـــا ان اتجاوب مع هذه الحقيقة الهائلة ، علي أن اتحدث عن الجزائر طول النهار وفترة غير قصيرة من الليل ، لان موضوع الجزائر وكفاح الجزائر وتفاهة السياســـة الفرنسية ، ينتقل من فم الى فم كلما ظهرت في مجتمع .

ما تحاوله فرنسا بالضبط هو تحنيط عمـــلاق الجزائر ، ثم تصغيره ، ثم ارجاعه الى القمقم ... ولو نجحت في الاولى والثانية لما نجحت في الثالثة ، لسبب بسيط هو ان العملاق حطم القمقم منذ انتفاضتـــه الاولى ...

وقد زارني اليوم احد الزملاء وانطلق في الحديث عن الجزائر كعادة كل من يزورني منهم ، فمددت اليه يدي بصورة منشورة في احدى الصحف ، ما كاد يقع عليها نظره حتى انخرط في ضحك مفزع متواصـــل : صورة شرطي فرنسي في باريس محشور في تابـوت مستقيم من الاسمنت المسلح ، ولا يظهر من التابوت الا راس الشرطي ، انه آخر اختراع فرنسي تمخضت عنه العبقرية لحماية رجال شرطة باريس من غضب الجزائر

قلت للديبلوماسي الزميل وهو يلتقط انفاسه : رغدا سوف تتخذ فرنسا مزيدا من الاجراءات ، وسوف تكتشف مزيدا من الاختراعات .. ولكن العملاق الزاحف لن يعود ابدا الى القمقم الوهمي ... ولو اقتضى الامر ان تضع فرنسا كلها نفسها — لا رجال شرطة باريس وحدهم — في تابوت هائل من الاسمنت المسلح ...

يكتبها للمجلة : دعوة الحق كاتب ينم عنه اسلوبه

10 اكتوبر

الاشياء الصغيرة

لي صديق كريم يكاتبني واكاتبه ، وكلما تقدم الزمن قصر ردوده على الجانب الجدي من مراسلاتي التي احب دائما ان يتخللها شيء من الدعابة والتحدث عن الاشياء الصغيرة ، الى ان اصبحت ردوده كلها جدا كل الجد ولا شيء غير الجد ، حتى اصبح يخيل الي في الايام الاخيرة ان مرسلها هو « تمثال الجد العابس » في احدى روايات شاكسبير ، لا صديقي الكريم .

واصابني الهلع فقد شعرت بان صديقي — وهو الذي اعزه وافتخر بصداقته واعتبره قطعة من نفسي — يتقهقر عن جيلنا ... ذلك انني اومن بقالة برنارد شو : « ان الانسان يطعن في السن لا بمرور السنوات ، ولكن بقدر ما تقل الاشياء الصغيرة التي يهتم بها في حياته »

ان الاعمال المادية التي نزاولها كل يوم تقتل فينا الروح الانسانية ، وترتسم التجاعيد على وجوهنا كلما

ازداد انهماكنا فيها ، وانصرفنا اليها ووهبناها كل حياتنا ، وبذلك تتحول هذه الاشياء الصغيرة من اشياء منعشة للروح الانسانية الى اشياء سخيفة تبعث على الاستخفاف .

مداعبة قطة ، تامل نملة ، ابتداع صور من الورق الملون ، حل رموز الكلمات المتقاطعة ، الاستماع الى قطعة موسيقية ، الاختلاف الى دور الصور المتحركة ، مزاولة احدى اللعب الرياضية ، وباختصار مباشرة اي عمل لا ينتمي الى اعمالنا اليومية ، كل ذلك يبدو سخفا في سخف عند تاجر عتيد ــ مثلا ــ من هؤلاء التجار الذين جعلوا تجارتهم همهم بالليل وهمهم بالنهار ، وبذلك يزداد نهمهم الى الربح والكسب ، وتكثر حيلهم ويشتد عود مكرهم ، ولا يصبح المجتمع في نظرهم الا مصدرا من مصادر الاستغلال والاستغفال . لماذا ؟ لان النسيم الانساني الذي يتمثل في هذه الاشياء الصغيرة كف عن الهبوب في حياتهم ، فتحولت قلوبهم الى صحارى لا تعرف غير القيظ والجفاف .

وصديقي بالتاكيد ليس من هؤلاء التجار ، وهو لا ينتمي على الاطلاق الى عالم الكسب والمضاربة ، ولكن اشياء جدية اخرى طغت على حياته ، انه مخلص لعمله الى حد الانهاك ، وهذا ما ازعجني ، لان الاخلاص للعمل لا يعني على الاطلاق نسيان هذه الاشياء الصغيرة التي تعتبر هي نفسها جزءا من الاخلاص للعمل ، لانها تروي انسانيتنا ، وتربطنا بالمجتمع ، وتجعلنا اكثر اخلاصا للمسائل العامة من المسائل الخاصة ، يضاف الى ذلك انني اخشى ان يتاخر به جده في الجد جيلا الى الوراء .

. . . فقليلا من الاهتمام بالاشياء الصغيرة ايها الصديق الكريم .

24 اكتوبر

بئــر

رايت ليلة امس فيما يرى النائم انني اسير في موكب يضم اصدقائي ، وكنا نمرح ونضحك في سعادة وانشراح ، وفجاة خلت صفوفهم مني ، ولكن احدا منهم لم يلتفت لما وقع ، وانما واصل الموكب سيره في مرحه وضحكه وانشراحه .

وكان سبب اختفائي يرجع الى انني سقطت في بئر اعترضت سبيلي ، وقد اخترقتها ــ نزولا ــ في سهولة ويسر ، فلما وصلت الى ارضها حططت كما يحط الطائر دون ان اصاب ، واستمر الظلام والسكون ثم اخذ النور ينبثق كانه الفجر ، واحاطت بي وجوه بدت لي غريبة في اول الامر فما لبثت ان استانست بها ، وتالف موكب جديد وبدا المرح مرة اخرى ، واستانفت السير في الموكب الناشىء كانني في الموكب القديم .

وانا اهتم اهتماما شديدا باحلامي ، لانني استطيع عن طريق تحليلها ان اضع يدي على حقائق محجوبة عني وان كانت تتعلق بي ، لانها تقع خلف اسوار اللاشعور العالية ، التي تظل مغلقة الابواب والنوافذ ، ما دمنا على قيد اليقظة .

والحلم الذي رايته امس حلم عادي ، ولكنه شغلني طول النهار ، لانه تصوير للحياة الديبلوماسية التي لا يلمس البعيدون عنها ، الا ما تتسم به من اناقة ظاهرة تستر خلفها حقائق مرة .

وانا شخص الوف جدا ، حتى انني لو كنت اومن بتناسخ الارواح لما خامرني اي شك في انني كنت قائل هذا البيت المشهور :

خلقت الوفا لو رجعت الى الصبى
لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

ولي في كل مكان اصدقاء احبهم واحن اليهم ، وكلما تقدم بي العمر زاد عدد من افقده من هؤلاء الاصدقاء ، لان حوادث السقوط في الابيار تتكرر . . . فتتضاعف في صدري حرقة الشوق ، وتنصرف الحياة باصدقائي القدماء عني انا الذي اسير دائما في موكب الاصدقاء الجدد مترقبا في حذر البئر التالية . . . لينضم الاصدقاء الجدد بدورهم الى الاصدقاء القدماء فتطمس معالمهم امواج الحياة .

ع . ب .

العدد الماضي في الميزان

الدكتور عبد العزيز الأهواني
الملحق الثقافي بسفارة الجمهورية العربية المتحدة

تطـــور :

كان عكوفي على العدد الاخير من **((دعوة الحق))** للكتابة عنه ، حافزا لان اضع الاعداد السابقة كلها بين يدي ، وان اردد النظر فيها ، وقد اكد لي هذ الترديد ما سبق ان شعرت به من ان المجلة في تطور ، وانها تدخل شيئا فشيئا الى مرحلة جديدة ، ذلك هـو ان صفحاتها اخذت تتسع للتجديد الادبي بعد ان كادت تكون مقصورة على التجديد الديني وحده في اعدادهـا الاولى ، والامر في ظاهره يسير ، يمكن ان يرد الى ان ادارة التحرير تمتاز بذوق ادبي ينزع بها الى الحديث من القصص والشعر . والمجلات تخضع لذوق محررها الاول وان كثر المشاركون في كتابتها . ولكن الامـــر فيما يبدو لايقف عند ذوق المحرر ، وانما يتجاوزه الى ذوق القارىء المغربي ، والى تطور عام ازداد به عشاق الادب من المغاربة عددا ، بعد اذ كان نشاط المغاربـة في معظمه وقفـا على ميادين العقائد والتشريع، ويكفي ان تقارن في القديم بين انتاج اهـل الاندلس وانتـاج اهل المغرب علـى قـرب الـدار ، وان نقـارن بين مـا اخـرجتـه المطبعة في فاس وما اخرجته المطبعة في بولاق خـلال القرن الماضي لندرك هذه الحقيقة .

وانا لنرحب بهذا التطور الجديد ، ونرى فيـه الخير الكثير ،ونأمل ان تنفذ عن طريقه الـى قلـوب المغاربة ، ولعلني لااتجاوز الحق اذا قلت ان المغـرب يبدو احيانا في ذهن المشارقة وكأنه لغز يستلزم حلا . ولا ادري الى اي مدى يحس اهل المغرب بذلـك ، الا انني وجدت في العدد الماضي — وانا بصدد الحديث عنه — هذا النص يصدر عن رئيس التحرير ، وهـو قوله في الحديث عن لوحات الفنان محمد صبري (ان المغربي متحفظ بطبعه ، وانه صعب المراس ، وانه يتخذ منك لاول لوهلة موقف المحايد فلا يفتح لك قلبه كلـه ولا يوصده في وجهك ايصادا .... الخ) كما وجدت الاستاذ عبد الوهاب بن منصور يطفر الى ذهنه لفـظ **((التمثال))** فيرمز به الى الجهاز الثقافي الاول الـذي تحدث باسم المغرب خلال قرون طويلــة ، الا وهـو مسجد القرويين ، فهل فتح المغرب في حياته الثقافية صفحة جديدة يكشف فيها عن دخائل نفسـه ، ويعلن ما اكتتم في قلبه من اسـرار ، وان الادب بشعـره وقصصه سيكون سبيله الى هذا ؟ ذلك ما نرجوه .

※

شعـر حديـث :

وما دمنا نتحدث عن الادب في المغرب . فلندخل الى شعر العدد الماضي ، **ولنبدأ باناشيد الاحرار للشاعر محمد الطنجاوي ،** فانها الطـــرف الاقصى في التجديد الشعري ، وقضية هذا الشعـــر الحديث كلـــه لا تزال في الميزان ، وان شغف بـه الشباب وكثـر الناظمـون في طريقته ، واقسى ما يصك مسمع قارىء الشعر العربي هو شيء غير قليل من الركاكة في هذا الشعر الحديث فمن اكثر القراءة في شعرنا العربي القديم استقرت في مزاجه منه نغمة موسيقية متماسكة طويلة النفس عبر عنها القدماء بلفظ الجزالة او الرصانة ، حتى اذا انتقل الى هذا الشعر الحديث انكرته اذناه ، وعلى الرغم من ان الشاعر الطنجاوي قد سلمت اناشيـده مـن زلات كثيرة يقع فيها زملاؤه ، الا انني حين اقرا **((وتحـت ظلال وعزة رايتنا الزاهية))** لا اسيغه ، وان كنت احفظ الشاهد القديم **((بين ذراعي وجبهة الاسد))** وحين اقرا

قوله ((**بلادي التي غرق القلب فيها هياما**)) اقف عند ((**غرق**)) هذه واسأل هل تخيرها أو أجبره الوزن ؟ هذا الى ما يحتاج اليه الوزن احيانا من وقف وقطع ليستقيم النغم ، زيادة على تفكك في الجمل وانقطاع بعضها عن بعض بما يشبه لغة الحديث اليومي ، ولا ادري اهي ازمة الشاعر ام ازمة القارىء ، ولكن الذي ادريه انني اشغف بالشعر ((**الملحون**)) واطرب له واجد فيه نفحات من عبقرية . اما شعر معرب وكانه ملحون . .

فلو كثر حظ هؤلاء الشعراء من قراءة الشعر القديم ، والشعر ، دون سائر الفنون ، اشدها اتصال ماض بحاضر ، وسلم انتاجهم من هذه الركاكة ، لكان له بغير شك شأن آخر ، فان الشعر على ايدي هؤلاء المحدثين قد غزا آفاقا جديدة ، وافتتح ميادين كانت مغلقة ، **واناشيد الطنجاوي** تفيض حياة وتجيش عاطفة .

فاذا تركنا اقصى اليسار الى اقصى اليمين ، وقرانا **تحية الشاعر محمد الحلوي ،** وجدنا لديه ما افتقدناه عند صاحبه ، ووجدنا انفسنا على طريق لاحب سنه قدماؤنا ، ايجاز وتركيز ، وحرص على جوامع الكلم مثل قوله :

انا بني العرب في الآلام يجمعنا
ماض مجيد وقرآن ودين نبي

وليس معنى هذا ان قصيدة الشاعر قد سلمت كلها من ناحية الصياغة ، فقد كلفته القافية عسرا في بعض الابيات ، ولقد اقترن الشعر القديم بالانشاد في المحافل ، وكذلك انشدت قصيدة **الحلوي** تحية في حفلة كريمة ، فكانت اشبه بالخطبة منها بالشعر الذي تجلى في المقطوعة الجميلة الرائعة التي نظمها الشاعر في (**تطوان**) ولعلها لم تكن مصادفة ان ترد القصيدة والمقطوعة في عدد واحد ، ليثبت الشاعر قدرته ، وقد اثبتها حقا ، وما قلناه عن **تحية الحلوي** نقوله ايضا عن **تحية ابي بكر اللمتوني ،** فقد ظهر في هذه كما ظهر في تلك الرصانة والاخلاص معا .

اما أصداء مصطفى المعداوي فقد زاحم فيها الشاعر بين الصور واكثر من الاستعارات الغريبة ياخذ بعضها برقاب بعض ، وتأخذ برقاب القراء ايضا، حتى انها لتشغلهم عن متابعة المعنى . وما القول في (**فجر الرجاء يطل من اعلى بلادي**) وهو مع ذلك (**يحمل عبق الاصائل**) وهذه الاصائل بدورها (**مملوءة القسمات ترقص في توهجها الخمائل**) وبذلك اختلط علينا الفجر والاصائل والتوهج ، فلعل الشاعر فيما يستقبل يؤثر الاناة ويعيد النظر فيما كتب ، فلا يسلمه الى المطبعة فورا .

شعر قديم :

واذا انتقلنا من شعراء المغرب المحدثين الى قدمائه **وجدنا ابا العباس الجراوي** في مدائح الدولة الموحدية، ولو جاز لنا ان نستخلص احكاما عامة من المختارات التي نقلت له في كتب التاريخ ، لجعلناه من تلامذة البحتري لا من انصار ابي تمام ، فهو لاينزع الى التوليد في المعاني والا يغال في الاستعارات ، وبما يتصل بها ، وهو لايتحدث عن نفسه خلال مدائحه كما فعل المتنبي ، وبذلك خسر شعره معنى واكتسب نغما ، اما الاستاذ **محمد بن تاويت** فكان موفقا في تحقيق النص لولا الاغلاط المطبعية ، ولا ذنب له .

اما **سابق البربري** فالشك يحوم حول شخصيته ولا يستطيع القارىء أن يحدد مدى (**مغربيته**) وان نسب الى البربر ، والجهد العظيم الذي بذله **الاستاذ عبد الله كنون** ــ مشكورا ــ لايرفع اللبس ، ولعله ، وهو الباحث الذي لايمل ، يجد قريبا ما يشفي الغليل .

القصة :

اما قصة (**المهرب**) فهي ايضا **للاستاذ ابي بكر اللمتوني** صاحب قصيدة (**العودة**) فيما يظهر من الاسم واللقب ، وكم كنت في حاجة ، وانا اكتب هذه السطور، لان اعرف هل للسيد اللمتوني مشاركة فى لون آخر من الوان الادب غير الشعر والقصة ، وما مقدار ماانتجه من شعر وقصص ، ذلك لان الاديب فيما اعتقد لا يستطيع ان يتفوق الا في فرع واحد ، فان شارك في فنين وجب أن يكون احدهما الاصل وثانيهما على الهامش ، والمثل العامي يقول (**صاحب بالين كذاب**) ، ومهما يكن من امر فقد اعجبتني **قصة اللمتوني ،** والذي اعجبني فيها هو ان الكاتب قد تجاوب مع نفسية المهرب تجاوب من عرف ان الشر والخير يمتزجان ابدا ، فابتعد عن تصوير المهرب في صورة المخلوق الشاذ الذي اجتمعت فيه رذائل الدنيا كلها ، وهو ما يفعله كثير من القصاصين الناشئين .

ان اشد المجرمين عتوا لاتخلو حياتهم من جوانب انسانية . وكذلك وجدنا (**المهرب**) حريصا على ان لا يزعج امه او زوجه ، بل انه لايحب ان يزعج البقرة الراقدة ، وقد وفق الكاتب في تصوير المواقف وكان بارعا في ختامه .

اما قصة **السيد برادة** فتبدو كانها انتاج مبتدىء لم يتمكن بعد من فنه ، ولا يشفع لها انها تصوير لخواطر تلميذ يعيش بين احلامه وخيالاته ، ولعل اسوا ما يسيء الى القصة عامة ، قصيرة كانت او طويلة ،

هو ان تجعل تطبيقا لنظرية نفسية ، او فلسفية . فهذه فتاة غير متعلمة لها خطيب تحبه ، ثم هي ترفض الزواج منه لسبب واحد هو انها تحبه ! هكذا جعل الكاتب من **(سميرة)** وانطقها بهذه الجملة **(يخيل الي لو تزوجت ذلك الذي احببته لانطفات جذوة العشق في قلبينا)** ومع ان لغة الاستاذ برادة سليمة في جملتها، الا انه فيما يظهر لم يفرق بين **(كم)** العددية وكم الاستفهامية في جملته : **((كم (ربيعا) مر دون ان يهبني الحب))** .

واحسبني لا اظلم **الاستاذ المختار السوسي** حين اجعل **(في المؤتمر)** بين القصص ، انها حلقة من سلسلة طويلة وضعها تحت عنوان **(بين الجمود والجحود)** ولكن هذا الفصل يكاد يقف مستقلا مستغنيا عما قبله وبعده ، وخير لفظ اطلقه عليه هو **(المقامة القضائية)** فانها تذكرنا بحديث عيسى بن هشام للمويلحي ، ولو ان الكاتب التزم السجع ــ وقد التزمه احيانا ــ لكنا امام مقامة حقيقية تمت بقربى وثيقة الى بديع الزمان .

ان **(في المؤتمر)** صورة مرحة محببة الى النفس خفيفة الظل ، لاتخلو من مفاجآت المقامات ، وان لم تختم على طريقتها ، ومع ذلك فالكاتب **(يسر حسوا في ارتغاء)** كما يقول المثل القديم ، فلا ينسى انه يكتب ما يكتب دفاعا عن الاسلام وتقريبا لاصوله من نفوس القراء . لعل **الاستاذ السوسي** ان يقوم في الادب المغربي بما قام به الشيخ عبد العزيز البشري في الادب المصري .

دراسات

الاستاذ محمد الفاسي يتحدث في العدد الاخير عن **كتاب الاستبصار في عجائب الامصار** ، وقد رايناه من قبل في **(العدوتين)** يتحدث عن الشريف الادريسي وفي **(رسالة المغرب)** يعنى بهذه الجوانب من الثقافة المغربية القديمة ، وخاصة ما يتصل منها باصحاب الرحلات وتقاويم البلدان والمؤرخين ، ويبدو في هذا البحث القصير ما بدا في الابحاث السابقة من الدقة وتتبع التفاصيل واستيفاء الموضوع والحرص على جلاء الغموض وحل المشاكل العلمية . والحق ان المغرب في حاجة الى مجلة عربية تستقل بمثل هذه التحقيقات العلمية ، ويتسع فيها المجال للتفصيل الذي يستلزمه البحث العلمي ولايراد النصوص الطويلة ، والا تبددت مثل هذه التحقيقات وخفيت على من يهمهم الاطلاع عليها من المتخصصين ، **والاستاذ محمد الفاسي** في موضع يمكنه من فعل ذلك . فلعل انتظارنا لا يطول .

اما دراسة **السيد المهدي البرجالي عن قضية الجزائر** فهي دراسة من احاط بموضوعه احاطة شاملة وتتبعه منذ ازمان فالم بتفاصيله . والبحث بالرغم عن طوله مركز ، يفترض صاحبه ان القاريء يعرف عن فرنسا كل شيء ، والمؤلف لايزال في مقاله يحتمل فوز التقدمية الفرنسية ، ولا ادري هل رجحت عنده الحوادث الاخيرة التي تعرضت لها فرنسا بعد كتابته لمقالته جانب التشاؤم في مقدرة التقدمية الفرنسية كما رجحتها لدينا ، ام ان للتقدمية الفرنسية الاصالة التي تخرج بها منتصرة بعد هذه المحن كلها .

اما بحث **الاستاذ محمد التوزاني** عن **(القضاء الاداري في المغرب)** فقد صدر عن قلم يعرف صاحبه الموضوع الذي يعالجه معرفة الخبير المتخصص ، والشيء الجدير بالتنويه ، ان البحث مفيد لغير المتخصصين ، وان القاريء يستطيع ان يتتبعه وينتفع بما فيه من حقائق نظرية وواقعية .

اما **المقال المترجم عن جامعة القرويين** فهو اقرب الى تقرير صحفي منه الى بحث او دراسة علمية ، بل انه قد كتب ليقراه اجانب لايعرفون شيئا عن معاهدنا الدينية ، ولا ينفع اعتذار المحرر الاول من ان القصد تعريف القراء براي الغير ، وقد كنا نؤثر ان يقوم **الاستاذ عبد الهادي التازي** بالكتابة عن القرويين ، وهو الذي انقطع الى هذه الدراسة ، بدلا من الكتابة عن **مناهج التعليم في امريكا وعن الصواريخ الروسية** ، انا لننتظر الصاروخ المغربي يرسله التازي او غيره لينير لنا تاريخ القرويين ، وهو التاريخ الذي يتطلع اليه الناس في الشرق والغرب معا .

اما ما جرى به قلم رئيس التحرير في مفتتح العدد ، وفي تقديمه لبعض المقالات ، وفي رحلته مع ابن جبير ، وحديثه عن معرض الفنان صبري ، وفي الاخراج والصور ، فجدير بالشكر الصادق من القراء ، وكل عمل ناجح وراءه انسان لاينام ، ورئيس التحرير في هذه المجلة لاينام ، اعانه الله .

الموضوعات الدينية :

ان خطة المجلة ــ كما ذكرنا ــ هي التجديد الديني ، وهو امر يستلزم وقفة وان تكن قصيرة ، لقد اتخذ التجديد الديني في العالم الاسلامي مظهرين وخطا خطوتين ، خطوة السلفية او الدعوة لتصفية الدين مما علق به من شوائب الاوهام والبدع ، والرجوع به الى

بساطته الاولى ، وهذه المرحلة قديمة شارك فيها علماء سابقون في كل العصور الاسلامية ، ولقد ظهرت الحاجة اليها منذ ان اتسع انتشار الاسلام وغزا بلادا كانت لها طقوس دينية وحضارات سابقة على دخول الاسلام ، فكان طبيعيا ان تطفو آثار من هذا الماضي وتلبس حلة اسلامية لتسير سيرا علنيا او شرعيا بين الجماهير ، وكان طبيعيا ان يتجرد عدد من العلماء لنزع هذا الزي المزيف ، وليحذروا الناس من لابسه ، ولقد ساهم المغرب قديما في هذا كله ، وساهم فيه حديثا مساهمة قوية منذ ان ظهرت الحركة الوهابية في المشرق ، ولقد كنا قبل ان نجيء الى المغرب ، وقبل ان نعرف تفاصيل التاريخ المغربي الحديث ، نعجب لحماسة المغاربة في محاربة مثل هذه البدع او التقاليد حماسة تنسبها الى الغلو في المحافظة احيانا ، فلما وضح لنا الدور السيء الذي قام به اصحاب البدع في الناحية السياسية والاجتماعية ، عذرنا القوم .

اما الخطوة الثانية في التجديد فقد اتجهت الى الملاءمة بين الدين وبين الحياة العصرية التي غزت العالم الاسلامي منذ اتصاله بالحضارة الاوربية ، والى اثبات ان الاسلام قادر على مسايرة العصر ، ثم الى اقناع الناس بان حقائق الدين لاتتعارض مع حقائق العلم واكتشافاته ، والى مقاومة النزعات الالحادية برفع الشكوك ودحض الشبهات ، وقد تمثلت هذه الدعوة في الشيخ محمد عبده وتلامذته ، وربما تجاوزت هذه الدعوة حدود الملاءمة الى محاولة اكتشاف حلول اسلامية لمشاكل كبرى يتخبط فيها العالم كله ، وتحت هذا تفاصيل لايتسع المجال للخوض فيها .

وعلى هذا الضوء ننظر الى **مقالة الاستاذ محجوب بن ميلاد عن الندوة الدولية للاسلاميات** ، لقد ذكر الاستاذ الكاتب المواضيع العشرة التي قرر المؤتمر النظر فيها ، وعلى راسها امكان مساهمة الاسلام في اقرار السلام العالمي ؛ ثم شفع الكاتب ذلك بقوله **(وهي هي المواضيع التي حررت في شانها الف صفحة القيتها محاضرات بمذياع تونس ، ونشرت القليل منها في تحريك السواكن)** واعقب ذلك نص طويل من مقدمة المحاضرة التي القاها الاستاذ بالندوة ، لانخرج منها برأي في مشكلة من مشكلات المؤتمر ، وذروة ما وصل اليه الكاتب فيها هو انه اكد للمؤتمرين انه شديد الايمان جدا بما اسماه **(الفكرة الحية)** التي تهدم وتبني ؛ والتي تنقض انتقاض الاعصار وتنطلق انطلاق السهم ، على حد تعبير الكاتب ، ثم يؤكد المؤتمرين ثانيا ان ضالتهم المنشودة يجب ان تكون فكرة من هذا الجنس ان ارادوا لمؤتمرهم نجاحا ، فهل وصل المؤتمر الى اكتشاف هذه الفكرة الحية التي ينتظرها الاستاذ ، كلا . واذن فالمؤتمر في نظره قد اخفق ، والمسئول عن اخفاقه هم فلان وفلان من علماء المسلمين ، ولو ان الاستاذ محجوب بن ميلاد راجع نفسه لاتضح له خطا ما طلبه من المؤتمر ، فالمسالة فيما يتصل بالتجديد الديني ليست في اكتشاف **(فكرة حية)** كانت مجهولة او في عمل **(ابتكار طريف)** ينقض انقضاض الاعصار وينطلق انطلاق السهم ، وانما هذا شان علماء الفيزياء او علماء الطبيعة حين يكتشفون الكهرباء او يطلقون الصواريخ ، والا فهل وصل الكاتب نفسه ، وقد افتخر بانه كتب الف صفحة في هذه المواضيع ، الى هذه الفكرة الحية التي يتحدث عنها ، وهل يدلنا على احد من تلامذة **محمد اقبال** — وقد تحدث عنهم باعجاب شديد — وصل الى **(الفكرة الحية)** التي وصفها ؟ .

القضية ليست كما قلنا ابتكارا او اكتشافا يقوم به اصحاب الاجتهاد ، وانما هو اصلاح اجتماعي وخلقي وبناء اقتصادي وسياسي تشارك فيه الامة كلها بما فيهم **(العوام واشباه العوام)** الذين نفاهم الكاتب من ميدان ابتكاره الطريف ، ودور المفكر الديني هو المشاركة بتحريض المتخلفين على السير ؛ وتخفيف حدة المتعصبين وتوجيه العناية الى اللباب دون القشور ، ونشر التسامح ، واشعار الناس بمسئولياتهم ، الى غير ذلك من امور ترقى بالمجتمع ، وهو العمل الشاق الطويل الذي قام ويقوم به حتى اليوم تلامذة الشيخ محمد عبد وتلامذة محمد اقبال ايضا ، والقصد هو مواصلة السير ، وان يكون علماء الدين من ناحيتهم مشاركين في سير مجتمعاتنا الناهضة ، غير متخلفين عن الركب ، يحببون الشبان في الاسلام ، ويجعلون من انفسهم نماذج يهتدي بهم الناس .



حول شاعرية الحلوي

للاستاذ عبد القادر الصحراوي

> **خير للانسانية ان تؤدي نفس واحدة رسالتها ولو نقطة نقطة ، من ان يملأ الناس آلاف الصفحات المستعارة .**
>
> الدكتور محمد مندور ــ فى الميزان الجديد

اريد اولا ان اشد فى حرارة على يدي صديقي الشاعر الاستاذ محمد الحلوي ، وان اهنئه على هذا النجاح الكبير الذي حققه ، حين استطاع فى هـذا البلد ((**الصموت**)) ان يحمل الناس على الكلام ، وان يشغلهم قليلا او كثيرا بالحديث عن حظه من الشاعرية، وان يحملهم على محاولة المقارنة بينه وبين غيره من الشعراء ، وان يجعلهم يختلفون فى تقدير القيمة الفنية لما ينتجه من شعر ، خصوصا ما نشرته له هذه المجلة اخيرا من قصائد ، كصرخة الجزائر ، وملك ونصر ، وتحية الشعر للدكتور طه حسين ، ومقطوعة تطوان .

لقد كان فى حظ الشاعر الحلوي من انشغـال القراء والكتاب به اخيرا ، ما يبشر بأن الدنيا بخير ، وان مستقبل الادب فى هذا البلد ليس مظلما الى الحد الذي نتصوره احيانا ، ولن ينقص من قيمة ذلك ، ان القراء والكتاب يختلفون هذا الاختلاف كله فى تقدير شاعرية الحلوي ، الى حد ان تقام له حفلات التكريم فى تطوان ، وان ينظر اليه على انه شاعر المغرب الاول ، ثم الى حد ان ينكر عليه ((**بعضهم**)) كل حـظ فى الشاعرية وان ينظر اليه على انه مجرد ناظم يتصيد المناسبات ، ليقول فيها عن شعور او غير شعور .

اريد ان اهنىء صديقي الشاعر الحلوي على كل ذلك ، وان اناقش بعض ما كتب عن شاعريته ، او عن بعض انتاجه فى الشعر فى الفترة الاخيرة ، لا باعتباره صديقا ، ولكن باعتباره شاعرا مغربيا من واجبنا ان نحتفل به ، ومن حقنا ان نختصم فيه ، وان ندلـي بآرائنا فى شاعريته ، مهما تباعدت هذه الآراء واختلفت وتباينت .

ومتى اتحدت الاراء فى تقويم الآثار الادبية او فى نقدها ؟ ؟

انه ما من شاعر فى العربية او غيرها ، حتى الاعلام كالمتنبي والمعري وشكسبير وغيرهم ، الا وانت واجد فى عصرهم او فى غير عصرهم ، من يرفعهم الى اعلى درجة ممكنة ، ومن ينزل بهم الى اسفل درك ممكن .

انه ليس اوسع لتباين الآراء واصطراعها مـن ميدان النقد الادبي ، لانه مهما وضعت له من موازين او مناهج او حدود او غير ذلك ، فسيظل المؤثر الاول فيه دائما هو الذوق الشخصي ، هو نوع استجابـة القارىء او الناقد للاثر الادبي الذي يسمعه او يقراه . والاذواق فى الدنيا تختلف باختلاف الناس وتتعـدد بتعدادهم ، وانواع الادب والوانه كثيرة ، وليس من اللازم ان يكون لدى كل قارىء او ناقد من الاستعداد ما يمكنه من تذوق هذه الانواع والالوان كلها ، والحكم عليها حكما لا ينافي الصواب ولا يجافيه او يتباعد كثيرا عنه

ولكي احصر الموضوع واحدد مجال المناقشة ، فسأذكر هنا حضرات الكتاب الذين اريد ان اناقشهم فيما كتبوه عن الحلوي فى المدة الاخيرة ، والمراجع التي يستطيع القارىء اذا شاء ان يرجع اليها لقراءة مـا كتبوه فى الموضوع .

*

كان اول من استأنف الحديث عن شاعرية الحلوي هو الاستاذ (**علي الصقلي**) فى مقال نشرته له مجلـة (**دعوة الحق**) فى عددها الثاني عشر من سنتها الاولى ، تحت عنوان ((**على هامش صرخة الجزائر**)) وقد امضاه الاستاذ (**علي الصقلي**) بامضاء (**ملاحظ**) وراجعتـه رئاسة تحرير هذه المجلة فى ذلك لكي يمضي باسمـه

الصريح ، تمشيا مع خطة المجلة التي لا تقبل الاسماء المستعارة ، ولانه لا موجب ابدا للتستر وراء الالقاب المختلفة في الكتابة بصفة عامة ، وفي النقد بصفة خاصة، لما يوحي به ذلك من عدم الثقة . لكن الاستاذ الصقلي كان مصرا على رايه، وان عاد اخيرا فاسفر عن حقيقته، وكتب مقالا آخر بامضائه الصريح ، تحت عنوان **« رد على تعقيب »** نشر في هذه المجلة نفسها في العدد الاول من السنة الثانية ، وكان ردا على ما عقب به **الاستاذ الحلوي** نفسه ، على نقد الاستاذ الصقلي لقصيدته **« صرخة الجزائر »** .

ثم جاء الاستاذ محمد التازي في عدد 29 سبتمبر الماضي من جريدة « العلم » وحاول ان يكتب مقارنة بين قصيدة الحلوي « صرخة الجزائر » وبين قصيدة « نصف ساعة » للشاعر محمد الطنجاوي .

وبعد ذلك صدر **عدد 3 اكتوبر من جريدة «العلم» وفيه مقال للاستاذ « هو » تحت عنوان « ترحيب وتعقيب »** يرحب فيه بدعوة الحق في سنتها الثانية ، ويتناول انتاج كتابها وشعرائها ، وكان حظ **الحلوي وقصيدته في الترحيب بالدكتور طه حسين** حظا غير يسير ، من ترحيب الاستاذ هو وتعقيبه

*

وانا لن اماشي هذا الترتيب الذي سطرته في مناقشة حضرات الكتاب الذين ذكرت، وذلك لانني اجد رغبة قوية في ان ابادر اولا ، فابعد عن الموضوع ما كتبه **الاستاذ التازي** تحت عنوان **« بين قصيدتين »** ذلك لانه ليس نقدا على الاطلاق ، وليس ادبا، وليس اي شيء يستحق المناقشة ، وانما هو نفثة مسمومة ، قد يكون الموحى بها اي شيء آخر ، ما عدا وجه الادب ، او الغيرة عليه ، او الرغبة في المساهمة في النهوض به في هذا البلد الذي يشكو الفقر في ابنائه ، والذي يطلب من القادرين منهم ان يعملوا كثيرا ، وان يعملوا في تجرد ونزاهة واخلاص وبعد عن كل المؤثرات غير الشريفة.

ولن اكلف نفسي عناء نقل فقرات من هذا الكلام المكتوب تحت عنوان **« بين قصيدتين »** فان في استطاعة القارىء ان يرجع اليه اذا شاء ، وان كنت اشفق على ذوقه وخلقه من ذلك .

مسالة واحدة فقط ، اريد ان اثير انتباه القارىء اليها ، هي ان احدى القصيدتين اللتين يشير اليهما السيد التازي ، هي **« صرخة الجزائر » للحلوي**، وكانت قد نشرت من قبل في احد اعداد هذه المجلة .

اما الثانية ، فهي **« نصف ساعة » للشاعر محمد الطنجاوي** التي تنشر **(لاول مرة)** في هذا العدد من مجلة « دعوة الحق » . ولم تكن قد نشرت بعد ، عندما استباح السيد التازي لنفسه ان يقارن بينها وبين قصيدة الحلوي المذكورة .

لقد كانت **« نصف ساعة »** بين يدي السيد التازي ، وكان في استطاعته ان ينشرها في جريدة العلم حتى يتيح للقارىء ان يطلع عليها ، قبل ان يعمد هو الى عقد مقارنة بينها وبين قصيدة اخرى منشورة ، يستطيع اي قارىء ان يرجع اليها متى شاء .

لكن السيد التازي لم يفعل شيئا من ذلك ، وانما اكتفى بان يقرا هو وحده « نصف ساعة » للطنجاوي وان يستغل الفرصة المتاحة لينفث ما في صدره عن الحلوي ، وذلك بعقد مقارنة زائفة بين قصيدته المعروفة وبين شيء آخر كان حتى ذلك الوقت مجهولا لدى جميع القراء .

ولست ادري ما اذا كان في استطاعة اي كاتب ان يستهين بقرائه الى هذا الحد ، وان ينكر عليهم كل حق في مناقشة ما يكتبه لهم ، وان يحاول تجريدهم من عقولهم التي يفكرون بها ، ويكتفي بان يلقي اليهم احكامه من اعلى ، ليقبلوها خاشعين راضين صامتين ، متشكرين للعبقرية التي تحمل عنهم اعباء القراءة والتفكير والحكم والمقارنة .

ويبدو ان هذا التصرف من السيد التازي ليس مجرد غلطة ، وانما هو تصميم متبع ، فقد فعل مثل ذلك مع **الاستاذ محمد عبد الواحد بناني** الذي سجل للاذاعة الوطنية عدة احاديث ادبية لتذاع في منهاجها الادبي الجديد **« مجال الاديب »** .

وفي العدد الاول من هذه المجلة الاذاعية ، استمعنا جميعا الى **« نقد »** السيد التازي لا حاديث الاستاذ بناني ، التي لم يذع الفصل الاول منها الا بعد ذلك باسبوع كامل : اي والله .. باسبوع كامل !!!

وكان علينا **« نحن المستمعين المساكين »** ان نكون حكما سابقا على شيء لن نسمعه قبل اقل من اسبوع ، ولماذا لا نعتنق هذا الحكم ، وقد طبخته لنا عبقرية استاذ كبير ، هو السيد محمد التازي .

نعم ، لقد تفضل الاستاذ التازي في مقارنتــــه المضحكة بين ((**صرخة الجزائر**)) و ((**نصف ساعة**)) فعرض علينا نموذجا من قصيدة ((**نصف ساعــــة**)) مقطعين كاملين ، وذلك من قصيدة تتكون من نحـو ستة عشر مقطعا، وتشكل في مجموعها عملا ادبيا واحدا، قيمته في مجموعه ، في تجاوب اجزائه ، وموسيقاه ، ومعانيه ، والمشاعر التي تتردد فيه .

وانا اصف هذه المقارنة بانها مضحكة ، لا لانني ارى ((**نصـف ساعـة**)) اقل من ان تقارن بقصيـــدة ((**صرخة الجزائر**)) كعمل ادبي يستحق الوقوف عنده، ولكن لانني لا اقبل المقارنة ابدا بين شيء اعرفه تمام المعرفة ، وشيء آخر اجهله تمام الجهل .

ولسبب آخر هو انني لا اجد مجالا ــ علـــى الاطلاق ــ المقارنة بينهما ، لان احداهما تقـــف في اقصى الطرف الاول ، والثانية تقف في اقصى الطرف الثاني ، **كما يقول الدكتور عبد العزيز الاهواني في مقاله المنشور في هذا العدد تحت عنوان ((العدد الماضي في الميزان)) وذلك في الحديث عن ((تحية)) الحلـــوي ، و اناشيد الاحرار)) للطنجاوي .**

احد الشاعرين شاعر تقليدي لا يختلف اثنان في مذهبه الشعري ، وثانيهما ينهج نهجا حديثا في الشعر، لا زال لم يقف فيه على قدميه ، كما ان هذا النهج نفسه، لا تعرف له حتى الآن قدمان يقف عليهما .

ذلك نهج مطروق معبد السبل ، والحلوي يسير فيه ثابت الخطى ، عارفا بمواقع اقدامه ، واثقا مـــن قدرته على السير فيه ، والثاني لا يعدو ان يكون محاولة لتطوير الشعر العربي ، وهي محاولة تستحق الاعجاب، فقد برز فيها حتى الآن شعراء هم في طريقهم الـــى النجاح ، وبعضهم قد ادرك حظا كبيرا منه ، كنزار قباني ، الذي يابى الا ان يملاالجو الشعري البديع الذي يخلقه ، بالجيف والنتانة والدود ، وما الى ذلك من هذه الصور التي تذكر بالشاعر الفرنسي الرمـــزي (**بودلير**) في ديوانه (**ازهار الشر**)

وشيء آخر ، هو ان هذا الكلام الذي كتبه السيد التازي تحت عنوان ((**بين قصيدتين**)) لا يمكن ان يكون مقارنة ، وانما هو ضحك على دقون القراء ، وقد ادرك السيد التازي نفسه ذلك ، فقال في آخر مقاله ، انه لا يعتبر هذا الذي كتبه مقارنة بين قصيدتين او بيـــن شاعرين ! ونحن نطالب منه ان يسميه لنا ، اذا لم يكن يقصد به المقارنة ، او لم يكن عبثا مسموما ينفس به الكاتب عما يجده في نفسه من الحلوي ، او يرضي به رغبته في الكلام ، او يزاول به هوايته في الضحك على القراء .

اما (نصف ساعة) للطنجاوي فنحن اكثر تقديرا لها ، وآية ذلك اننا لم نقراها ((**خطفا**)) ولم نتـــردد في نشرها بنصها الكامل على ما هي عليه من طول ، وقد نشرنا قبلها للطنجاوي ((**اناشيد الاحرار**)) ونحـــن معجبون باستعداد السيد الطنجاوي في ميدان الشعر ، وبجراته على اقتحام ميدان التجديد فيه ، ولكن ذلك لن يحملنا على اهدار كل موهبة اخرى ، وكل مذهب آخر في الشعر .

لقد قلنا رأينا في الموضوع في المقدمة التي كتبناها (لاناشيد الاحرار) قلنا اننا لا نستطيع ان نطلب مـن الشاعر ان يكون تقليديا ، او ان ينهج نهجا حديثـــا ، وانما الذي نطلبه منه هو ان يكون شاعـــرا اولا ، لا ((**مهرجا**)) وان يجيد في المذهب الشعري الذي يختاره لنفسه ، أو الذي يفرضه عليه استعداده وثقافتـــه وتربيته وبيئته ومحفوظه من الشعر ، ومثله الاعلى ، وما الى ذلك من عشرات العوامل ، التي تجعل مـــن الشاعر تقليديا او رومانسيا او رمزيا او غير ذلك .

*

وبعد ، فقد كنت اقصد الا اطيل مع السيـــــد التازي ، ولكني وجدت كشف حسابه طويلا جدا ، فلأكتف الآن بهذا القدر من المحاسبة ، ولي للموضوع ((**عودات كثيرات**)) ، لا لانني اريده لشخصه ، ولكننا لاننا مـــؤولون جميعا عن نفي التزييف والغرض مـن ميدان الحركة الادبية ، التي اعتقد اننا مطالبون جميعا بالعمل على تدعيمها ، وارساء قواعدها منذ اليوم الاول متينة سليمة من كل عيب .

وقبل ان اودع الاستاذ التازي ، فليسمح لي ــ ما دام يحرص على ان (**يترجم**) لنا في الاذاعة الوطنية كلام استاذه واستاذي الدكتور محمد مندور ــ ان اهدي اليه هذه ((**الحكمة**)) من كتاب (**في الميزان الجديد**) **للدكتور مندور** نفسه ، وهو يعرف جيدا هذا الكتاب ، بل انه يكاد يستظهره .

يقول الدكتور مندور :

((خير للانسانية ان تؤدي نفس واحدة رسالتها ولو نقطة نقطة ، من ان يملأ الناس الآف الصفحـــات المستعارة)) .

بعد هذا الحساب اليسير جدا مع الاستاذ التازي ننتقل الى ما كتبه الاستاذ **علي الصقلي في** نقد ((**صرخة الجزائر**)) والى ما كتبه **الحلوي في التعقيب عليه** ، والى ما كتبه هو في **الرد على** ((**تعقيب**)) الحلوي .

والحقيقة اننا نجد انفسنا في كل ذلك امـــام اسلوب قديم في النقد ، لم يعد له اليوم مجال في الدراسات النقدية الادبية ، او لم يعد يعدو ان يكون جزءا من عمل الناقد الحديث .

انه النقد اللغوي الذي يتتبع سقطات الشاعر في النحو او الصرف او العروض ، او يفتش عنها احيانا في تمحك وتكلف لا مبرر له .

ونحن لا ننكر ان سلامة الاداة ، اللغة ، عامـــل اساسي في تقدير قيمة العمل الادبي . فالعمل الادبي شكل ومضمون معا كما يقول النقاد المحدثون ، او لفظ ومعنى كما كان يقول النقاد القدماء في كثير من البساطة والتواضع .

وشاعر او اديب من غير اداة ، لا يعدو ان يكون شاعرا او اديبا ((**بالقوة**)) لا ((**بالفعل**)) كما كان يعبر الفلاسفة اليونانيون والمسلمون .

ولسنا ندري ما اذا كان الاسلوب الذي كتب به **الحلوي** ((**تعقيبه**)) هو اسلوبه في النقد ، او انه اضطر ان يلجأ اليه ، مجاراة للاستاذ الصقلي ، ما دام في مجال الرد عليه .

مهما يكن فان المطلوب من الناقد ــ وهذا قد اصبح من قبيل المعروف بالضرورة ــ ان ينظر الى العمــل الادبي ككل ، وان يساعد قراءه على النظر اليه ككل ايضا ، وان يحاول مساعدتهم على فهمه فهما صحيحا ، ثم على تذوقه ، وذلك بان ينقل اليهم الاثر الذي خلفه في نفسه ، والذي قد لا يختلف عن الاثر الذي خلفه في نفوسهم جميعا ، الا من حيث القوة ، والا من حيث كون الناقد ــ وهو اديب ــ يستطيع ان يعبر عن تذوقه وانفعاله واستجابته اكثر مما يستطيع مطلق القراء .

وعند الفراغ من كل ذلك ، وعند تقويم الاثــــر الادبي ، او تقييمه ــ كما يقول النقاد المحدثون عن خطأ او عن صواب ، لاادري! عند كل ذلك ، لاباس ان يحاول الناقد التنبيه على المخالفات اللغوية ان كانت ، وان كانت من القلة بحيث لا تفسد العمل الادبي ، اما ان كانت كثيرة كثرة ملحوظة ، فان العمل الادبي يفقد بذلــك احد عنصريه الاساسيين: الاداة . ولا يبقى من ثم ، موجب للعناية به او نقده او الوقوف عنده ، لسبب بسيط ، هو انه ليس ادبا .

ونحن بالرغم من اتفاقنا مع الاستاذ الصقلي في بعض ما اخذه على الحلوي في قصيدته ((صرخـــة الجزائر)) لا نقره على (**الاسلوب**) الذي نهجه في نقدها ، كما لا نقر **الاستاذ الحلوي على اسلوبه في الرد عليه** ، لقد كان عليه ــ على الاقل ــ اذا اضطر الى مجاراته ان ينبهه الى الاسلوب الذي ينبغي له ان يتبعه في النقد ، والذي ذكرنا طرفا منه قبل هذا الكلام .

*

ننتقل بعد ذلك الى **الاستاذ (هو) في ترحيبه وتعقيبه .**

ولن يغني شيئا عن الاستاذ (**هو**) ما اكده واشهد الله عليه في بداية هذا الترحيب والتعقيب ، من انـه قضى ليلة بكاملها يقرا العدد الماضي من ((**دعوة الحق**)) الذي تفضل بالتعليق عليه ، وتناول انتاج معظم كتابه وشعرائه ، ومن ضمنهم ((**الحلوي**)) في **قصيدته** ((**تحية الشعر للدكتور طه حسين**)) **ومقطوعته** ((**تطوان**)) .

لن يغنيه ذلك شيئا ، لان نقد عمل ادبي واحد ، قد لا تكفي في تحضيره واعداده ليلة كاملة ، فكيف اذا كان الامر يتعلق بعدة اعمال ادبية .

ان النقد عمل ايجابي ، انه خلق ، انه ابتكار ، انه معاناة ، انه ليس فاسا للهدم ، وانما هو يد صناع كريمة ، تبني وتبني في اناة وتمهل وروية ، وبعد تفكير عميق .

اما ان تقضي ليلة واحدة تقرا فيها مائة صفحة ، او تستعرضها ، ثم تقوم في الصباح لتحرر مقالا في ((**النقد**)) وتظن انك قد فعلت كل شيء ، وانك قـد بذلت مجهودا يستحق منك ان تؤكده وان تشهد الله عليه ، فدعني اؤكد لك في اخلاص ومودة ان هذا ليس بشيء ، وانه اذا جاز في حق الكاتب الناشيء الذي يسيطر عليه الغرور ، والذي ياخذ الخاطرة على انها فكرة ، فانه لا يجوز في حق كاتب مارس الكتابة عشرين سنة او تزيد .

ان ليلة كاملة قد لا تكفي فى قراءة نص ادبي واحد، واستجلاء اسراره ، والبحث عن مواطن القوة والضعف فيه .

وقراءة النصوص الادبية ، تعتبر اليوم علما لـــه مناهجه المرسومة المحدودة ، وسواء افلحت هذه المناهج فى رسم الطريق لفهم النصوص او لم تفلح ، فان الاطلاع عليها يعلمنا على الاقل ، ان نحترم النص الادبي ، وان نروض انفسنا على الصبر فى البحث عن خفاياه .

نعم ، قد يقبل من القارىء او المستمع العادي ان يصدر حكمه ارتجالا ، اما الناقد الذي ينصب من نفسه حكما ــ اذا سلمنا ان من حق الناقد ان يحكم ــ فان عليه ان يتريث كثيرا ، وان يسمح لنفسه بالوقـــت الكافي لتمثل الاثر الادبي ، وللخروج منه باشياء كثيرة، قد لا يكون صاحب النص نفسه محسا بها او قاصدا اليها، وذلك لان الخلق الادبي تصحبه حالة انفعالية فيها شيء غير قليل من اللاشعور . وعملية النقد الواعية ، التي يعتبر التحليل من اهم عناصرها ، هي المسؤولة عن الكشف عن اغوار نفس الشاعر او الكاتب ، وتسليط الضوء عليها ، وذلك من خلال النص نفسه . ومن ثم فان المجهود الذي يكلفه فهم نص وتحليله ونقده ، قد يزيد عن المجهود المبذول فى انتاج هذا النص .

ارايت ياحضرة الاستاذ (هو) ان ((**ليلة كاملة**)) لم تكن لتكفيك للخروج «براي صحيح» فى ((**تحيـــة**)) **الحلوي وحدها** ، فضلا عن ان تكفيك للخروج ((**بآراء صحيحة**)) فى نقد ازيد من مائة من الصفحات .

ومع ذلك ، فلنقف معك قليلا عند ((**رايـــك الصحيح**)) فى (**تحية**) **الحلوي** ، فهذه القصيدة فى رايك: (**جافة**) هذا كل ما استطعت ان تصفها به ، ولم تزد على ذلك الا ان حاولت التدليل على هذا (**الجفاف**) بمقارنتها بمقطوعة (**تطوان**) للحلوي ايضا ، والمنشورة فى نفس العدد الذي تناولته بالنقد او التعقيب .

ولكي تخرج من الورطة هربت الى التنكيت ، فسقت عبارة **طه حسين** التي قالها عند سماع القصيدة والموجودة فى المقدمة المكتوبة لها ، وهي انه لم يسمع مثل هذا الذي سمعه فى المشرق ولا فى المغرب ، وكتبت بين قوسين : ((**والفاهم يفهم**)) .

واظن ان القراء جميعا كانوا عند حســـن ظنك ، ففهموا ما تعني ، لكنهم كانوا جميعا عند سوء ظنك من جهة اخرى ، فلم يوافقوك على هذا الـــذي تعنيه ، فقد بلغني ان غير واحد منهم قد نبهك الـــى الشطط الواضح فى نقدك لهذه القصيدة .

اما انا فلا ارى شططا ولا قصدا ، لانني لا ارى نقدا اصفه بشيء من ذلك ، وانما ارى كلاما عاما سريعا ((**مخطوفا**)) خاليا من كل معنى ، مكتوبا بلا روية ولا تفكير ، ولعله ليس اخطر من ذلك على الاعمال الفكرية والادبية الا سوء النية ، وهو ما لا اتهمك به ، وان كنت لا ابرىء منه اناسا آخرين ! !

وقصيدة الحلوي لم تبلغ من الروعة ما وصفه بها الدكتور طه حسين ، وان كنا قد قراناها نحـــن مكتوبة على الورق ، وسمعها طه حسين تلقى فى حفل ، ولعل الاستجابة لها والتأثر بها ان تكون مختلفة كثيرا بين الذين سمعوها والذين قراوها .

واذكر بهذه المناسبة انني قرات كلاما بهذا المعنى فيما يتعلق بالشاعر المصري المرحوم **حافظ ابراهيم ،** فقد كان آية فى جودة الالقاء ، وكان الناس يستمعون الى قصيدته يلقيها هو ، فيبلغ بهم الاعجاب بها منتهاه ، فاذا قراوها بعد ذلك مكتوبة فى صحيفة ، وجدوها دون ذلك بكثير .

ومهما يكن ففي كلام طه حسين مبالغة ربمـــا استدعتها المجاملة ، ولكن المبالغة ليس معناها ابدا ان طه حسين لم يسمع قط اردا من هذا الشعر ، كمـــا حاولت ان تفهمنا بعبارتك التي هربت فيها الى التنكيت والامثال العامية الدارجة .

وامامك القصيدة ، وفى استطاعتك ان تعود اليها مرة اخرى وتقراها قراءة تذوق وفهم ، واؤكد لك انك ان فعلت ، لعدلت من حكمه ، ولحاولت ان تبحث عن كلمة اخرى تصفها بها غير كلمة ((**الجفاف**)) .

اما انا فلا اجد فى هذه القصيدة الا تعبيرا صادقا امينا عن العواطف التي احملها لطه حسين ، والتـــي يحملها له آلاف المعجبين به فى كل البلاد العربيـــة ، ولست ادري ماذا يستطيع انسان ان يقول فى حفلـــة تكريم اكثر او احسن مما قاله الحلوي فى هذه القصيدة

لن احاول ان اختار لك ابياتا من (تحية) الحلوي ادلل بها على صحة ما اقول ، فان آفة نقد العمل الادبي، هي الحديث عن بعض اجزائه دون بعض . وانا اعلم انني

ان اخترت لك احسن ما في القصيدة لادلل على جودتها، فستختار لي انت اقل ابياتها جودة لتدلل على رداءتها، وكلا العملين مرفوض في النقد الادبي الصحيح .

ومهما يكن ، فانا لست بصدد نقد القصيدة وانما بصدد نقد الكلام الذي كتبته انت عنها .

*

لقد تحدثنا كثيرا **(حول)** شاعرية الحلـــــوي ، ولكننا لم نتحدث حتى الان عن هذه الشاعرية نفسها ، على ان الحديث في هذا الموضوع لا ينبغي ان يقحم اقحاما في غيره ، وانما ينبغي ان يتناول بالتفصيل في حديث مستقل .

والحلوي شاعر تقليدي كغيره من الشعــــراء التقليديين الذين تعود النقاد ان يضربوا لهم مثلا في شعراء العصر الحديث بشوقي ، وحافظ ، واسماعيل صبري .

ولن يضر الحلوي ان يكون شاعرا تقليديا ، فهو حر في اختياره لمذهبه ، وان كنا لا نرى المسالة مسالة اختيار .

المهم ان الحلوي في مذهبه ليس شاعرا متخلفا ، واكاد اعتقد انه لو وضع بين ايدينا شعره كامـــلا ، وتمكنا من دراسته ، لربما كان في الامكان ان نخرج منه بنتيجة تضع الحلوي في مكان مرموق بين جميـــع الشعراء التقليديين . اما قبل ذلك فان كل حكم على شاعرية الحلوي سيكون جزافا ، بدون استناد على اي اساس صحيح معلوم .

نعم ، لقد تناول **الاستاذ عبد الكريم** غــــلاب في نقده الذي كتبه في العدد الماضي من مجلة دعوة الحق **قصيدة ((ملك ونصر)) للحلوي ،** فلم يحاول ان يعمم النتيجة التي خرج بها من هذه القصيدة على شعـــر الحلوي كله ، وانما ظل يتكلم عن رايه في القصيدة نفسها وقال في الموضوع كلاما تغلب عليه الروية والاتـــزان وامعان الفكر ، وكان كلام الاستاذ غلاب قصيرا موجزا، لانه تناول عددا بكامله بالنقد ، فلم يكن يستطيع ان يخصص لهذه القصيدة اكثر من فقرتين .

وليس الذي يهم هنا هو مدى صحة راي الناقد في الشاعر ، وانما الذي يهم ، أن يكون الناقد امينا فيما يفعله ، وان يحاسب نفسه على كل كلمة يخطها ، وان يكون صادقا في التعبير عن ذوقه واحساسه ومعرفته وذلك كله يبدو واضحا وضوحا كبيرا في كلام الاستاذ غلاب .

اعلام الفكر العربي في العراق

ابن سلام الجمحي في طبقات الشعراء

ابن سلام : ابو عبد الله محمد بن عبيد الله بن سالم الجمحي البصري ، ولد بالبصـــرة (139 هـ) ، وتوفي ببغداد (232) . نشأ في بيت علم ذائع الصيت، فأبوه سلام بن عبيد الله الجمحي روى عنه — في اكثر من موضع — في كتابه «الطبقات» ، واخوه عبد الرحمن الجمحي كان أحد رواة الحديث ، ومن تلامذته مسلم وابو زرعة وابو حاتم .

تنعته كتب التراجم بالاخباري والراوية ، وتنص على انه كان من أعيان اهل الادب . يقول عنه ياقوت في المعجم «كان لمحمد بن سلام علم بالشعر والاخبار وهما من جملة علوم الادب» اما النحاة واللغويـــون فيعدونه منهم ، في الطبقة الخامسة من علماء البصرة.

جمع الاستاذ محمود محمد شاكر — محقق كتابه الطبقات — شيوخه الذين ذكرهم في الكتاب نفســـه ، فبلغوا السبعين ، وكان منهم ابو زيـــد الانصـــاري والاصمعي وخلف الاحمر وابو عبيدة ويونس ابن حبيب وبشار بن برد .

اما تلامذته الذين رووا عنه فمنهم احمد بـــن يحيى ثعلب ، وابو حاتم السجستاني ، والرياشـــي ، والمازني ، واحمد بن حنبل وابنه عبد الله ، وابو العباس احمد بن علي الابار ، وابو خليفة الجمحي ، ومحمد بن حاتم الزمي ، والزيادي ، وآخرون غير هؤلاء .. مما يدل على عظيم منزلته ، واهمية الدور الذي قـــام به في كل من البصرة وبغداد لفائدة الادب والعلم بهمـــا على السواء .

لم تدل بلد من البلدان على ان الحياة العقليـــة لامة ما شديدة التاثر بالاوضاع الاجتماعية والسياسية لهذه الامة مرتبطة بها متفاعلة معها كما دلت على ذلك العراق في توديعها للحكم الاموي ، واستقبالها العهـــد العباسي الجديد .. فقد كان من آثار رجحان كفـــة

الموالي على العرب في الدولة ، وانتقال العاصمة من الغرب الى الشرق ، ان استقر النشاط كله ودار محوره في العراق وحول العراق . والعراق هو مستودع الثقافات القديمة بالوانها المختلفة ، فقد كان – الى ما قبيل الفتح الاسلامي بقليل – حافلا بشتى الوان النشاط العقلي ؛ وحينما انضم الى الدولة الاسلامية لم تحاول هذه ان تقضي على هذا النشاط ، وانعملت على توجيهه الوجهة التي لاتعارض – بل تخدم – المبادىء العامة التي انبثقت من تعاليم الدين الجديد للدولة الفتية .

على أن العقلية الاسلامية لم تكتف بهذا التأثير ، بل تأثرت هي الاخرى . . اذ لم تكن هذه المواريث الثقافية تتبلور مفاهيمها حتى وجد الفكر الاسلامي فيها كثيرا من الخصوبة والنماء ، واذا صبغة شرقية ذات نكهة جديدة تصبغ العقل الجديد ، وما ان يتم الانقلاب العباسي حتى ياخذ سلطان هذه المواريث سبيله الى الاستقرار والرسوخ ، هادفا نحو الملاءمة بين كل من الاتجاه العقلي والاتجاه السياسي .

وكانت البصرة خاصة – موطن ابن سلام – من أهم المواطن التي اتخذت فيها هذه المواريث الثقافية والعقلية مكانا ممتازا ، واتيح لها فيها ما جعلها مصدر نشاط كبير ، ومبعث خصب فكري عجيب ، ولا سيما حين تجاوبت مع العقل العربي ، وزاوجت الثقافة العربية ، فانتجت من الآثار العقلية ما هو جدير بان يجعل هذه المدينة من اخطر المدن اثرا في تاريخ العقل الاسلامي خاصة ، والفكر الانساني على العموم .

في هذه المدينة – البصرة – نشأ ابن سلام نشأته الاولى ، ومنها انتقل من بعد الى دار السلام – بغداد العاصمة – حيث مكث بها بقية عمره المديد الذي بلغ نحوا من ثلاثة وتسعين عاما قضاها متعلما معلما ، الف فيها من الكتب – نقلا عن ابن النديم في الفهرست – كتاب الفاصل في ملح الاخبار والاشعار ، وكتاب الحلاب واجر الخيل ، وكتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، وكتاب طبقات الشعراء الاسلاميين ؛ ويضيف له ياقوت في معجم الادباء كتاب غريب القرآن .

ولكن اهم كتبه جميعا هو كتاب الطبقات الذي به اشتهر ، والذي تعد مقدمته القيمة النفيسة اول ما اتجه مؤلف عربي ؛ لتصوير معنى النقد الادبي ؛ ولتحديد الشروط الضرورية في كل من النقد والناقد

طبع كتاب الطبقات اول مرة سنة 1913 – 1916 م حيث نشره وقدم له بالالمانية يوسف هل ، ثم طبعه عن النسخة الاوربية حامد عجان الحديد الكتبي ، ثم طبع طبعات اخرى ، ولكن افضلها جميعا هي الطبعة الجديدة بتحقيق الاستاذ الشيخ محمود محمد شاكر الذي يقول في تقديمه للكتاب «ونص المطبوعتين السالفتين يختلف اختلافا بينا عن نص مخطوطتنا وهو هذا المطبوع . وارجح انه نص مختصر او ناقص من كتاب ابن سلام ، كما تبين لي ذلك من مخطوطتنا ومن الاخبار الكثيرة التي رواها ابو الفرج الاصبهاني في اغانيه ، والمرزباني في الموشح ، مما لا وجود له في الطبعتين السالفتين واكثره موجود في مخطوطتي . وهذا القدر من مراجعة النص يحملني على الجزم بأن اصل كتاب ابن سلام يبلغ ثلاثةاضعاف هاتين المطبوعتين ، اما نص طبعتنا هذه فهو يكاد يكون ضعفهما او قريبا من الضعف» .

ولكن رغم كل الجهود المشكورة التي بذلها الاستاذ شاكر في تحقيق الكتاب فقد لوحظ عليه انه غير اسم الكتاب العلمي المعهود وهو «كتاب طبقات الشعراء» الى «طبقات فحول الشعراء» دونما سند قوي يعززه العلم والتاريخ ، كما انه اثبت في صلب النص بعضالتكملات لقطع شعرية رويت في غير الطبقات كالاغاني مثلا في الوقت الذي كان التحقيق العلمي يفرض عليه الا يتجاوز بها هامش الكتاب على الاكثر . ومع كل هذا يبقى تحقيق الاستاذ شاكر للطبقات ، واخراجه ذلكالاخراج، احسن ما امكن ان يظهر به هذا التراث العربي القيم حتى الآن . . لاسيما اذا لم ننس ذلك الرد القيم ذا الاهمية الكبرى الذي رد به الاستاذ شاكر على يوسف هل بسبب استشكاله نسبة الكتاب لابن سالم ، وهل هو كتاب واحد أو كتابان ، مستدلا بما اورده في هذا الصدد صاحب الفهرست ابن النديم .

*
* *

صنيع ابن سلام في صلب الطبقات عامة عمل نقدي ذو اهمية : فهو قد قسم الشعراء طبقا للمبادىء الآتية :

الزمان : حيث جعل منهم مجموعتين جاهليين واسلاميين .

المكـان : اذ ان ابن سلام عندما صنف شعـراء كل من الجاهلية والاسلام طبقات ، لاحظ ان هناك شعراء لم ينطقوا باسم العرب عامة ، وانما بقوا اكثر لصوقـا باقليمهم الضيق ، وهؤلاء هم الذين سلكهم في بـاب «شعراء القرى .. مكة والمدينة والطائف واليمامـة والبحرين» .

الفن الادبي : فمن الشعراء من تخصصوا في فـن قائم بذاته ، سيق اليه الشاعر منهم بدافع من طبيعـة حياته ، كاصحاب المراثي : متمم بن نويرة والخنسـاء واعشى باهلة وكعب بن سعـد الغنوي ، ومثل هـذا التقسيم اول مراحل النقد المنهجي ، لانه هو الـذي يلقي الضوء على الاعمال الادبية ، يجليها ويكشفهـا ، يرتبها ويصنفها ، حتى اذا ما دقت ساعـة الموازنـة والمقارنة ، تمت عملية النقد في سهولة ويسـر دون ان تتعرض لخطا فاضح ، سببه غموض ناتج عن سوء التقسيم او عدم التصنيف .

الا ان ابن سلام لم يسلك في المجموعتين الجاهلية والاسلامية كل الشعراء ، بل اقتصر على المبرزين منهم كما انه لم يذكر لنا سبب اصطفائه من اصطفى منهـم ولا اساس وضعه في طبقته ، وان لم يغفل كثرة شعر الشاعر وتنوع اغراضه ، بالاضافة الى الاجادة الفنية .

ولكن عندما نصل الى الكلام علـى النظريـات النقدية التي بثها ابن سلام في مقدمة «الطبقات» فان الامر يحتاج معها الى تفصيل :

فهو يقرر اولا ان النقد الذوقي لابد ان تسبقـه الدربة والممارسة ؛ فالشعر صناعة وثقافة لايجيدهـا غير المتخصصين الذين مارسوا الادب وادمنوا القراءة .. واللغة اضيق من الافكار ، ليس في وسعها انتعبر تعبيرا كاملا وواضحا عن جميع المعاني ، ولهذا لابد من الاستعانة بالحس المرهف ، وهو لاياتي الا نتيجةالدربة والممارسة والاعتياد ؛ أليست الجارية تباع بسعر يزيد عما تباع به زميلتها في حين انهما معا توصفانبالجمال والكمال ، وما ذلك الا لتفاوت دقيق في القيم الجمالية بين الجاريتين تعجز اللغة عن التعبير عنه بينما يدركه الحس نتيجة للممارسة والدربة .

وابن سلام في رايه هذا ارستقراطي النزعـة افلاطوني المذهب ، يشترك مع هذا الاخير في المناداة بعدم اباحة النقد لغير المتخصصين فيه المنصرفيـن اليه ، وهو راي له انصار واشياع ، كما ان له مناهضين معارضين يتصدر منهم المقدمة «تولستوي» نادى بملء فمه ان حق النقد ملك لعامة الشعب وسواد الجمهور، لا للخاصة فقط .. وان آثار (شكسبير) مثلا يجـب اسقاطها من الادب الانجليزي ، لان جماهير الشعب اذ ذاك لم يكن لها قدرة على فهمها وتذوقها وبالتالـي نقدهـا .

ونحن نرى انه وان كان النقد الفني في الحقيقة ليس شيئا اكثر من الاستجابة التلقائية للنص يمكـن لاي متذوق ان يقوم به مالم يخنه التعبير ، الا ان البت في اي الرايين المذكورين اصح ، ليس بالامر اليسير ، لان قضايا النقد ليست قوانين رياضية مطردة ، فضلا عن انها تتاثر بالمذاهب السياسية والاجتماعيةوالفلسفية وغيرها ، وهذه لها قوتها العظمى في توجيه الدفـة ودعم التيـار ..

وابن سلام في مقدمة الطبقات يقرر ان تحقيق النصوص ونسبتها الى اصحابها من اهـم ما ينـاط بالناقد .. ويتصدى هو بنفسه لمثل هذا الصنيـع ، فينص على ان حسـان بن ثابت «حمل عليه ما لايحمل على احد» وانه «لما تعاضهت قريش واستتبت وضعوا عليه اشعارا كثيرة لاتليق به» .

وهو لايكتفي بملاحظة الظواهر بل يجهد جهـده في تفسيرها ، ومحاولة تعليلها ، ما وسعته البراهين العقلية والنقلية ، فلقد لاحظ مثلا على محمد بناسحاق انه هجن الشعر وافسده ، اذ أورد شعرا لاناس لـم يقولوه قط كعاد وثمود .. ولكنه ـ اي ابن سـلام ـ لايكتفي بهذا بل يعلل رده لهذا الشعـر بالبراهيـن الآتيـة :

1) القرآن «وانه اهلك عادا الاولى وثمودا .. الآية

2) برهان موازنة وتاريخ .. فعاد وثمود لـم يعرفوا العربية لان أول من تكلمها اسماعيل بن ابراهيم وقد كان بعد عاد ، والجد قبل الاخير للعـرب هـو : «معـد» وقد كان على عهد موسى او قبلـه بقليـل ، وبين موسى من جهة وعاد وثمود من جهة اخرى دهر طويـل .

3) عاد من اليمن ولغتها غير العدنانية (ما لسان حمير واقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنـا ـ أبو عمرو بن العـلاء) .

4) لم يزدهر الشعر او تقصد القصائد الا قبل الاسلام بعهد قريب ، (حيث لم يكن لاوائل العرب من الشعر الا ابياتا يقولها الرجل في حادثة ، وانما قصدت القصائد وطولت على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على اسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع) .

ويكشف ابن سلام بعمله هذا عن طول النفس وشدة العناء اللذين كان يعانيهما هو وامثاله من محققي الشعر قبل روايته وتدوينه ، وهذا في ذاته اول مايقع على الناقد من مسؤولية لابد له معها من رشح الجبين.

وبعد فاذا كان ابن سلام قد امتع كناقد فني في كثير من آرائه التي تحتضنها «الطبقات» والتي جعلت منه رائدا من رواد النقد العربي في اول عهد العرب بالنقد المنهجي الموضوعي .. فانه — على رغم هذا — قد تجنب الصواب في بعض آرائه .. فتعليله ندرة شعر بعض القرى بقلة حروبها غير وجيه ، لانموضوعات الشعر ليست كلها في الحرب ولا هي خاصة بها ، كما انه ليس صحيحا ما ذهب اليه من ان الشعر كان نادرا بمكة وخاصة بعد الاسلام ، وانما نتجت هذه الظاهرة لدى ابن سلام من اغفاله شعر كثير من الغزليين وعلىراسهم عمر بن ابيربيعة الذي لم يذكره اصلا ، وربما بسبب انسياقه مع الاتجاه العام لعلماء عصره الذين كانوا يتعصبون للقديم ضد كل حديث .

كما ان تفضيل كثرة شعر الشاعر على الجودة، وتعدد الاغراض الشعرية على التقيد بفن واحد تدفعنا اليه ملابسات حياتنا .. راي — لابن سلام — ليس بسديد ، اذ من الواضح ان الكم — دون الكيف — ليس مقياسا صحيحا تقاس به القيم ، وهذا ما سيفطن اليه ابن قتيبة فيما بعد .

ولكن مع هذا يبقى كتاب ابن سلام ومقدمته على الخصوص من اهم ما كتب في النقد الادبي عند العرب .. ويبقى ابن سلام من اجلاء النقاد ذوقا وحكما ، فقد وصل الى ما اصله الادباء واللغويون ، ثم زاد عليه واضاف اليه ما جعل كتابه صورة معبرة في بلاغة آسرة عن حياة النقد منذ نشا في الجاهلية الى اوائل القرن الثالث ، ومعرضا للاذواق والاذهان التي خاضت فيه .

لقد كانت الخطرات النقدية عند العرب متناثرة لايربط بينها رابط ، ولا تجمعها وحدة ، حتى جاء ابن سلام فرتبها ونسقها ، وجعل منها عملا مجيدا لصالح الفكر والشعور .. واذا بالاصول النقدية التي كانت قبل ابن سلام عرضة للضياع قد وجدت اخيرا ملاذها الدائم في كتاب «طبقات الشعراء» .

محمد عبد الواحد بناني



بنت الشعب
كريم بناني



حاملة القفة
معرض كريم بناني



ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث

تفضل الاستاذ السيد عبد الله كنون فاهدانا نسخة من « ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث » وقد قام الاستاذ كنون بتحقيق هذا الديوان وكتابة مقدمته ، ووضع فهارسه .

وتحقيق الكتب عمل منهجي علمي معقد ، قد لا تقل المجهودات التي يقتضيها عن مجهودات التاليف ، ان لم تتجاوزها في بعض الاحيان .

والاستاذ كنون باخراجه لهذا الديوان يضيف مفخرة اخرى الى مفاخره الكثيرة فى خدمة تاريخ الادب المغربي والاندلسي ؛ واذا كان هذا الديوان من نظم شاعر اندلسي ملك، فان قيمته بالنسبة لتاريخ المغرب ولتاريخ الادب المغربي ، لا تقل عن قيمته كعمل ادبي ، يستحق – فى حد ذاته – ان تبذل من اجل اخراجه المجهودات وان تتحمل المشاق ، ذلك لان تاريخ المغرب والاندلس، وتاريخ الادب المغربي والاندلسي يرتبطان فى اغلب ظروفهما ارتباطا عميقا ، وتتشابك العلاقات بينهما وتتداخل ، بشكل قل ان نجد له نظيرا بين اي قطرين آخرين .

والواقع ان كثيرا من الحقائق التاريخية التي نعرفها الان عن المغرب وعن ادبه ، يرجع الفضل فيها الى كتب اندلسية ، او كتب قصد بها التاريخ للاندلس والادب الاندلسي .

والديوان الذي بين ايدينا، تمثل جملة من قصائده نوع العلاقات التي كانت تربط الدولة الاندلسية بالدولة المغربية فى هذه الحقبة الغامضة من تاريخ القطرين معا ، بل تصور لنا تطور هذه العلاقات بين ملك غرناطة فى ذلك الوقت يوسف الثالث صاحب الديوان ، وبين الملك المغربي المعاصر له ابي سعيد عثمان المريني الاصغر ، او (**صاحب فاس**) كما يصر على ان يدعوه صاحب الديوان

ولهذا الديوان قصة ، فقد ظل مجهولا الى ان عثر على نسخة منه بناحية سوس الاستاذ السيد محمد المختار السوسي ، وعند ما زاره الاستاذ عبد الله كنون فى سنة 1369 هجرية بمراكش – وكان اذ ذاك لا يزال مقيما بها – اهداه هذه النسخة ، (**رجاء القيام بنشرها وتقديمها الى العالم العربي طرفة ادبية يعزلها الكفاء ، لانها على ما يظن صديقنا لا ثاني لها فى العالم ، فله شكرنا وشكر المهتمين باحياء تراث العرب فى الشرق والغرب**) كما ورد فى المقدمة التي كتبها للديوان الاستاذ عبد الله كنون .

*

* *

ولم يكن في نسخة الديوان المخطوطة الا عيب واحد ، هو فقد صفحتها الاولى ، التي كان محتملا ان تكون مشتملة على اسم صاحب الديوان ، وان كان يبدو من الديوان نفسه ، انه ملك من ملوك غرناطة ، وان اسمه يوسف ، ولكن البحث الذي قام به الاستاذ كنون في الموضوع ، والذي شرح جزء منه في مقدمته اداه الى معرفة صاحب الديوان ، وهو (**يوسف الثالث حفيد الغني بالله ، وهو الثالث عشر من ملوك بني الاحمر النصريين اصحاب غرناطة**) وقد استمر في الحكم ، على ما يرجحه محقق الديوان ، من سنة 1407 الى سنة 1417 في فترة غامضة جدا من تاريخ الاندلس .

وفيما عدا الصفحة الاولى من مخطوطة الديوان، فقد وجد كاملا ، وقد نقل الاستاذ كنون صورة فوتوغرافية من احدى صفحاته لتقديم نموذج من خطه المغربي الاندلسي ، ومن هذه الصورة يبدو ان النسخة مكتوبة بعناية كبيرة وبخط جميل واضح ، مما يرجح لدى محقق الديوان انها (**(نسخة ملوكية)**) على حد تعبيره .

والحقيقة ان المقدمة التي كتبها الاستاذ كنون للديوان تلقي عليه كثيرا من الضوء، وان كنا نصطدم في هذه المقدمة بعبارة لانستطيع ان نتجاوزها دون ان نشير اليها .

يقول الاستاذ كنون في الصفحة الاولى من المقدمة بعد ان يذكر من عرف من الشعراء الاندلسيين بعد لسان الدين بن الخطيب ، يقول :

«وهذا كله في شعر (السوقة) أعني غير الامراء والملوك ، اما هؤلاء فقد وقف التاريخ بهم عند ملوك الطوائف .

والذي نعرفه ، ويعرفه الاستاذ عبد الله كنون ، بكل تاكيد ، هو ان الناس ، والشعراء من ضمنهم ، لاينقسمون الى أمراء وملوك من جهة ، و (سوقة) من جهة اخرى .

واذا كان لابد من تقسيم من هذا القبيل بالذات : فانهم ينقسمون الى ملوك وأمراء من جهة ، وغير ملوك وغير أمراء من جهة اخرى ، وليس من اللازم ان يكون هؤلاء جميعا **(سوقة)** . على ان لفظ **(السوقة)** استعمال قديم ، عفى عليه الزمن ، ولم يعد هناك من مبرر لاستعماله في عصر ارتفعت المواطنة فيه بالمواطن الى الدرجة التي تفرض احترامه ، بقطع النظر عن مركزه الاجتماعي أو مستواه المادي او العقلي او غير ذلك .

ولكن الاستاذ كنون — مع ذلك — يصر على هذا الاستعمال ، فهو يقول في الصفحة الثانية من المقدمة نفسها ، ما نصه بالحرف :

«فاذا جئنا اليوم نزف الى العالم العربي بشرى وجود ملك اندلسي شاعر ، في العصر الذي عدم فيه أو فقد حتى الشعراء «السوقة» من الاندلس ، فانما نكون قد اضفنا الى تاريخ الشعر في الفردوس المفقود ، صفحة ذهبية طالما طوتها عوامل الاهمال ، وعدت عليها عوامل السنين» .

اما ان الاستاذ كنون يضيف بتحقيق هذا الديوان صفحة ذهبية الى تاريخ الشعر في الفردوس المفقود ، فذلك ما لاارتاب فيه ، بل نؤكده ، ونحمده له ، وأما اصراره على استعمال لفظ **(السوقة)** للدلالة على غير الملوك والامراء ، فنحن نعتقد انه مجرد سبق قلم او شيء من هذا القبيل ، ومهما يكن ، فهو من غير شك استعمال غير مقصود .

*

* *

بقي ان نقول كلمة عن الديوان نفسه ، وهو يقع في 249 صفحة من الحجم الكبير ، باستثناء المقدمة والفهارس .

والاشعار التي يتضمنها الديوان لاتخرج عن المالوف من اغراض في الشعر العربي من غزل وفخر ورثاء وحكمة وغير ذلك ، وحظ الفخر فيه ليس بالقليل وهو من نوع فخر الشعراء الملوك ، كما انه يضم بعض الموشحات .

ولسنا هنا في مجال تحديد القيمة الفنية لاشعار الديوان ، وان كان الذي يتبادر من تصفحه ، ان صاحبه قد كان ذا طبع سهل في الشعر ، تبرز في شعره الجزالة والاصالة ، وان لم يبلغ شعره من القوة مايضع صاحبه في مصاف الشعراء الكبار ، المتميزين باسلوبهم وطابعهم الخاص .

*

وعلى كل ، فانها مادة غزيرة جديدة ، تزيد في اثراء تاريخ الادب العربي بصفة عامة ، وتاريخ الادب العربي الاندلسي بصفة خاصة .

والجهد الذي بذله الاستاذ عبد الله كنون في تحقيق الديوان ، وتحقيق نسبته الى صاحبه ، وتسليط الاضواء على الفترة التاريخية التي انجبته ، وفي وضع الفهارس المتعددة للديوان ، كل ذلك واضح من تصفحه ، وهو عمل جليل ، ومفخرة جديدة يضمها الاستاذ كنون — كما اسلفنا — الى سلسلة مفاخره في خدمة تاريخ الادب العربي في المغرب الاندلسي .

عبد القادر الصحراوي

مبادئ أصول القانون

تأليف : عبد الرحمن البزاز

وهذا كتاب من النوع الجيد الذي لا ينبغي ان تخلو منه خزانة الذين يمارسون دراسة القانون ، اذ يعتبر بحق مصدرا مهما من المصادر التي يرجع اليها في هذا الباب . ويكفي ان نعرف ان مؤلفه هو الاستاذ العراقي الكبير السيد عبد الرحمن البزاز صاحب « الابحاث والاحاديث في الفقه والقانون » وصاحب « الموجز في تاريخ القانون » .

يقع الكتاب في نحو من ثلاثمائة وخمسين صفحة من الحجم المتوسط (طبع سنة 1958) وقد كتب باسلوب بديع وجذاب ، بحيث يغري حتى اولائك

الذين لا يجدون هواية فى البحوث القانونية فلا يلبثون ان يغدوا « فقهاء » بالرغم عنهم .

ولقد صدر المؤلف كتابه بتمهيد فى اصول القانون، اشتمل على كثير من المبادىء التي لا غنى عنها للفقيه . وبعد هذا البحث المستوعب يقسم الكتاب الى بابين : الاول فى القانون ، والثاني فى الحق .

والبابان وان اعتبرا معا اسهاما ممتازا لصالح المكتبة العربية ، لكن الباب الاول يمتاز بطول نفس يدل على مقدرة الرجل وتقعره فى الميدان الذي يتجه اليه ؛ فهو ــ اي الباب الاول ــ الذي يحتوي على فصول ثمانية ــ يعالج كل ما يتعلق بالقانون اصلا واصطلاحا ، وهنا نقف على **« الخطا المشهور »** الذي داب عليه الناس فى تسمية المركز الذي يقوم بدراسة القانون بكلية الحقوق ، فالاستاذ البزاز يؤكد ان ذلك لم يكن الا نتيجة لترجمة خاطئة للمصطلح الفرنسي :
(Faculté de droit) وفى استعمال كلمة (droit) التي تعني ــ كما هو معلوم ــ الحق والقانون فى الوقت الواحد ، مع ان الافضل ان تسمى **« كلية القانون »** كما تسمى بذلك فى اللغة الانجليزية التي هي ادق فى التعبير من هذه الناحية اذ ان ما يدرس فى كلية الحقوق هو علوم القانون ولا يدرس فيها عن الحقوق شيء . ثم يعرض المؤلف فى فصل خاص لبحث القانون الطبيعي لدى مختلف الامم : عند الاغريق والرومان والمسلمين ، ثم نقرا فصلا ممتعا عن (مدرسة الشرح على المتون) التي ما تزال معاهدنا الدينية تسلكها الى الآن فى بعض الحالات . وينتقل المؤلف فى فصل طويل الى بحث الدين كمصدر من مصادر التشريع ، والى فروع القانون الخاضعة للفقه الاسلامي واهمية « العرف والعادة » فى فروع القانون العام ، ثم يتناول الكتاب بحثا نفيسا حول مسايرة القانون من حيث الزمان على ضوء القاعدة المستقرة التي تنص عليها الاوضاع والدساتير ، اعني قاعدة (عدم « رجعية » القانون) أي ان الاصل فى القانون انه يسري على الحوادث المستقبلة التي تقع بعد صدوره ، ويخصص المؤلف الفصل السادس للحديث على اقسام القانون بما فيها القانون العام والقانون الخاص .

اما الباب الثاني فيحتوي عنده على فصول ستة تتناول الحقوق السياسية والحقوق غير السياسية بما فى هذه الحقوق العامة والخاصة ، وبما فى ذلك من مقارنات ومفارقات .

واعتقد ان الكتاب لا يمكن ان يستطيع المرء ان يعطي عنه نظرة خاطفة فى سطور دون ان يجحف بقيمة الكتاب ، ولعل مما يعطينا صورة اصدق عن محتواه ان نعرف ان مراجعه الهامة تفوق الخمسين وكلها من اهم ما كتب حول القانون سواء باللغة الفرنسية او اللغة الانجليزية .

واذا كان لي ما ارجوه الى هذا الاستاذ الجليل فهو ان يتاكد من ان الطلاب العرب ــ وخاصة منهم الذين يدرسون القانون بلغتهم العربية ــ يتوقون كاشد ما يكون التوق الى مثل هذه المؤلفات المهمة . واكثر من هذا فهي تقوى من عزمهم على المضي فى هذه الظروف التي عز فيها نصير العربية وتوالت فيها السهام على من آثروها على غيرها . وحبذا لو يكثر علماء القانون فى مختلف اطراف بلاد العروبة كلها من امثال هذه البحوث التي تلقى حظا كبيرا فى لغة الغربيين .

عبد الهادي التازي

فلسفة القومية

المؤلف : الاستاذ أحمد خاكي
الصفحات : 207 ــ من سلسلة اخترنا لك :

كان من نتائج ظهور الحركة القومية فى الشرق العربي بالخصوص ، ان ظهرت حركة نشيطة فى الكتابة حول هذا الموضوع ، كان بعضها مما يشغل الصحافة او غير الصحافة من انواع النشر .

ورغبة فى ان يكون الراي العام المغربي على اتصال بما يروج من تيارات وافكار ــ اتصالا مبنيا على الفهم الصحيح ــ نقدم له اليوم كتيبا فى الموضوع تحت عنوان **« فلسفة القومية »**

لعل الكاتب شاء ان يخرج بالحديث **عن القومية** من النطاق العام والبحث المطلق الى نطاق **الفلسفة والبحث العميق** ، ولست ادري هل شعر الكاتب بان الموضوع قد اخذ فى التطور مراحل ابلغته الى عمق الفلسفة ، او ان الامر كان غير هذا ؟ اما فيما يرجع الى كقارىء ، فاني لم اشعر بهذه الفلسفة فى البحث ، ولم استطع ان اجد العمق الذي تعرف به الفلسفة .

وكل ما امتاز به الكتاب هو ذلك النوع من الحصر والتقسيم والتعداد لعدة عوامل تتكون منها هـــذه القومية ، كما كان الباب الثاني من الكتاب عرضا تاريخيا للحركة القومية وتاريخ نشأتها .

اما المقدمة ، فهي بيان لطبيعة الجماعات الاولى ، وانها كانت طبيعة قومية ينظمها ويوحد بين اجزائها ، ما يسمى « بالشعور الاجتماعي » او « التعاطـــف الفطري » او « المشاركة الوجدانية » ثم تفرقت هذه الجماعات فاصبحت تكون قوميات مختلفة لكل منها طابعها الخاص .

ثم ينتقل المؤلف الى تعداد الشروط التي تعتبر اساسية في حياة الجماعة الراقية وذلك :

1) بان يكون وجودها مستمرا فلا تكون رهينة بغرض مؤقت .

2) وان يشعر افراد هذا المجتمع بموقفهم من المجتمع نفسه ، بان يكون لدى كل فرد منهم فكرة عن الحياة العامة التي يحياها هذا المجتمع .

3) وان يكون هذا المجتمع على اتصال بسائر المجتمعات حوله .

4) وان يكون لهذا المجتمع مجموعة من التقاليد والعادات والعقائد .

5) وان ينظم افراد هذا المجتمع الراقي وطبقاته بحيث يقوم كل فرد وكل طبقة بوظائف خاصة .

ولعل الكاتب اراد ان يقنعنا بهذه الشروط وبعددها المحدود فقاسها على الجيش ، فهو جماعة من الناس تسرى فيه فكرة الاستمرار ويشعر الجندي بالجيش، وكانه كل هائل . والجيش يكافح ، وله تقاليد ، ولـــن يكون الجيش شيئا ، اذا لم يكن النظام اساس كل عمل من اعمال افراده .

ونحن ان اقتنعنا بهذا القياس ، وآمنا بهـــذه الشروط ، فليس من اللازم ان نقتنع بهذا الحصر ، وهذا التحديد ، الذي خضع لارقام معينة ، فمن الاحسن ان نعدد هذه الشروط ، وندع الباب مفتوحا للبحث العلمي يزيد او ينقص .

ثم ينتقل الكاتب الى اشياء **فكرة النظام العالمي الجديد ،** فيخضع وجودها ، او امكان وجودها ، الى نفس الشروط الخمسة السابقة ، والى اشياء اخرى ، منها « أن ننشىء في نفس الاجيال الجديدة ذلك الولاء العالمي » ونوفق بينه وبين ولائنا للجماعات القومية ، ولابد **قبل ذلك أن تتزايل اسباب العدوان وان تتنازل القوات الدولية الكبرى عن سياسة الاستعمار والتوسع.**

ان هذه الزيادات في الواقع ليست خاضعة **بنشأة الجماعة العالمية فهي شروط اساسية حتى في وجود الجماعة القومية ففكرة العدوان وفكرة الاستعمار هما في الواقع السبب الوحيد لوجود هذه الحروب وهذا الصراع والنزاع القائم في العالم ..**

ثم ننتقل مع الكاتب ، فنجده يعرض علينا آراء في تطور المجتمعات ، فكان من بين هذه الآراء : ان كل واحد من افراد المجتمع الفطري الاول ، **« كـــان ذا شخصيتين متناقضتين في وقت واحد معا . فقد كان يختلف في نفسه الولاء والعداء كما كانت تختلف على نفسه الفضيلة والرذيلة ، اما الولاء والفضيلة ، فقد كان يحسها حين يجتمع بقومه ، واما العداء والرذيلة ، فقد كان يظهر للقبائل الاخرى التي تسكن فيما وراء التخوم، فيكون على هذا الراي ، ان العداء نفسه كان عاملا مـــن عوامل التطور ، وانه لم يكن هناك سبيل لبقاء الاصلح ، لو لم يدفع العداء القبائل ، الى التطاحن والتفاني . ففنى الذين لا يصلحون ، وورث الارض الافراد الصالحون » .**

ويقابل هذا الراي أن المدنية تتجـــه الى ناحيـــة الفضائل الاخرى وانها تسرع الى التفاهم العالمـــي والتعاون والسلام . وقد كنا ننتظر من الكاتب ان يعين لنا اي الاتجاهين اقرب الى عملية التطور .

ويظهر ان الاتجاه الثاني ، هو الذي يساعد على التطور وان سياسة التفاهم هي التي يقوم على اساسها بناء المجتمعات واستمرار الشعوب ، وان عامل الخير في نفس الانسان ـــ كما دلت التجارب النفسية اكثر تاثيرا من عامل الشر والبغض ، وقد سجل هـــذه الظـــاهـــرة الانسانيـــة اكثـــر القصـــاصيـــن العالميين ، ومن هنا ينبغي ان نعمل على تحليل هـــذه الظاهرة فيما نكتب وننتج من انواع الكتابة والفن حتى ننشيء جيلا هو الى السلام اقرب منه الى الحرب .

ومن هنا ينتقل بنا الكاتب ، الى عملية الاحصاء ، فيعدد لنا العوامل المادية والروحية التي تخلق هـــذه القومية ، وتحافظ على بقائها ، فالعوامل المادية :

عامل البيئة ـــ عامل الجيش ـــ عامل السكان .
اما العوامل الروحية فهي :

عامل الحكومة من حيث نوعها ونظامها والقوانين التي تصدرها .

عامل الدين ــ عامل اللغة والادب ــ عامل التربية والثقافة .

ولعل الكاتب شعر في هذه المرة بان القارىء في حاجة الى معرفة الاساس الذي بني عليه هذا التقسيم، فذكر بان العوامل المادية هي التي تكون اساس الشعب اما العوامل الروحية فهي التي تكون كيان الشعب نفسه والعوامل المادية ثابتة يكاد يكره عليها الشعب اكراها .

اما العوامل الروحية فيستطيع الشعب ان يغير منها او يعدل اذا شاعت بين افراده ارادة واحدة .

واذا ذهبنا مع الكاتب في تحليل هذه العوامل لنبحث عن الفلسفة وعن عمق هذه الفلسفة ومشاكلها فنكاد نجده لا يتعدى حدود العرض لاراء بعض المفكرين الغربيين ، في كل عامل من هذه العوامل .

ففي عامل الجنس مثلا نرى المؤلف يعرض الى الصراع الذي عرفتاه بين المفكرين في المفاضلة بين الجنس السامي والجنس الآري وكان من بين هذه الآراء : رأي « رينان » . فقد حاول ان ينتقص من صفات الجنس السامي ويعلى من شان الجنس الآري فقال عن هذا الاخير ، انه اساس المدنية الحديثة ، وقال عن آلاخر ، انه فئات من الناس قصيرة الخيال ، لا تستطيع ان تبتكر ، ولا نظم لها من الحكمة ولا في الخلق

ويعرض الكاتب في نهاية الحديث عن العوامل المادية الى نقطة هامة هي : **نقطة الخلق القومي هل هو مطبوع او مصنوع ؟** فما دامت الامة قد سكنت سهلا او واديا وما دامت قد اتخذت الزراعة او الصناعة وما دامت قد نشات بحرية او صحراوية اوجبلية ومادامت قد انحدرت من سلالة آرية او غير آرية فقد تحدد موقفها في كل عصور التاريخ وهؤلاء هم الحتميون . . **« والحق ان الامة ككل مجموعة عضوية في تطور دائم والحق ان الامة تستطيع ان تصنع نفسها وان تتولد وان تتغير ولم يكن حتما على امة من الامم ان تظل في مركز ادنى ولم يكن مقتضيا لامة اخرى ان تكون في المركز الاعلى ، فالانسان ارادة وجهد .**

هكذايغفل الكاتب ، جانب الطبيعة وتاثيرها في الامة ، ويعتمد على ما للامة من ارادة وجهد ، مع ان الامر لا يسير في طريق هذا الميل الكامل ، واغفال جانب الطبيعة ، فكما ان لارادة الامة تاثيرا في حياتها ، فكذلك للطبيعة تاثير ، وان كنا لا نقدر ان نجزم بتحديد نسبة هذا التاثير الذي تتجاذبه كل من ارادة الامة وطبيعتها .

أما عن عامل اللغة والادب ، وعامل التربية والثقافة ، فانهما بقدر ما يلعبان من دور هام في تكوين **القومية** يلعبان كذلك دورا هاما **في تكوين عالمية جديدة ، بل اننا اذا كنا نحمد في الادب القومي والثقافة القومية نعمة البناء والتكوين ونعمة التصوير** والتسجيل لحياة هذه القومية بما ينعكس على هذه الحياة من مظاهر البؤس ومظاهر الفرح ، فاننا من جهة اخرى لا نضمن لهذا الادب وهذه الثقافة ميزة **الاصالة والخلود وميزة الاستمرار الا بمقدار ما يشبع في هذا الادب وهذه الثقافة من معالم الانسانية ومظاهر الشمول .**

*
* *

اما الباب الثاني فيتحدث فيه الكاتب عن مفهوم المذهب القومي ونشاته وتاريخه ، ولعل هذا الباب كان من حقه ان يكون مكان الباب الاول ، ليمكننا بعد المعرفة لمفهوم القومية ، ان نستخلص ما يتضمنه هذا المفهوم من شروط وعوامل ومقتضيات .

لقد فرق الكاتب بين القومية كعاطفة والقومية **كمذهب سياسي له ما للمذاهب السياسية الاخرى من مناهج واضحة ومن سلطان على تفكير الجماعة وفرق** كذلك بين **مفهوم المذهب القومي ومفهوم الوعي القومي.**

« فحينما حاول فليب الثاني ملك اسبانيا ان يغزو انجلترا سنة 1588 وقف له الانجليز جميعا وهم يشعرون بانهم امة واحدة ، انه شعور قومي حقا ولكنه ليس بمذهب قومي لان المذهب القومي ليس مجرد عاطفة ولا مجرد تكتل امام الاعتداء الخارجي **بل للمذهب القومي منهج خاص واساس هذا المنهج ان يكون للشعب سلطة وان تبرز هذه السلطة في نظام خاص .**

ومن هنا نستطيع ان ندرك بان الانجليز لم يكن لهم **مذهب قومي ولكن كان لهم وعي قومي** وهكذا يمكن ان نقول في كل شعب من الشعوب قاوم ضد أي اعتداء.

والمذهب القومي كما يحدد رجل التاريخ هو « انه منهج خاص تتخذه كل امة من الامم لاصلاح شانها » وفي نظر رجل القانون هو انه » كل امة ذات شخصية مستقلة وانها سيدة نفسها وللامة ان تتمتع بحق التصرف تمتعا لا يزول ولا يسقط بالتقدم وليس للامة ان تتنزل عن حق التصرف لا في الداخل ولا في الخارج »

هكذا حاول المؤلف ان يوضح لنا مفهوم المذهب القومي ، ومفهوم القومية . ولكننا في الواقع لم نستطع ان نتبين حدود هذا المفهوم ، وندرك حقائقه في وضوح. فهل لان هذه القومية . لا زالت غامضة ، لم تاخذ نصيبها من الوضوح ، ام ان هذا النوع من الغموض يلازم دائما ما يسمى بالتعريف والمفهوم ؟ واذا كان لا مفر من هذا وذاك فكان من الاحسن ان يعرض علينا المؤلف هذه القومية في تصميم تام يضم مشكلات هذه القومية ويوضح لنا مناهجها وبرامجها وخططها .

ومن هنا انتقل المؤلف الى عملية الحساب ليعرض علينا اطوارا خمسة قد مر بها المذهب القومي .

والواقع ان هذه السلسلة من التاريخ لا تعنينا في التعليق بقدر ما تعني المؤرخ .

وفي النهاية يتحدث المؤلف عن **القومية المصرية والقومية الجديدة** ولقد كان الحديث عن القومية المصرية عبارة عن عرض تاريخي ايضا **للوعي القومي** ابتداء من حملة نابليون وعرض لحياة محمد علي والحركة الفكرية التي قام بها جمال الدين ومحمد عبده وقاسم امين وسعد زغلول ، ولهذا كان من حق هذا العنوان ان يكون هكذا : **الوعي القومي في مصر .**

اما عن القومية الجديدة ، فانها في الحقيقة ، تمثل المرحلة الخامسة ، من مراحل المذهب القومي ، وهي في نظر الكاتب ، عبارة عن الانقلاب القومي ، بين شعوب العرب اولا، وشعوب آسيا ثانيا ، وشعوب افريقيا ثالثا، ومن جهة اخرى ، نجد هذا الفصل عرضا للصراع القائم بين **الكتلة الغربية او الكتلة الاستعمارية ، وبين القومية** الجديدة ، تعمل هذه الاخيرة ، على ان تعيش تحت ظل مثلها العليا ، وتعمل الاخرى على ان تستغل موارد هذه المناطق الطبيعية وغير الطبيعية ، وتسعى لذلك بكل ما تملك من وسائل فتخلق دولة اسرائيل خلقا ، وتعلن العداء الحربي والحصار الاقتصادي .

ازاء هذا العرض نتساءل ، هل استطاع الكاتب ان يعرفنا بالقومية وفلسفتها حقيقة ، وهل استطاع ان يطلعنا على مشاكل هذه القومية ، وما يقابلها من حلول ، سواء في نظر الكاتب او غيره من الكتاب .

وهل استطاع ان يحدد لنا مفهوم **الاقليمية او القومية الضيقة والنظام العالمي** والى اي حد تكون هذه الاقليمية عرقلة في تحقيق هذه القومية ، وهل من اليسير ان تتحول هذه الاقليميات الى قومية صحيحة وكيف ذلك ، واذا امكن ذلك فالى اي حد تبلغ هذه القومية من الاعتبار في الميزان الدولي ؟؟؟

وهل استطاع ان يوضح الاسس القائمة عليها هذه القومية العربية ، والى اي حد تسير هذه القومية في طريق المفهوم الصحيح للقومية ، وهل ما هو موجود بالشرق العربي حركة قومية بمعناها الصحيح ، ومفهومها الصادق ، او هو مجرد وعي قومي ، لا زال يتصل بذلك الماضي الذي ابتدا ببداية الصراع بين القوة المعتدية والقوة الشعبية .

كل هذه الاسئلة في الواقع لا نكاد نجد لها جوابا في الكتاب ، وكما قلت ان الكتاب كان له فضل الجمع والحصر والتقسيم وفضل العرض التاريخي للقومية اما فضل الشمول والعمق والتحليل فنحن لا زلنا ننتظره .. ؟؟؟

واذا بقي علينا شيء نقوله فانما هو الشكر لصاحب الكتاب على الجهود التي بذلها ، والتي كانت الدافع لمشاركتنا له في الافادة والتفكير والملاحظة .

الطاهر أبو بكر زنيبر

دولة إسرائيل

في سنة 1956 ، صدر كتيب بعنوان « دولة اسرائيل » وهو من سلسلة « ماذا اعرف » التي تصدر بفرنسا ، ومع ان الكتاب تسيطر على اسلوبه نزعة دينية ، ويسوده شيء كثير من الثقة بمستقبل « اسرائيل » التي استردها الصهاينة في نظر الكاتب ، فقد اطلعنا عن طريق غير مباشر ، على اخطاء عديدة ارتكبها العرب في فلسطين التي تخضع اهم اجزائها للسيطرة الصهيونية .

وقبل متابعة سير الاحداث من خلال هذه السطور ، ينبغي اولا ، ان نتجرد عن العاطفة ، ونترك للعقل كامل التصرف في التفكير والحكم .

يستعرض صاحب الكتيب بايجاز تاريخ فلسطين. فيذكر ان العبرانيين قد استولوا على فلسطين في عهد

الكنعانيين . ثم انقسمت البلاد الى قسمين اثر حكم سليمان عليه السلام ، احدهما « اسرائيل » في الشمال، وثانيهما « جودا » في الجنوب (او يهودا كما يسميها العرب)

ثم يذكر الكاتب ، ان اليهود تعرضوا للتشريد في عهد الرومان الذين انتهى احتلالهم عند انهزامهم في معركة (اليرموك) على يد العرب ، وهو يعترف بان موجة من الحقد على اليهود ، كانت تطغى في البلاد الاوربية ، اما في البلاد الاسلامية ، فلم يكن العرب يحقدون عليهم ، وانما كانوا « يحتقرونهم » ، ويستطرد ان حكام المسلمين قد خصصوا لهم احياء يقطنها اليهود وحدهم ، ثم ينوه بالثورة الفرنسية التي يقول عنها انها اول ما خلص اليهود من وضعيتهم المنحطة ، بعد ان اعترفت لهم فرنسا بوجوب التمتع بحقوق الانسان منذ سنة 1791 م .

وقد بدا عمل الصهيونيين على التكتل من اجل الرجوع الى « ارض الميعاد » منذ 1884 عندما انشىء الاتحاد الاسرائيلي الجامعي الذي كان يهدف على ما يظهر ، الى بث فكرة الرجوع الى فلسطين بين صفوف ابناء اليهود ، وان كانت الفكرة لم تتخذ شعارا رسميا لهذا الاتحاد .

وفي سنة 1894 تصدى صحفي نمساوي لكتابة مقالات في باريز يدعو فيها الى تكوين منظمات يهودية لتصفية ممتلكات اليهود في مختلف دول العالم ، لاستغلال مداخيلها في « ارض الميعاد » .

وقد اتصل هذا الصحفي بالسلطان عبد الحميد العثماني ، من اجل استعمار يهود العالم لارض فلسطين وقابل السلطان ذلك بالرفض ، ولعله راى في معايشة ملايين اليهود لعرب فلسطين ، خطرا على مستقبل هذه البلاد ومجموع البلاد العربية التي كانت آنئذ تحت حكم العثمانيين .

وفي سنة 1917 ، بعد اتصال (حييم ويزمان) (بلفورد) وزير خارجية بريطانيا ، تعهدت الحكومة الانجليزية بمساعدة اليهود على انشاء وطن يهودي .

وفي سنة 1912 ، تولت بريطانيا الحكم بفلسطين تحت شعار « الانتداب » (le mandat) الذي اقرته بفلسطين هيئة الامم المتحدة ، بعد انسحاب الاتراك .

ومن المعلوم ان هيئة الامم المتحدة ، قد قررت تقسيم فلسطين سنة 1948 . وكانت مقاومة العرب للمشروع مقاومة عتيقة ، ولاشك ان الدول التي عملت على خلق دولة اسرائيلية، هي فرنسا وبريطانيا وامريكا، ومن الطبيعي ان يؤثر نفوذها على الدول المستضعفة آنئذ ، وقد كانت معظم تلك الدول حديثة عهد بالخطر النازي ، وتخشى باس الدول القوية .

وقد ذكر صاحب الكتيب الذي تحدثت عنه آنفا ان « اسرائيل اول دولة في التاريخ نشات بقرار اغلبية دول العالم » وليس في قول الكاتب مبالغة ، ولكن الشيء الذي لم يشر اليه بالمرة ، هو ان امريكا التي كانت تريد ان تخلق « اسرائيل » هددت بايقاف مساعدتها الاقتصادية ، لعدد كثير من الدول التي اشتركت في التصويت ، والتي يبدو ان ايمانها بالخبز والسلام، كان اقوى من ايمانها بمبدا اعطاء كل ذي حق حقه .

ويستعرض الكتاب نشاط الاسرائليين في مختلف ميادين الحياة : **ففي ميدان اللغة ، نرى أن اليهود قد تجمعوا من مختلف اجناس العالم ، وان الاغلبية الساحقة منهم كانت تجهل اللغة العبرانية ، وكان من الصعب ان تتفاهم هذه العناصر المختلفة ، ومع ذلك ، فان الصهيونيين ، لكي يؤكدوا ايمانهم بلغتهم ، قرروا ان تكون العبرانية هي لغة التعليم الوحيدة في المدارس الابتدائية ، ويصدر بهذه اللغة ، ما يقرب من 1800 مجلد سنويا .**

اما في الميدان الديني . فتوجد بيعة لكل 500 نسمة ، ويستمر النزاع شديدا حول احترام يوم السبت كعطلة مقدسة .

ويؤمن «شواركي» صاحب الكتيب ، بان التوراة قد ادى خدمة جليلة لبني اسرائيل ، حيث حفزتهم الى العمل من اجل استرجاع « الوطن المغصوب » والتآلف كتلة واحدة في سبيل «رفع راية بني اسرائيل»

ويعمل الاسرائيليون على تنمية الانتاج الفلاحي والصناعي ، واستغلال اكبر قدر من الاراضي التي تنازل عنها العرب غصبا ، او مقابل اثمان مغرية حصلوا عليها من اليهود اثناء الانتداب البريطاني ، ويبلغ عدد المستخدمين في المصانع ما يقرب من 150 الف عامل .

ويقول « شواركي » : ان اليهود يحتاجون الى مبلغ يعادل مئة مليار فرنك سنويا ، من اجل تنمية الانتاج وسد حاجيات البلاد . الا ان اسرائيل كما يقول

الكاتب ، تتابع طريقها رغم جميع العقبات التي تعترضها وبلد له ان يعجب بكفاح بني اسرائيل ، وبتاريخ اسرائيل ، حتى ليقول في النهاية : « اقرا التوراة . فستجد فيها بداية ونهاية هذا التاريخ المدهش » .

وثمة حقائق مرة يصدمنا بها هذا الصهيوني ، عن طريق مباشر او غير مباشر :

1) كون العرب تنازلوا عن قطع عديدة من الاراضي التي كانوا يملكونها في فلسطين ايام الانتداب البريطاني ، لمجرد الحصول على المال دون النظر الى الخطر المقبل .

2) كان زعماء العرب يصرحون مرارا بان الاسرائيليين لن يتمكنوا من تكوين دولة لهم في فلسطين. لان قوة العرب تحول دون ذلك ، ولكن موقف كثير من هؤلاء الزعماء ، لم يكن يبرهن عن اخلاص .

3) ان الاسرائيليين برهنوا عن تكتل وتضحيات تفوق بكثير تضحيات العرب ، فقد سمحوا في اموالهم وقصورهم ، ودخلوا الى فلسطين ليشتغلوا عمالا في الحقول ويحيوا ارضا اهملها ذووها العرب .

الا ان الصهاينة ـ وضمنهم شوراكي ـ يجب ان لا ينسوا :

1) ان فلسطين ، لم يعمرها العرب منذ انهزام البيزنطيين في معركة اليرموك فحسب ، بل ان العرب قطنوا منذ فجر التاريخ ناحية الشام عموما بما فيها فلسطين .

2) ان يهود فلسطين انفسهم ، لم يطالبوا قط بتكوين دولة لهم في هذه البلاد ، وانما الذين دعوا الى ذلك ، هم الصهاينة المتشردون في مختلف اقطار الدنيا .

3) ان تاسيس ما يدعى بدولة اسرائيل ، لم يكن ليتم ، لولا الولايات المتحدة التي ارادت ان تشغل العرب بهذا الوسواس عن تركيز استقلالهم ، وليحتفظ رؤساؤها باصوات المواطنين اليهود في الانتخابات .

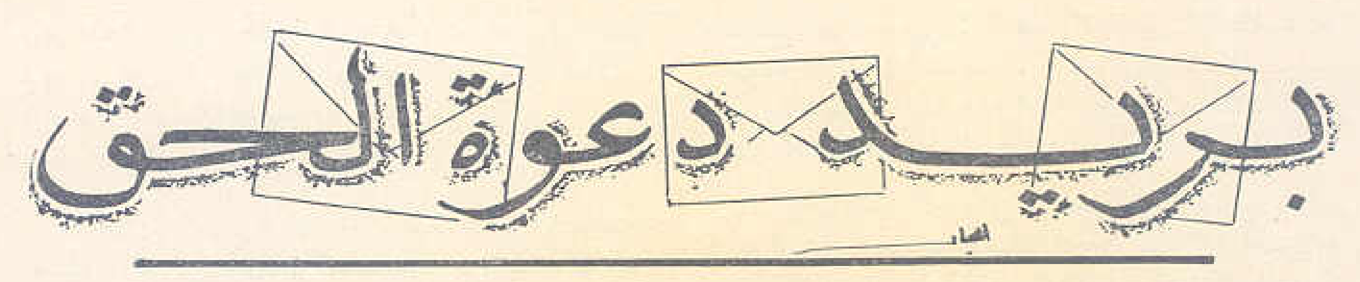
وقد يعتبر البعض ، ان من المهانة ان يحتفظ مليون ونصف من بني اسرائيل بدويلتهم الصغيرة ، امام 70 مليون عربي ، ولكن ، من المرجح انه لو ترك عرب فلسطين وشأنهم مع الصهاينة ، لكان مصير هؤلاء غير مصيرهم الآن .

ولو صح ان فلسطين ملك لبني اسرائيل ، لكان اجدر من ذلك ، ان تكون امريكا لاهلها السود الذين اغتصب الطالون والمتشردون الاوربيون ارضهم ، ثم قسموها الى دول وولايات .

ولم لا يطالب العرب باسترجاع الاندلس ، وقد شادوا فيها ارقى مدينة عرفها التاريخ القديم ؟

ان على رؤساء العرب المخلصين ، والذين لاتهمهم الرياسة ، بقدر ما يهمهم مستقبل وطنهم ، ان يفكروا جديا في الوسائل التي تمكنهم من استرجاع فلسطين حتى لا ياتي الوقت الذي نسمع فيه بان اسرائيل اصبحت حقيقة غير قابلة للمناقشة تمثل اشنع وصمة في جبين التاريخ العربي .

ابراهيم حركات



شكر وتعقيب

حضرة الاستاذ المحترم السيد « هو »

تحية واحتراما

في اوائل الشهر الماضي صدر العدد الاول من السنة الثانية لمجلة «دعوة الحق» وقد تفضلتم فرحبتم به وعلقتم عليه، وذلك في كلمة تحت عنوان **« ترحيب وتعقيب »** نشرتها لكم جريدة **« العلم »** في عدد يوم الجمعة 3 اكتوبر المنصوم.

ولم تكن هذه اول تحية منكم لمجلة **« دعوة الحق »** فقد سبق لكم ان حييتموها من قبل، بنقدكم لاحد اعداد سنتها الاولى، نشرته لكم **« العلم »** ايضا في حينه.

ونحن لا نملك الا ان نشكر لكم عنايتكم بهذه المجلة، وان كان ذلك لا يمنعنا من ان نراجعكم في بعض الآراء التي وردت في نقدكم للعدد الاخير.

*

بادرتم يا حضرة الاستاذ، فاكدتم في بداية نقدكم للعدد الاخير، انكم لم تكتبوا عنه كيفما اتفق، واشهدتم الله على انكم قضيتم سواد ليلة باكملها في قراءة هذا العدد، لتخرجوا منه — على حد تعبيركم — **« براي صحيح »**

*

ونحن — من جانبنا — نرى ان من حقكم ان تقدموا بين يدي كلامكم هذا التأكيد الذي كنتم في غنى عنه، كما نرى ايضا ان من واجبكم ان تتواضعوا قليلا — ومن تواضع لله رفعه — فلا تجزموا بصحة رايكم على الاطلاق، ولا تحاولوا ان تحملوا قراءكم على الايمان بصحته؛ فمن حق القارىء عليك ككاتب، ان تقدم له رايك، وان تترك له هو حق الحكم على هذا الراي، وحق الايمان بصحته او عدم صحته.

*

اما عن تبويب المجلة، فنعتقد ان الذي يعنيه الناس عادة بالتبويب، هو ان تكون للمجلة ابواب ثابتة، وهذا ما فعلته **«دعوة الحق»** في سنتها الثانية، فقد فتحت عدة ابواب تحدثتم انتم عن بعضها في نقدكم للعدد الماضي.

وأما ما تقترحونه من جميع البحوث على حدة، والمقالات على حدة، ونشر القصائد الشعرية كلها متتابعة، ثم القصص او **«ما تسميه المجلة قصصا»** فنحن نرى أن هذا ليس **«براي صحيح»** ولو انمجلات يعنيها لانزال نذكر بعضها كانت تفعل شيئا منه. وذلك كمجلة **«الامالي»** التي كانت تنشر ما تنشره من شعر في كل عدد، مستقلا، تحت عنوان **«عكاظ»**.

وبين ايدينا الآن عدد من المجلات الكبرى الراقية في العربية وغيرها، تنشر القصة والقصيدة والمقالة، ولا تعنى بجمع كل صنف منها على حدة كما تقترحون، وانما تمزج بينها على نحو يتفق مع الاعتبارات التي تراعيها كل واحدة منها، ولعل الاعتبار الموحد بينها جميعا في ذلك، هو الترويح على القارىء، واتاحة الفرصة له ليريح عقله واعصابه بالانتقال من بحث **«دسم»** او مقال **«معقد»** الى قصة او قصيدة او اي شيء من هذا القبيل.

على ان بعض الاصدقاء قرا اقتراحكم في هذا الموضوع، فلم يقركم عليه **«كراي صحيح»** وانما لفت انتباهنا الى شيء قريب من هذا تفعله بعض المجلات، وهو انها تعنى بترتيب المواد في الفهرس، على اساس ذكر القصائد — مثلا — كلها متتابعة فيه، وكذا القصص والمقالات وغير ذلك، تسهيلا على القارىء في البحث عما يروقه من المجلة.

وهو تقليد سليم ، قد تأخذ به هذه المجلة ، وان كنا نرى أن على كل مجلة ، ومن حقها ايضا ، ان تبتكر لنفسها أساليبها الخاصة بها .

*

هذا ، بإحضرة الاستاذ ، فيما يتعلق بالمجلة نفسها ، اما عن «آرائكم الصحيحة» في انتاج الكتاب الذين تناولتموهم بالنقد ، فنحن لانريد ان ندافع عن اي واحد منهم ، لان في استطاعة كل واحد منهم ان يجيب عن نفسه ، ونرجو أن يفعلوا .

على أننا قد نخالفكم في بعض آرائكم في هذا الانتاج ، ولكن بسط ذلك لايتسع له هذا الباب ، وقد تجدون شيئا منه في غير هذا العدد ، أو في صفحات اخرى غير هذه ، من هذا العدد نفسه .

*

واخيرا نكرر شكرنا لكم ، ونتمنى لكم اتصال النشاط ، والى اللقاء معكم في فرصة اخرى .

دعوة الحق

من الإقليم المصري

القاهرة

الاستاذ انور الجندي المحرر بجريدة الجمهورية في الاقليم المصري ، يعتزم اصدار كتاب عن الحركة الفكرية الادبية في المغرب ، وقد كتب الى الاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون ، يطلب منه ان يمده ببعض المصادر أو أن يدله عليها . واتصل الاستاذ كنون في الموضوع بالاستاذ محمد الصباغ . وكتب الينا الاستاذ الصباغ بدوره يطلب منا ان نبعث مجموعة من السنة الاولى للمجلة الى الاستاذ انور الجندي ، وقد بعثناها بالفعل صحبة رسالة طويلة الذيل ، وتلقينا اخيرا من الاستاذ انور الجندي هذا الجواب :

اخـي ....

اعتذر لك اصدق الاعتذار عن تأخري في الرد على هديتك الجميلة وخطابك الرائع ، بمرضي ، فقد كانت هديتك آية من آيات الرضى ، التي تلقيتها في فراشي ، فامتعتني وملأت حياتي ، واعادت احلامي القديمة الباقية في رؤية هذه الحصون الاسلامية العربية في مغربنا الحبيب ، حيث تاريخ الاسلام يرسم بصورة ضخمة عظمة هذه الامة ويؤكد قرب ذلك اليوم الذي ننتظره لتجمعها .

واني لكبير الامل في أن تعفو عني وتصفح ، وان تبلغ اصدق التحيات للاستاذ الجليل عبد الله كنون ، وزملائك في المجلة الاعلام ، امثال : ابراهيم الكتاني ، وعبد الوهاب بن منصور ، وعبد المجيد بن جلون ، وعلي الصقلي . ولقد سعدت حقا باخراج المجلة وموضوعاتها ، وتمنيت لو سمحتم لي بالكتابة فيها .

واني لارجو ان تتاح لكم فرصة قريبة فنراكم في القاهرة ، أو ترونا في الرباط ، باذن الله ، والله يرعاكم ويحفظكم ويؤيد جهودكم الموفقة في خدمة الثقافة والاخوة العربية .

والى اللقاء في خطاب كبير واسع ، نتناول فيه شؤون الفكر على نحو أوسع ، مستعينا بخبرتكم في تعرف بعض الجوانب التي قد احتاج اليها في رسالتي . والسلام عليكم ورحمة الله .

أنور الجندي
المحرر بجريدة الجمهورية

القاهرة

إلى الأستاذ روم لاندو

لقد كتب الاستاذ روم لاندو عن القرويين ما قرأه الناس في العدد الماضي من مجلة دعوة الحق ، وكان المقال كما علق عليه **«لايتناول فقط جامعة القرويين وحدها ، ولكن يتعداها في كثير من الاستطرادات الى شؤون اخرى تمس حياة المغرب عامة»** ، ولست أريد هنا ان اتناول بالتعليق الا جانبا واحدا من جوانب المقال : ذلك بعض الحقائق التاريخية والمعمارية عن الجامعة .

لقد اعتدنا ان نقرا للسادة الذين يعنون بشؤون هذه البلاد **«حقائق»** اقل ما يقال عنها انها صور **«تقريبية»** واحيانا **«بتراء»** لواقعنا التاريخي . لكنا في اكثر الاوقات كنا نلتمس العذر لاولئك الكتاب ، فبعضهم كان يتوفر على معلوماته من مصادر تجهل كل شيء عن شؤوننا ، وفيهم من كان يتعمد **«خلق»** الاساطير والروايات ويتعمد **«افتراض»** أرقام معينة

لكي يثير رغبة السياح ويوجه انتباههم لما يقول . على ان في اولئك الكتاب من كان في احاديثه مغرضا يرى الحق ويتعامى عنه ، ويعرف الصواب ويحيد عنه ، كنا نلتمس العذر لاولئك ولهؤلاء ، فقد كانت الابواب موصدة او شبيهة بالموصدة في وجوه الباحثين ، اما اليوم فكل واحد في استطاعته ان يستفسر وان يستجوب ، وخاصة اذا كان ينعم بعطف المواطنين وتقديرهم ، وخاصة اذا كان من امثال المستر رومLANDO الذي عاش مرتبطا بالمغرب والمغاربة سواء في أوقات السراء والضراء . .

لقد اجتمعت بهذا السيد الاستاذ) وقد كان كتب ما كتب عن القرويين في مجلة العالم الاسلامي الانجليزية ، وتحدثنا طويلا عن القرويين ، ولكني لم اكن على علم تام بتفاصيل احاديثه عنها ، واليوم وقد اتاح لنا الاستاذ السيد محمد الخطيب ، الفرصة ، لابد ان نفتح أمام الاستاذ لاندو بعض الصفحات عن تاريخ القرويين :

لقد ذكر الاستاذ ان القرويين اسست في حدود سنة 857 ، وهي قولة كثيرا ما رددتها كتب المؤرخين الافرنج ، والحقيقة ان القرويين لم يوضع حجرها الاساسي الا يوم الثلاثين من نونبر 859م (فاتح رمضان سنة 245) .

وذكر ان القرويين اصبحت مسجدا جامعا تقام فيه الخطبة ، وتذكر على منبره اسماء الخلفاء منذ سنة 918 ، ولكن الوثائق التاريخية تؤكد ان ذلك لم يتم الا سنة 307 اي فيما بين سنة 919 وسنة 920 .

والطريف في حديث الاستاذ لاندو عن القرويين هو انه ذكر انها تسع مائتي الف نسمة (200.000) وهو رقم طويل كما ترى ، يستدعي ان نرجع الى معرفة مساحة القرويين :

تقدر الكتب القديمة المسافة بين شرق القرويين وغربها بثلاثمائة وثمانين شبرا ، (ما يعادل واحدا وثمانين مترا وسبعين سنتيما) ، وبثلاثمائة شبر من الجنوب الى الشمال اي (ما يعادل اربعة وستين مترا وخمسين سنتيما) فتكون مساحة المسجد خمسة آلاف ومائتين وسبعين مترا مربعا تقريبا ، وهو نفس المقياس الذي تعطيه التصميمات الحديثة ، فاذا ما اضفنا مساحة جامع الجنائز (200 متر) ، واذا ما دققنا الحساب في الركن الغربي الشمالي (10 امتار) بلغت المساحة نحوا من خمسة الاف وخمسمائة متر .

وبعد ان عرفنا المساحة بالامتار يسهل علينا ان نعرف كم يسع المسجد من المصلين ؟ ان البلاط الواحد يسع اربعة صفوف ، في كل صف مائة وستون شخصا على ما يذكره المؤرخون ، تلك ستمائة واربعون، اضفها الى مائة وخمسة وعشرين في اساطين البلاط بعد حط مواقع السواري : المجموع سبعمائة وخمسة وستون شخصا في البلاط ، تضرب في عدد البلاطات الستة عشر يكون المجموع اثنى عشر الفا ومائتين واربعين شخصا ، فاذا اسقطت قاعدة الصومعة وبعض الجهات مما لايمكن اداء الصلاة فيه بقي اعتبار **اثنى عشر الف نسمة .**

ويرى صاحب القرطاس ان القرويين تسع سبعة عشر الفا وستمائة واربعين نسمة ، اما اذا اضيف الى القرويين ما حولها من رحاب واسواق فانها – كما يقول – تسع اثنين وعشرين الفا تنقص قليلا وتزيد قليلا .

اما صاحب زهرة الآس فيكتفي بثلاثة عشر الفا، ولعلك وانت تعرف كم يسعه المتر المربع من بشر ، لا تسمح بأن يتجاوز الرقم **اثنى عشر الفا** على اكثر تقدير ، وهذا ما ذهب اليه كثير ممن تحروا الصواب في الحديث عن القرويين ، باستثناء الاستاذ مارتي الذي لم يسمح باحتمال القرويين لاكثر من خمسة آلاف شخص ، لكن احدا لم يصل الى الرقم الذي ذكره المستر روم لاندو ، فهل انه (صفر) اضافته مطبعة مجلة العالم الاسلامي ؟

وشيء آخر ذكره الاستاذ لاندو في سياق حديثه عن تاريخ القرويين الفكري ، ذلك ادعاؤه ان امتحان الاستاذ الطلبة **((لم يكن معمولا به))** مع ان نظام الاجازة من ابرز ما عرفته هذه القرويين منذ عصورها الاولى، ويكفي ان نرجع على سبيل المثال الى حكاية شاهد (1) عيان عن نظام الاجازة ، لا في علم الاصول او الفقه او الحديث او الطب مثلا ، ولكن في علوم القرآن ، ومن ذلك سنعرف القيمة العظيمة التي كانت للاجازة بالقرويين ، انها دون شك كانت اصعب بكثير مما يتخيل .

1) ابو الحسن علي بن ميمون الغماري ، توفي بلبنان سنة 917 (1511 – 1512) .

لقد كان على المرشح للاجازة ان يمر على سائر آي القرآن ويحفظها كما يحفظ الفاتحة سواء بسواء ، وعليه مع ذلك ان يكون على خبرة تامة بجميع الفنون التي يتوقف عليها هذا الحفظ من رسم وضبط وتلاوة، ولا يمكن المرشح ان يتقدم من اول الامر الى **«الاستاذ الكبير»** بل عليه ان ينال رضى استاذ اقل منه رتبة ، وهكذا لايصل الى مقام الاجازة الا بالتدرج من قارىء الى قارىء فوقه ، فاذا اتى الى الاستاذ المجيز الاول – ولابد ان يكون اعلم اهل وقته في هذا الشأن واكملهم – امره باديء ذي بدء بكتب حصة من القرآن من حفظه ، ثم رسمها على شكل المصحف ، وبعد ان يكتب الحصة على ما وصف ويرسمها على الوجه المعلوم المشهور بين العلماء ، وبعد ان يضبطها كذلك على قاعدة الضبط المعروف ، يأتي الى الشيخ يعكف رجلا ويقيم اخرى وينصب اللوح الذي كتبه ورسمه وضبطه تجاه الاستاذ ، ليشرع في تلاوتها استظهارا بعد التعوذ والبسملة ، وهنا يأخذ الاستاذ في توجيه اسئلته العسيرة الى الطالب الذي يكون عليه – ولابد – ان يستحضر سائر النصوص في الموضوع ، فاذا نال وفاق هذا ، انتقل الى استاذ آخر يتولى سؤاله بكيفية اكثر عمقا عن مختلف وجوه الرسم والضبط وسائر الحروف .. فاذا نجح في هذا كله أمره بالاعراب ، فما كان على الاصل اقره عليه ، وما لا ، نبهه عليه ، وهكذا يستمر الشيخ مع طالبه من الفاتحة الى سورة الناس ، فاذا ختم القرآن على هذه الصورة وظهر للاستاذ ان يجيزه ، امر بكتب الاجازة له رافعا له فيها سنده ، ويشهد الاستاذ بعد كتب الوثيقة على نفسه انه اجازه ، ثم يضع القاضي خط يده معلما بثبوت الاجازة من الشيخ فلان للاستاذ فلان ، الذي درس عليه الكتاب الفلاني لمؤلفه فلان ، وانه يستقصيه تمام الاستقصاء ، ويستطيع ان يبلغه كما تلقاه عن شيخه الذي تلقاه بدوره عن شيخه فلان وهكذا . . . وما تزال بعض المصادر التاريخية تحتفظ بنص لاجازة شيخ القراء بفاس السيد ابن الفخار لابي سالم العباسي الذي يرفع فيها السند الى رب العزة .

وبعد فان كل ما ارجوه ان لاأتعرض لشعور من الاستاذ لاندو بانني قد قصدت ان اتهمه بتقصير او استرواح ، بل كان قصدي اولا وأخيرا أن لايكتفي عند الحديث عنا ببعض المصادر الاجنبية ، وله علينا ان نستجيب لاسئلته على موائد يدور فيه الشاي المنعنع الذي يستهويه ، ولنا عليه ان يظل دائما ترجمانا لتراثنا في العالم الانجلوساكسوني

عبد الهادي التازي

رسالة مفتوحة الى الاستاذ محمد الحلوي

حضرة الاستاذ النابغة المحترم السيد محمد الحلوي :

وبعد ، فانني منذ مدة طويلة وانا ابحث جد البحث عن نسخة من مقامات بديع الزمان الهمداني، شرح الامام محمد عبده رحمهما الله ، وفي اوائل شهر اكتوبر سنته بالضبط ، عثرت على ضالتي المنشودة ، وعلى التو شرعت في قراءتها ، ومما لفت نظري على وجه الخصوص البيت الاول الذي ورد في المقامة الاذربيجانية وهو :

نزلنا على ان المقام ثلاثة

فطابت لنا حتى اقمنا بها شهرا

وقد شرح الامام الشيخ محمد عبده البيت المشار اليه اعلاه بقوله : (نزل باذربيجان على ان يقيم بها ثلاثة ايام يستريح فيها من التعب ، فطابت له الناحية بما فيها من دواعي الراحة حتى أقام بها شهرا ، فكان يومه بعشرة ايام) .

ثم عاودت قراءة البيت المذكور مرات عديدة ، واخيرا عن لي انه سبق لي ان قرأت ذلكم البيت في مجلة **(دعوة الحق)** فتصفحتها حينئذ وطفقت اراجع الاشعار التي جاءت فيها ، فاهتديت الى البيت الاخير من قصيدتكم (تطوان) الذي تقولون فيه :

ذهبنا على أن المقام ثلاثة

فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا

وعندما فرغت من قراءته اخذ مني الدهش مأخذه ، لقوة الشبه بين البيتين . مع ان قرونا عديدة تفصل بينهما .

وختاما ابلغكم اعجابي وتقديري والسلام .

عبد القادر القادري

حوار

جناب الاخ الاستاذ السيد عبد القادر القادري .

وبعد ، فاني اكبر فيكم هذه الروح الادبية النزاعة الى التطلع ، والحالمة بكم على مناهل الادب العربي الاصيل ، واشكر لمقامات الهمداني هذه الفرصة التي اتاحتها للتعرف بكم ولو عن طريق المراسلة .

تراتم هذا البيت :

ذهبنا على أن المقام ثلاثة
فطابت لنا حتى أقمنا بها شهرا

في ابيات لنا في (تطوان) كانت تعبيرا عن اعجابنا بهذه الجوهرة الثمينة في تاج المغرب الكبير ، وكان هو او قريبا منه ما وقفتم عليه في شرح الامام عبده للمقامة الاذربيجانية للهمداني . وكان هذا ايضا محل اندهاش منكم واستفهام .

والبيت يا اخي ليس لبديع الزمان ولا هو من بدائعه ، وانما هو لابي نواس في احدى قصائده الخمرية ، يتحدث فيها عن حانة صرف اليها عنان مطيته برفقة آلاف الغواة ، وكان يديرها (سموال) اليهودي احد دهاقنة الخمارين ، نزلها ظهرا على امل ان يغتبق بها ، فوجد من حسن الضيافة وجودة الخمرة ما اغرقه ، وحبب له الاقامة بها شهرا كاملا يرشف الرشية الذهبية كما يقول :

فجاء بها زينية ذهبية
فلم نستطع دون السجود لها صبرا
خرجنا على ان المقام ثلاثة
فطابت لنا حتى اقمنا بها شهرا
اذا ما دنا وقت الصلاة رأيتهم
يحثونها حتى تفوتهم سكرا

والبيت كما يعرف الناس من الابيات السائرة المعروفة ، لانه تعبير عن حالة عامة وتجربة شعورية كثيرا ما يتعرض لها الانسان ، وغالبا ما تختفي الاسماء وراء الشعر متى بلغ هذه الدرجة التعبيرية ، وعاش في قلوب الناس وعلى السنتهم ، وطغى فيه الاعجاب بالمعنى على الاهتمام بمعرفة مبتدعها . وهذا ما حدث يا اخي للهمداني ، فقد ساق بيت ابي نواس وانتفع به لانه لم يجد اروع ولا انسب منه للموقف ، فاستغله كما يستغل الكثير ابياتا كاملة لغيرهم على سبيل «التضمين» واستنادا الى شيوعها وانتشارها بين الناس . وتكون البلاغة هنا في وضع هذه الابيات في موقف لاينبو عنها ... ولكن الشيخ عبده وهو شارح المقامة ليس له مايبرر اغفاله نسبة البيت لصاحبه ، الا انه لايعرف هذه النسبة ، ولانه الشيخ عبده ... ولو انه كشف لك هذه النسبة لما كان محل للاندهاش، فقد عرفت الصناعة الشعرية — **في المدرسة التقليدية بالطبع** — هذا التضمين ، وكان الشعراء يتقارضون فيما بينهم ما بلغ معناه حد الروعة والاجادة ، لايرون في ذلك بأسا ولا غضاضة .

اصبحت مثل الطفل في ضعفه
تشابه المبدا والمنتهى
فلا تلم سمعي اذا خانني
ان الثمانين وبلغتها ...

ضمن قول الشاعر القديم :

ان الثمانين — وبلغتها —
قد احوجت سمعي الى ترجمان

وكما فعل الاسعردي وقد ضمن قول المتنبي :

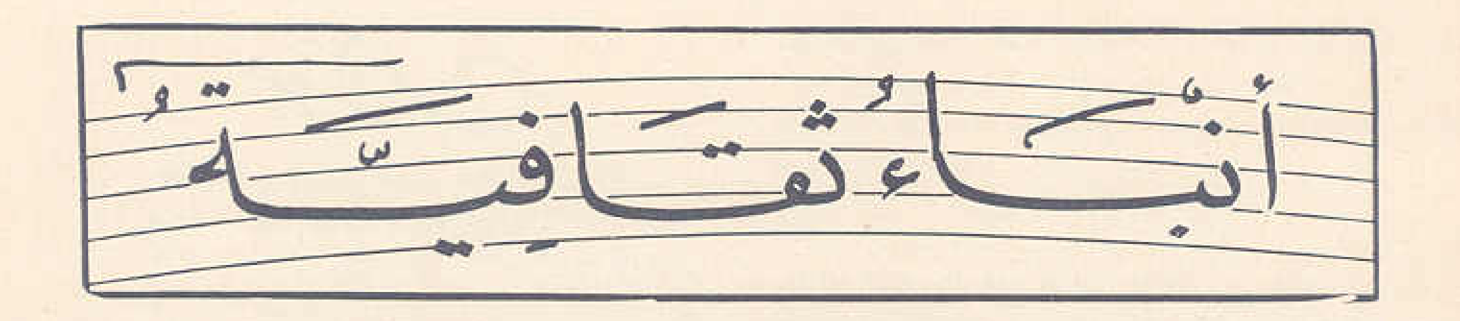
يروم على اردافه الخصر مسعدا
اذا عظم المطلوب قل المساعد

ولعلك ايها الاخ وقد بلغنا الى هذا الحد قد فارقتك الدهشة ، وادركت معي ان بيت ابي نواس يخلد حالة مستطابة تستغرق المرء وتغرقه في اجوائها ، وانه بيت لاينبغي ان يعيش في عصر ابي نواس ولا في شعره وحده ، وانما ينبغي ان يكون معبرا على كل ما يمتلك جاذبية آسرة كتطوان ، هذه الباقة المعطار ، التي استكثر علينا بعض من لايفرقون بين الروائح اعجابنا بها وبمفاتنها..

ويسعدني قبل ان اودعك — شاكرا — ان اهدي اليك هذه القطعة الشعرية للشاعر **(المفضل أفيلال)** من شعراء المغرب في القرن الماضي من قصيدة يصف بها تطوان عند احتلال الاسبان لها سنة 1859 م

تطوان ما كنت الا — بين البلاد حمامة
بل كنت روضا بهيجا — بالزهر ابدى ابتسامة
تطوان يا دار انس — وخيس أهل الزعامة
هل للوصال سبيل — فالهجر اكمل عامه
دوام حال محال — وهل لظل اقامة ؟

محمد الحلوي



وشح صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس نصره الله صدر الزعيم الاستاذ علال الفاسي بوسام الاستحقاق العلمي والفكري . وقد قال جلالته بعد توشيحه صدر الزعيم :

(... انتم الذين تستحقون أسمى وسام ، وانتم اول عالم نوشح صدره بهذا الوسام .. انكم اهل لكل اوسمة الدولة ، ونظرا لكونكم العالم الاول ، ولكم آثار خالدة عظمى ، زيادة على آثاركم العلمية والثقافية ، نقلدكم هذا الوسام بالصفة العلمية ، وهو اول وسام نقدمه لكفاءتكم الثقافية والفكرية) .

ويسعدنا بهذه المناسبة ان نهنىء حضرة الزعيم الاستاذ علال الفاسي بهذا التقدير الملكي الكريم .

※ نظرا لحلول ذكرى عيد العرش المغربي المجيد لهذه السنة ، وجريا مع العادة المتبعة في هذه المناسبة من اجراء مباريات ادبية في الشعر والنثر ، فان مدير التشريفات الملكية اعلن في الصحف والاذاعات عن هذه المباريات لسائر الشعراء والادباء المغاربة ليشاركوا بعواطفهم في هذه المسابقة .

※ مثل الاستاذ السيد عبد الكبير الفاسي سفير المغرب بالمانيا الفدرالية بلاده في المؤتمر الدولي للطاقة الذرية .

※ استقدمت وزارة التربية والتعليم جماعة كبيرة من الاساتذة المصريين والفرنسيين ليقوموا بالتدريس في المؤسسات الدراسية لهذه السنة .

※ بمناسبة افتتاح العام الدراسي الجديد وجه السيد عمر بن عبد الجليل وزير التربية الوطنية خطابا صريحا للشعب، يشرح فيه المشاكل التعليمية والتربوية التي خلفها عهد الاستعمار ، كما شرح له فيها الجهود التي بذلت منذ الاستقلال حتى الآن للتغلب على هذه المشاكل .

※ أعلن وزير التربية الوطنية الى مديري المعاهد الحرة ، وأولياء التلاميذ الذين يزاولون دراستهم الثانوية ، بانه ابتداء من فاتح اكتوبر المنفرط افتتح بثانوية مولاي يوسف بالرباط ، القسم الثاني للباكالوريا العربية بفرعيه الفلسفي والرياضي .

※ في اجتماع ترأسه وزير التربية الوطنية المغربية مع المفتشين الاقليميين ، ومفتش التعليم الابتدائي ، أدلى وزير التربية بالمبادىء الاساسية التي يجب ان تطبق عند افتتاح الموسم الدراسي لهذه السنة وهي :

1) قبول 60 الف تلميذ جديد في الاقسام التحضيرية .

2) تطبيق الاصلاحات التي تقرر اجراؤها .

3) جمع مصلحتي التعليم الاسلامي والاوربي في مصلحة واحدة .

※ وصل الى المغرب في خلال فصل الصيف المنصرم الاساتذة : الطاهر ابوبكر زنيبر ، وعبد السلام محمد الهراس ، وجعفر الكتاني ، عائدين من القاهرة بعد ان انهوا دراستهم الجامعية .

وقد حصل الاستاذان زنيبر والهراس على شهادة الليسانس في اللغة العربية والدراسات الاسلامية من كلية دار العلوم — جامعة القاهرة — .

كما حصل الاستاذ الكتاني على شهادة الليسانس في الادب من قسم اللغة العربية بكلية الآداب ــ جامعة القاهرة .

ونحن نرجو لحضرات الاساتذة المذكورين مقاما طيبا في وطنهم ، زاخرا بالوان النشاط الفكري والادبي .

※ زار المغرب في مطلع الشهر المنفرط الاقتصادي الالماني الكبير الدكتور فينكهاوس .

※ في فاتح اكتوبر الماضي قضى نحبه بتطوان الاستاذ المربي السيد محمد علال الخطيب الذي وقف حياته على خدمة النشء الطالع والاعمال الاسعافية الخيرية ، واليه يرجع الفضل في تأسيس المدرسة الخيرية ، والمدرستين الخيريتين للبنين والبنات بتطوان اللتين كان يديرهما بحزم واستقامة . والمرحوم من أول الداعين لتعليم البنات في الشمال .

※ اصدر الاستاذ السيد المهدي بن بركة رئيس المجلس الاستشاري المغربي كتيبا مفيدا بعنوان «نحو بناء مجتمع جديد» ، والكتاب يضم مجموعة من الافكار المتحررة ، والآراء الجديدة ، نهنيء الاستاذ ، ونتمنى لكتابه ما هو خليق به من العناية والاعتبار .

※ يكاد الادباء والشعراء والبحاث والمثقفون المغاربة يجهلون جوائز الادب والعلوم التي تمنحها الدولة المغربية في كل سنة باسم « جائزة الدولة » ونحن نهيب بالقائمين على هذه الجوائز من رجال وزارة التربية الوطنية ان يقوموا بالدعاية الكافية لهذه المسابقة بالاعلان عن شروطها وكل المعلومات عنها ، حتى تصل اخبارها الى جميع المهتمين بشؤون القلم في هذا البلد . هذا ولم يبق لحلول موعد مسابقة هذه السنة 1958 الا مدة قليلة لذلك نرجو من المشرفين عليها ان يسارعوا بنشر كل المعلومات عنها .

※ انضم المغرب اخيرا الى المركز الدولي لحفظ الآثار الثقافية واحيائها .

※ في منتصف شهر اكتوبر المنفرط حلت الذكرى الرابعة لوفاة شاعر الحمراء (مراكش) المرحوم محمد ابن ابراهيم (! ؟)

※ حبست مكتبة ابن عاشر بالرباط لصاحبها السيد ابن عاشر ابراهيم 366 كتابا بين مطبوع ومخطوط ، ونص في رسم التحبيس على ان المحبس يضع المخطوطات رهن اشارة كل من يريد طبعها . وستعرض هذه الكتب في الجناح الذي تعتزم وزارة الاوقاف انشاءه بالمكتبة الوطنية بالعاصمة . وهذه مأثرة جليلة تشكر صاحبها عليها ، ونسجلها له عرفانا بجميله نحو الثقافة والعلم ورجاله في هذا الوطن .

※ كما نسجل مأثرة اخرى للبحاثة التطواني المعروف الاستاذ محمد داود الذي قام ببناء مكتبة ومسجد بتطوان من ماله الخاص ، وحبسهما ، بعدما زود المكتبة بجميع ما يملك من الكتب والصحف ، وهي كثيرة ، واقام عليها امينا ، كما قام بتجهيز المسجد بكل ما يحتاج اليه .

※ قام البحاثة الاميركي جون اودين ويليامس ، الاستاذ بالجامعة الاميركية بالقاهرة بجولة دراسية في المغرب . وقد وقف على كثير من الآثار المغربية المهمة التي من شانها أن تعينه على دراساته التي يقوم بها حول الآثار الاسلامية وخاصة منها الآثار المعمارية .

※ قررت بلديات الرباط وطنجة وفاس وتطوان اطلاق اسم الامير شكيب أرسلان على اربعة شوارع فيها ، اعترافا بجهاده في سبيل العروبة ودفاعه عن المغرب . وقد اطلعنا على هذا النبأ في مجلة «المصور» المصرية !

※ صدر عن معهد مولاي الحسن بتطوان «ديوان ملك غرناطة ــ يوسف الثالث» بتحقيق ومراجعة وتقديم الاستاذ البحاثة المعروف السيد عبد الله كنون .

※ يقوم الشاعر المبدع الاستاذ ادريس الجائي بمراجعة اشعاره وتنسيقها ليقدمها للطبع تحت عنوان «المزامير»

※ اصدرت وزارة العدل كتاب «مرشد القضاة» تسهيلا لمهمة القضاة في كيفية التمشي على المنهج الجديد في تطبيق القوانين الحديثة حول تنظيم محاكمهم واختصاصاتهم ، وبالاخص المسطرة الجديدة ويتضمن هذا الكتاب ثلاثة ابواب : (1) التنظيم القضائي (2) الاختصاصات (3) المسطرة .

※ غادر المغرب قاصدا انجلترا الاستاذ محمد بن تاويت ، وذلك لمتابعة دراسته في احدى الجامعات الانجليزية بمنحة من الحكومة البريطانية .

※ جرت في الشهر المنصرم بتونس تجربة جهاز للترجمة المباشرة الى عدة لغات ، وذلك في احدى قاعات المدرسة العليا للزراعة في العاصمة .

* تم في القيروان بتونس تاسيس ناد ثقافي يجمع رجال الفكر والثقافة والادب . ومن اهدافه احياء التراث العلمي والادبي وتأسيس دروس وتنظيم محاضرات ومناظرات ومباريات ، ونشر الكتب .

* عقد المجلس الاداري لمعهد باستور بالعاصمة التونسية اتفاقية مع اعضاء مجلس باستور بباريس . وتحدد هذه الاتفاقية كيفية المساعدات الفنية التي سيقدمها معهد باستور بباريس الى معهد تونس ، كما تتناول الاتفاقية تنظيم بعثة من التونسيين للدراسة في باريس الى جانب تبادل المعلومات في ميدان البحث العلمي .

* قدم الى تونس في الايام الاخيرة وفد من الاخصائيين الاميركيين باستدعاء من البعثة الاميركية بتونس للاستشارة في خصوص وضع الاسس الاولى للجامعة التونسية .

* استانفت مجلة «الفكر» التونسية صدورها بعد ان احتجبت عن القراء طيلة الصيف الماضي .

* أخرج الاستاذ محمد صادق عفيفي كتابا جديدا ارخ فيه للشعر والشعراء في ليبيا .

* نوهت صحف مصر بكتاب «التيارات السياسية في العالم العربي» الذي صدر اخيرا في الاقليم المصري من تاليف الاستاذ كمال متولي اليوزباشي . وهذا الكتاب عبارة عن دراسة عميقة للكتل القائمة اليوم في العالم ، كالكتلة الغربية والكتلة الشرقية ، ومجموع الدول الاسيوية والافريقية والاسلامية ، ومجموع دول الحياد ، كما يشمل دراسة الخطوط الرئيسية لسياسة هذه الكتل ، ومواطن الصراع بينها .

* صدر اخيرا في القاهرة العدد السابع من المجلد الثاني عشر من دائرة المعارف الاسلامية الذي يتولى اصدارها الاساتذة : احمد الشنتناوي ، وابراهيم زكي خورشيد ، وعبد الحميد يونس .

* انتهى الازهر الشريف من وضع اسس المعهد الديني في اكرا ؛ وقد سافر مبعوثان الى غانا من اجل هذا المشروع الهام .

* توفي في القاهرة العالم الشيخ احمد محمد شاكر الذي عرفته الاوساط العلمية عالما ومحدثا . ومن اعمال المرحوم انه اعاد طبع «المسند» للامام ابن حنبل ، وشارك في مراجعة «تفسير الطبري» وتخريج احاديثه ، ولخص تفسير ابن كثير تلخيصا امينا دقيقا وحقق «صحيح ابن حبان» وهو من اهم كتب الحديث بعد صحيحي البخاري ومسلم ، كما نشر كتبا مهمة للامام الشافعي وابي العز الحنفي وابن حزم وسواهم . اما في ميدان الادب واللغة فقد قام بتحقيق «اصلاح المنطق» لابن السكيت و «المفضليات» و «الاصمعيات» مع الاستاذ عبد السلام هارون .

* لاول مرة ظهر في مصر «ديوان الشريف العقيلي» الذي عاش في القاهرة في النصف الثاني من القرن الهجري والنصف الاول من القرن الخامس وهام بالطبيعة وجمالها . وقام بتقديم هذا الديوان ومراجعته الدكتور زكي المحاسني .

* تقرر في مصر انشاء حي ثقافي كبير يتكون من دار فخمة للاوبرا ، ومتحف كبير للآثار ، وداريين واسعتين للكتب والوثائق التاريخية . كما تقرر اخراج ما تجمع من الآثار في مخازن مصلحة الآثار ، والتحف المصري ، وعرضها في متاحف اقليمية باهم مدن مصر .

* صدرت في مصر الكتب الآتية : «ملكات الجمال» للدكتور محمد عوض محمد و « الهجاء » من مجموعة فنون الادب العربي للدكتور سامي الدهان و « ام الخير » للاستاذ محفوظ عبد العال غانم و « علمتني الحياة » باقلام نخبة من الشرق والغرب و « الاسلام والعلم الحديث » للاستاذ عبد الرزاق نوفل و « رواية شمروخ » للاستاذ محمود تيمور و « احمد بن حنبل »

تاليف ولتز م . باتور وترجمة الاستاذ عبد العزيز عبد الحق و « بناة النهضة الحديثة » للمرحوم جورجي زيدان و « من الواح سومر » للدكتور باقر و « واحد ، اثنان ، ثلاثة . . . لا نهاية » لجورج جاموف وترجمة اسماعيل حقي ومراجعة وتقديم محمد مرسي احمد .

* تقرر ان يرصد مبلغ 24 الف جنيه سنويا لتشجيع الانتاج العلمي والفني والادبي في الجمهورية العربية المتحدة ، على شكل جوائز من الدولة .

* قرر المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب مشروع قانون اتحاد الادباء ومهمة رعاية شؤون الادباء في الجمهورية العربية المتحدة ومساعدتهم على نشر انتاجهم .

* افتتحت جمعية الشعراء اعمالها في مصر باقامة حفل كبير في القاعة الذهبية بقصر النيل .

* لم يفز احد فى هذه السنة بجائزة القصة السنوية التي يمنحها المجمع اللغوي بمصر ، رغم كثرة المتقدمين لهذه المسابقة من البلاد العربية والمهاجر .

* أعلنت وزارة التربية والتعليم بالقاهرة عن مسابقة للكتاب العربي تشترك فيها البلاد العربية ، حيث يفتح معرض للكتاب بنادي الطلبة الشرقيين لرصد مدى التقدم فى طبع الكتاب وتنسيقه واخراجه . وستمنح جائزة لاحسن كتاب يقدم الى هذه المسابقة .

* فى السادس والعشرين من اكتوبر المنفرط وهو يوم ذكرى وفاة الشاعر احمد شوقي ، ازيح الستار عن تمثاله الموضوع فى حديقة الاندلس بالجزيرة

* اصدرت المكتبة الشرقية ببيروت مجموعة من المعاجم فى اللغات العربية والانجليزية والفرنسية .

* انجزت المطبعة الكاثوليكية ببيروت طبع كتاب « الرسائل الصغرى » للشيخ ابن عباد الرندي بتحقيق الاب نويا اليسوعي وتحقيقه .

* لوحظ فى لبنان فتور ادبي كبير نتيجة لانشغال الرأي العام اللبناني بالاحداث التي تجري فى بلاده .

* عادت الى الصدور مجلة « الحكمة » البيروتية التي تصدرها مدرسة الحكمة ببيروت بعد احتجاب شهور كثيرة .

* توفى فى لبنان الشاعر الخطيب الدكتور نقولا فياض عن 85 سنة . ويعتبر من اكبر شعراء العربية فى هذا العصر .

* ينعقد المؤتمر الرابع للمحامين العرب فى بغداد فى اواخر شهر نوفمبر . وسيبحث هذا المؤتمر مشروع قانون موحد لتنظيم مهنة المحاماة . وستوجه الدعوة الى المحامين ورجال القانون فى كل من الكويت وبلاد المغرب للاشتراك فى المؤتمر . وقد انتخب الدكتور عدنان القوتلي اميناً لاتحاد المحامين العرب .

* تاسس فى المدينة المنورة ناد ادبي باسم « المجمع الادبي » يهدف الى جمع شتات جميع ادباء المملكة السعودية ، ورفع مستوى الادب العربي فى السعودية الى المكانة اللائقة به ، وربط العلاقة بينه وبين آداب البلاد العربية الاخرى .

* اصدرت جامعة الملك سعود فى العربية السعودية « مجلة جامعة الملك سعود » تحتوي على مقالات فنية وبحوث علمية وادبية لكبار الكتاب والمدرسين والمشرفين على الجامعة .

* تجري الآن دراسات لتكوين جمعية جديدة افريقية اسيوية تجمع نشاط الجمعيات الثقافية والاجتماعية فى كل من آسيا وافريقيا لتوجهها وجهة واحدة لتحقيق الهدف المنشود .

* احتفلت جمعية المراة فى زنجبار بعيد ميلادها الثالث . وقد تأسست هذه الجمعية — وهي من ضمن الاتحاد العالمي للنساء — فى سنة 1955 . وكانت تضم حينئذ ثلاثين عضوا ، اما اليوم فتضم اكثر من مائتي عضو من نساء مختلفات الجنسية بين افريقية وعربية واوربية وهندية . وعلى راس كل شهر تعقد الجمعية اجتماعا ، تنظم فيه محاضرات ، ودروس فى الطهي ، وحفلات موسيقية .

* اقيم فى بوخارست مهرجان للشعر الصيني القديم والحديث تولى تنظيمه المعهد الروماني للعلاقات الثقافية مع الخارج .

* قرر المؤتمر الاسلامي ان يساهم فى مساعدة الكلية الاسلامية فى الملايو ماليا ، وذلك حتى تتمكن الكلية من تخريج الفوج الاول الذي سيعمل على نشر الثقافة الاسلامية بين مسلمي الملايو .

* فى مدينة كوتاك بولاية اوريسا الواقعة شرق الهند ، تتولى جمعية — انشأها براقولا شاندرا داس ، العضو فى نادي القلم الدولي — ترجمة الروائع العالمية الى اللغة الاوردية ، وهي لغة هندية آرية قريبة من البنغالية . ومن المؤلفات الهامة التي نشرت هناك حتى الآن مؤلفات أدبية نال اصحابها جائزة « نوبل » كمؤلفات اندريه جيد ، وهمنجواي ، وبرنارد شو ، وهامسون ، وبيرل بك ، ورومان رولان ، وخوان رامون خيمينث .

* اكتشف الاستاذ دانيل شلومبرجية رئيس البعثة الاثرية فى افغانستان كتابة يونانية منقوشة على حجر فى خائد اهار مما يدل على غزو اليونان لافغانستان منذ القرن الثالث قبل الميلاد . ويتضمن النص المنقوش بيانات دقيقة عن ديانة وحياة الملك اسوكا ، اول حاكم بوذي نزل البلاد . وفى النص نفسه وصايا للاهالي تدعوهم الى احترام الوالدين وطاعتهما ، وعدم قتل الانسان والحيوان . . .

* عقدت منظمة الشباب العالمي مؤتمرها الثالث فى نيو دلهي حيث حضره خمسمائة مندوب يمثلون منظمات الشباب فى 85 بلدا . وكان موضوع هذا المؤتمر « الشباب والتقدم . قوة جديدة وافكار جديدة » .

* نظمت اليونسكو في نيو دلهي بالتعاون مع حكومة الهند اجتماعا لدراسة اصلاح التعليم ومناهجه في جنوب وشرق آسيا .

* قامت اليونسكو بمساعدة الجمعية الوطنية اليابانية لليونسكو بترجمة الرواية العظيمة « الاخوات ماكيوكا » للكاتب الياباني الكبير خونيشر وطاكينائي . وزيادة على اهمية هذه الرواية من الناحية الفنية ، فانها تسبر اغوار التقاليد اليابانية من جميع جوانبها وتجلوها الى القراء في سرد فني .

* نشرت في اليابان نتيجة الاستفتاء الموجه الى كبار الكتاب ، ودور النشر في اليابان عن « من اهم الكتاب الاجانب المشهورين في اليابان » ؟ . وقد اسفر الاستفتاء عن هذه النتيجة : (1) اندريه جيد (2) رينير ماريا ريلكي (3) هانس كروسا (4) موريس لوبلا (5) روبين رولاند (6) سومرست موم (7) اناتول فرانس (8) توماس مان (9) سارتر (10 شتينبك (11) كوكتو (12) هيمنجواي .

* اقيم في نهاية هذا الصيف في حديقة جوركي بالعاصمة الروسية « يوم الادب » وتوجه الادباء الى الحديقة وقراوا على الجمهور كتاباتهم ، ونوقش ادبهم من طرف الجمهور .

* اصدرت احدى دور النشر السوفياتية التي تعنى باللغات الاجنبية قاموسا عربيا ـ روسيا ، وضعه بارانوف محتويا على ثلاثة وثلاثين الف كلمة .

* في مطلع السنة القادمة سيصدر مجلد ضخم يقع في ستة اجزاء باسم « تاريخ تطور الانسانية العلمي والثقافي » وقد عهدت اليونسكو الى لجنة دولية للمشاركة في تاليف هذا الكتاب وذلك ، بقصد تسجيل تطور الشعوب وتقدمها في العلوم والفنون والآداب والدين والفلسفة والقانون والتكنولوجيا ، كما عهدت اليونسكو الى هذه اللجنة بوضع كراسات تعرف باسم « كراسات التاريخ العام » والذي يتضمن نصوصا يجمعها ويحللها ويعلق عليها الاعضاء المختصون في لجنة تاريخ تطور الانسان .

وقد ظهرت حديثا كراسة بعنوان « دراسات في التاريخ الروسي » مشتملة على خمسة عشر بحثا في الحضارة الروسية كتبها اعلام المؤلفين السوفييت . وتتناول هذه الدراسات مراحل تطور الحضارة الروسية في الآثار المكتشفة حديثا ، والاختراعات وتطور الفكر العلمي والصناعي في القرنين الثامن والتاسع عشر ، ومذكرات عن تاريخ المسرح الروسي والفنون الجميلة في القرن التاسع عشر ، كما تتضمن دراسات عن تطور العلم الفلسفي واعمال الماركسيين الروس كلينين وبلخانوف .

* تطوف بالدول الاعضاء في منظمة اليونسكو سبعة معارض فنية متنقلة . وتشمل هذه المعارض اللوحات الزيتية منذ المدرسة التعبيرية حتى اليوم ، كما تضم اللوحات الزيتية التي ظهرت حتى عام 1860 ورسم ليوناردوفينتشي ، والتماثيل الخشبية اليابانية واللوحات الفنية الصينية ، والرسوم الفارسية . .

* تنشر منظمة اليونيسكو ومكتب التعليم الدولي في كل عام تقريرا ضافيا عن حركة التعليم في العالم ، يعتمد على التقارير الرسمية التي ترسلها وزارات التعليم في 72 بلدا الى المؤتمر الدولي للتعليم العام الذي يعقد سنويا في جنيف من 7 الى 16 يوليو .

وقد عقد هذا المؤتمر دورته الواحدة والعشرين في شهر يوليو الماضي واستخلص من التقارير الحكومية الموجهة اليه ان متوسط ميزانيات التعليم لم يتجاوز مثيله في العام السابق الا بنسبة ضئيلة . فقد ازداد من 14.5 في المائة الى 15 في المائة ، كما استخلص من ميدان التعليم الابتدائي ان اتجاهه نحو المجانية اصبح بتوسع اكثر من ذي قبل ، كما لاحظ المؤتمر انخفاضا ضئيلا في متوسط نسب زيادة الطلبة في المدارس الابتدائية بعكس ذلك في المدارس الثانوية التي أصبح مستوى تلاميذها يرتفع ارتفاعا ضئيلا كذلك . ومن جملة ما لاحظ هذا المؤتمر في هذه الدورة الاخيرة ان التعليم التقني قد تطور تطورا ملحوظا ، حيث اتجه الرأي العام في العالم بنوع خاص نحو اهمية اعداد مدرسي العلوم والتعليم المهني . وقد استقينا هذه المعلومات من نشرة « آراء » التي تصدرها اليونيسكو .

* تتطلع الاوساط الفنية النمساوية بكامل الاعجاب الى نبوغ الطفل بيتر افلير الذي ظهر فجاة في عالم الموسيقى حتى قيل فيه انه سيخلف الموسيقار النمساوي الكبير موزار . وقد أوفدته حكومته الى معرض بروكسيل ، فكان لعزفه صدى عميق ، واعجاب منقطع النظير .

* في الايام الاخيرة وقع اكتشاف اطلال واوان طينية رومانية بالقرب من بارم في ايميلي يرجع عهدها الى القرن السادس قبل الميلاد .

* مات في مقره ببرلين مدير الاوبرا البرلينية سابقا البرفسور ليوبليش عن سبع وثمانين سنة .

وينحدر هذا الموسيقي العالمي من عائلة يهودية . في سنة 1937 كان مديرا للاوبرا السويدية . ومن سنة 1949 الى 1954 كان مديرا للاوبرا ببرلين .

* احتفلت الاوساط الفنية ببرلين بالنحاتة الالمانية الكبيرة رني سينطيس بمناسبة بلوغها عامها السبعين .

* أقيم في الشهر المنفرط في ايطاليا احتفال عالمي كبير بمناسبة مرور قرن على ولادة ايليوناردسي .

* احرز الكاتب الروسي بوريس بسطرناك على اكبر جائزة ايطالية للاداب في هذه السنة . وتسمى هذه الجائزة بجائزة «بنكاريا» التي تمنح للكتاب الذي احرز على اكبر رقم في البيع بايطاليا . وتتكون لجنة التحكيم من اصحاب دور النشر . وقد سبق ان فاز هذا الكاتب بجائزة نوبل ، ومنعت جميع مؤلفاته من الرواج بالاتحاد السوفييتي .

* صدر للكاتب الايطالي بابيني بعد وفاته كتاب « الدينونة الاخيرة » .

* اقامت وزارة التربية البلجيكية معرضا هاما لاحياء ذكرى شارل بيغي .

* نوهت الصحافة العالمية بالمكتبة الملكية البلجيكية التي اقميت في معرض بروكسيل ، حيث عرضت مجموعة كبيرة ذات قيمة تاريخية كبيرة من المخطوطات النادرة ، والكتب المهمة ، والنقوش الفنية ، والمجلدات البديعة .

* توفي في لوزان الفيلسوف السويسري اورنولد ريمون عن اربع وثمانين سنة .

* توفي اخيرا في باريس الاديب الفرنسي الكبير روجي مرتان دوكار عن 77 سنة . ومن المعلوم ان هذا الاديب قد احرز على جائزة نوبيل للاداب لسنة 1937.

* نظم البيت الثقافي الدولي مؤخرا ندوة علمية ثقافية في شيرزي لاسال بفرنسا ، شارك فيها علماء ومؤرخون عالميون كبار كالمؤرخ الانجليزي الكبير ارنود تويمبي ، والاساتذين فون فرتس ، وفوجلي من جامعة مونيخ بالمانيا، كما شارك فيها المؤرخان البولونيان كولا. وكولافيسكي. ودارالنقاش فيجو من الصراحة حول كتاب « دراسة التاريخ » لتويمبي ، كما دار عن مذهب الماركسية وخصومها ومعتنقيها .

* من الكتب التي صدرت في هذه الايام في فرنسا عن دار جوليان للنشر ، قصة للكاتبة الجزائرية آسيا جيبار . وتتناول هذه القصة موضوع المراة المسلمة الجزائرية في الجزائر وصراعها مع التقاليد الرثة .

* أقيم في لاندر بفرنسا مهرجان مسرحي شعبي، وهو مهرجان فريد غريب من نوعه في العالم، حيث ينظمه ويشرف عليه ويقوم بالتمثيل فيه جمهور من الشعب نفسه يمثل مختلف طبقات الشعب . ويعرف هذا المهرجان بمهرجان «نوها» للمسرح الشعبي .

* ان جائزة احسن كتاب اجنبي صدر في فرنسا في الاشهر الاخيرة قد منحت لكتاب « الانسان بدون خصائص » للكاتب النمساوي فليب جاكوتيت .

* ظهرت في فرنسا اديبتان شابتان . الاولى هي برت كريمو التي اكتشفها احد الناشرين الفرنسيين وقدمها الى العالم الادبي في قصتها التي نشرها لها . والثانية اسمها ماري جيزبل لانج لا يزيد عمرها عن عشرين سنة . وقد كان لقصتها الاولى « الرجل الطويل الرمادي » نجاح كبير . وتدور هذه القصة عن الاعمال التي تقوم بها المراة للتغرير بالرجل .

* من الوثائق المهمة التي بيعت في السوق العلني للوثائق والمخطوطات التاريخية بباريس منذ عهد قريب، وثيقة تقع في ست صفحات لم يسبق نشرها مكتوبة بخط يد لويس السادس عشر . وقد اقتناها فرنسي من هواة جمع الوثائق بقيمة 2.400.000 فرنك . كما بيعت رسالة من بلزاك يعود تاريخها الى سنة 1833 كما عرض للبيع اثاث غرفة لامرتين في قصر كورماتان الى جانب مجموعة من الوثائق تتعلق بحملة نابليون على مصر ، ورسالة من كوكان حينما كان في المرتينك .

* صدر في باريس عن دار سيول للنشر في سلسلة اسبرى كتاب بعنوان « المغرب في ساعة التجربة » تاليف جان وسيمون لاكوتير . ويتحدث هذا الكتاب عن المغرب في عهده الجديد ، كما شاهده المؤلفان اللذان قاما برحلة الى المغرب ، جمعا فيها معلومات عن مختلف نواحي الحياة المغربية وتياراتها في عهد الاستقلال . فتحدثا عن ميراث الحماية ، وعن القصر الملكي ، وعن البادية المغربية ، وعن الموظفين المغاربة الشباب ، وعن الاحزاب المغربية . ويقوم الاستاذ محمد العربي الخطابي بترجمة اهم فصوله ، وسينشرها في هذه المجلة ليطلع المغاربة عما يكتب عنهم وعن بلادهم .

* «تاريخ فرنسا في اغنيات» هو تسجيل لاغنيات تاريخ فرنسا من اوائل عهدها حتى اليوم بما فيه ايام الصليبين ، وحرب المائة سنة ، وعهد فرنسيس الاول ، والحروب الدينية .

※ اصدرت احدى محاكم باريس حكما طريفا يقضي باعتبار مجلد الكتب فنانا وليس صاحب حرفة، وذلك بناء على دعوى اقامتها السيدة مونسي بواسطة محاميها على ادارة معارض الكتب ، لان هـذه الادارة عرضت مجلدات السيدة مونسي ولم تنوه باسمها . ومما جاء في خلاصة الحكم ان المجلد يعنى بخلق مزينات الكتب ، شأنه من المكانة الفنية شأن الاديب والرسام ، والنحات . وعلى هذا ، اعطي للسيدة مونسي تعويض قدره مائة الف فرنك .

※ صدر للمستشرق الاسباني بدرو مرتينث مرتين مونتافيث كتاب « الشعر العربي المعاصر » بتقديم عميد المستشرقين الاسبان السنيور ضور ايميليو كرثيا كوميث ، عضو المجمع الملكي الاسباني للغة الذي تكلم في مقدمته لهذا الكتاب عن تطور الشعر العربي تطورا محسوسا ، وشبهه بتطور المراة العربية ، واضطلاعها بمهام الحياة كاختها الغربية . والى جانب المقدمة يشتمل الكتاب على دراسة مقارنة منهجية للمدارس الشعرية العربية منذ مطلع النهضة الادبية الحديثة الى يومنا هذا ، كما تتناول خصائص الشعر العربي في كل قطر من الاقطار العربية ، وحتى في المهاجر الاميركية . وبعد هذه الدراسة الطويلة استعرض المؤلف عددا كبيرا من اساطين النهضة الحديثة كالبرودي ، وشوقي ، وحافظ ، والمطران ، والعطار ، وعبد الله نديم ، وابو الوفاء ، وبشارة الخوري (الاخطل الصغير) ، والنجفي ، وخليل مردم ، وبدوي الجبل ، ومحمود طه ، كما ترجم بعض القصائد لاشهر شعراء المهجر مع نبذة عن حياتهم كجبران ، ونعيمة ، وابي ماضي ، والريحاني ، ورشيد ايوب ، وندره حداد ، وعريضة وفوزي المعلوف ، وشفيق معلوف ، والشاعر القروي ، وفرحات ، وابي شادي ، الى جانب الشعراء اللبنانيين المقيمين كأبي شبكة ، وسعيد عقل ، والبير اديب ، وصلاح لبكي ، ووديع ديب ، كما تناول بالترجمة عددا من شعراء الشباب في البلاد العربية الذين يمثلون اتجاهات مختلفة فترجم لنزار قباني ، وعبد الوهاب البياتي ، ونازك الملائكة ، وفدوي طوقان . ومن شعراء تونس ترجم لامير شعراء تونس المرحوم محمد الشاذلي خزنه دار ، وابي القاسم الشابي ، اما من المغرب فقد ترجم لشاعر الحمراء محمد ابن ابراهيم ، ولمحمد الصباغ .

※ فاز بجائزة « بوشكان » الشعرية لهذه السنة الشاعر الاسباني كابيرو بولاند عن ديوانه « الاوقات الميتة » وقدر هذه الجائزة خمسون الف فرنك .

※ ان جائزة الرواية المسماة « كبريل ميرو » التي تمنحها بلدية الكانطي باسبانيا سنويا قد احرز عليها في هذه السنة الروائي الاسباني المعروف خوسي البي عن روايته « الانتظار » .

※ عقد في كلية العلوم بجامعة برشلونة خلال الصيف الماضي اجتماع علمي هام استدعى اليه كبار المؤرخين الاميريكيين ، كما استدعى اليه كبار المؤرخين الاسبان .

※ تشتغل المستشرقة الاسبانية المعروفة الدكتورة ليونور مرينث مرني ، استاذة اللغة العربية وآدابها بجامعة برشلونة ، ومراسلة مجلة « الاديب » اللبنانية باسبانيا في ترجمة الشعر العربي الحديث ، واخراجه في كتاب ضخم . وقد سبق لهذه المستشرقة ان نشرت في المجلات الاسبانية كمية كبيرة من الشعر العربي المعاصر ؛ وعرفت به في الاوساط الجامعية الاسبانية .

※ بعد وفاة الشاعر الاسباني الكبير خوان رامون خيمينث ، نقلت مكتبته مع اوراقه الخاصة من مهجره بويرتو ريكو باميركا الذي مات فيه الى مسقط راسه « موكير » . وسيشرع قريبا في تهييء متحف خاص لهذا الشاعر في قريته هذه مع اقامة تمثال له .

※ ترجم الدكتور لطفي عبد البديع مسرحية «دنيا المصالح » للروائي الاسباني الشهير خاثينطو بنافنتي الذي أحرز على جائزة نوبل للآداب سنة 1927 . وقام بمراجعة هذه الرواية في ترجمتها العربية الدكتور حسين مؤنس مدير المعهد المصري بمدريد .

※ التهمت النار عددا كبيرا من الرسوم العالمية المهمة ذات القيمة المالية الكبيرة بسبب الحريق الذي اشتعل في قاعة الفن المعاصر بنيويورك . ومن بين اللوحات التي التهمتها النار لوحة الرسام كلود موني التي تقدر قيمتها بـ 50.000.000 فرنك .

※ توفي في نيويورك الكاتب المسرحي الاميركي الكبير جورج جون نتان عن سبعين سنة .

※ فاز بالجائزة الدولية للشعر لهذا العام الشاعر البرازيلي روى ربيير كوتو الذي يعتبر من شعراء هذا العصر الكبار .

※ توفى الروائي البرازيلي الشهير خوسي لينس دوركو عن اربع وستين سنة

※ وصل الى المغرب اخيرا الدكتور صلاح الدين المنجد ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ومدير معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية .

والمقرر ان يمكث الدكتور صلاح الدين بالمغرب شهرا يزور خلاله مختلف المدن والنواحي المغربية للبحث عن المخطوطات النادرة وتصويرها ووضع فهارس لها .

وقد اتصل الدكتور المنجد بمختلف الوزارات والدوائر الحكومية التي يهمها الامر ، ووضع له برنامج لجولته التي يرافقه فيها الاستاذ السيد ابراهيم الكتاني .

وسيغتنم الدكتور صلاح الدين المنجد الفرصة فيلقي عدة محاضرات ، من بينها محاضرة عن « **الف ليلة وليلة** » اخرى غير « **الالف ليلة وليلة المعروفة** » وقد الفت قبلها . ويقول الدكتور المنجد انها تدل دلالة واضحة على أن الادب العربي لم يتاثر بالفلسفة اليونانية في العلوم الفلسفية فقط، وانما تاثر بها في ميدان الآداب، خلافا للفكرة السائدة المعروفة .

وقد زار الدكتور المنجد ادارة مجلة «**دعوة الحق**» وابدى كثيرا من الاعجاب بها ، كما ابدى لها بعض الملاحظات التي تقبلتها شاكرة .

※ انتقل الدكتور احمد زكي الى الكويت ، حيث يشرف الآن على اصدار مجلة هناك اسمها « العربي » وهي (تسعى ــ كما يقول الدكتور احمدزكي ــ لان تكون في الطليعة في خدمة هذا الوطن بين سائر المجلات من اضرابها ، وهي تطلب السبق ولا تنفس على احد ان يسبق ، ففي السبق خير هذا الوطن العربي ، وهو الغاية) .

مجلة يقراها الجمهور ، لكنها : (لا تهبط مادة واسلوبا بحيث ينتفع منها كل الجمهور ، حتى من حرم نعمة التثقيف او كاد ، كما انها لا توغل في علم او ادب او فن او بحث ، بحيث لا يقراها الا قلة من الجمهور العربي . . ان المجلة للكثرة الكبرى من الجمهور العربي).

※ قررت مديرية الجامعة المغربية الغاء كليات الحقوق من المدن الاتية : تطوان ، فاس ، مراكش .

※ خلال الشهر الماضي القيت في المغرب المحاضرات الآتية : « حيوية الديمقراطية الامريكية » القاها المستر شارل بوست سفير امريكا بالمغرب في قاعة المحاضرات بكلية العلوم بالرباط ، و « مجموعة من المحاضرات تدور كلها عن الادب الانجليزي، وبالخصوص عن شكسبير والمسرح الانجليزي » القاها روبر ويليام سبايطث في الرباط ، وفاس ، والدار البيضاء ، وطنجة ، وتطوان ، وهذا المحاضر كاتب انجليزي مشهور ، وممثل مسرحي الى جانب عضويته في الفرقة التمثيلية بجامعة اسفورد، وله عدة مؤلفات في المسرح وادبه و « الطبيعة وتاثيرها على تاريخ الاندلس » القاها المستشرق الالماني الدكتور فيلهيلم هميزباخ في الرباط وتطوان . وقد سبق لهذا المستشرق أن زار المغرب سنة 1930 والقى بتطوان محاضرة بعنوان « البحرية العربية وتطورها في البحر الابيض المتوسط في عهد معاوية » نشرها له في كراسة ، معهد مولاي الحسن .

※ قدمت الى المغرب في بحر الشهر الفارط البعثة الثقافية الاسبانية في مهمة تفقد المؤسسات الاسبانية للتعليم في المغرب ، ودراسة كيفية تطبيق المعاهدة الثقافية المبرمة بين المغرب واسبانيا، وقد زارت تطوان، واصيلا ، والعرائش ، والقصر الكبير .

※ في رحلة صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس الى سوق ثلاثاء الغرب ، وضع جلالته هناك الحجر الاساسي لمدرسة ودشن مسجد بلقصيري ، كما دشن جلالته المسجد والمدرسة اللذين وضع حجرهما الاساسي اثناء رحلة جلالته الى طنجة سنة 1947 .

※ رفع الاستاذ الحاج محمد بنونة الى صاحب الجلالة محمد الخامس عريضة موقعة باسماء علماء تطوان واساتذتها ومثقفيها ، يستنكرون فيها البرنامج الدراسي الجديد الذي استحدثته وزارة التربية الوطنية في هذه السنة الجديدة .

※ وقع التباس على الصحافة المصرية في اسم « **البير ديب** » الذي قتل بالفعل في بيروت في دكان حلاقة ، وذكرت غلطا ان الذي قتل هو « **البير اديب الشاعر اللبناني صاحب مجلة الاديب الكبرى** » . ونقلت هذا النبأ صحف كثيرة في البلدان العربية . وعندما وصل هذا النبأ الى الشاعر البير اديب ، اخذ يرسل خطابات الى الصحف العربية واصدقائه ذاكرا : انه على رغم الصحف المصرية التي وادته فانه ما زال حيا . ويتمتع بصحة جيدة .

※ الغت وزارة التربية للجمهورية العربية المتحدة اللغة الفرنسية من مدارسها ، واحلت محلها اللغة الروسية ، كما صدر قرار من وزارة التربية العراقية يقضي بالغاء اللغة الانجليزية من مجموع مدارسها .

※ سيعقد مؤتمر ادباء العرب لهذه السنة في الكويت ، وذلك بناء على رغبة الحكومة الكويتية .

فهرس العدد الثاني ـ السنة الثانية

الصفحـــــــــة

دعوة الحق

مجلة الانتاج الرفيع ، والمستوى العالي . مجلة العالم والاديب والفنان والشاعر .

❊

« **دعــوة الحــق** » تقرا فيها الابواب الثابتة التالية :

1) العدد الماضي في الميزان
2) في النقد الادبي
3) مطالعات وآراء
4) من تراثنا الفكري
5) من تراثنا الادبي
6) انباء ثقافية
7) بريد دعوة الحق
8) القراء يسالـون

الى جانب كثير من البحوث والدراسات والمقالات والقصائد والقصص الرائعة

❊

لخدمة الثقافة والفكر والادب ، ابعثوا بانتاجكم الى مجلة «**دعــوة الحــق**»

❊

لاتشترط مجلة «**دعــوة الحــق**» فيما تنشره الا شيئا واحدا فقط ، هو أن يكون من مستوى فكري معين ، لاينبغي لمجلة تحترم نفسها واهدافها أن تنزل عنه او تتسامح فيه .

❊

للمساهمة في النهوض بالمستوى الفكري في وطنك ، ابعث باشتراكك الى مجلة « **دعــوة الحــق** » .

مطبعة فضالة ـ فضالة

المغربية ـ معرض كريم بناني